فرناندو پيسوا (3)

قصائد البارودي

دي كامبوس

ترجمة وتقديم

المهدي أخريف

مقدمة

-I-

ثمة ما يشبه الإجماع على أنَّ ألبارو دي كامپوس* هو الند الأكثر تلقائية، والأكثر شفافية من بين كل الأنداد الپسويين، وهو "القناع الأكثر واقعية" لپسوا الذي يعترف بأنه وضع فيه "كل الانفعالات التي لم يسمح بها حتى لنفسه..." كما يعترف كذلك بأن كامپوس كان ينبثق «عندما أشعر بدافع للكتابة ولا أعرف ماهو». الباحث والمترجم أدولفو مونتخوناباس يرى أن كامپوس "هو النقيض الواقعي لفرناندو بسوا، لكنه، من جانب آخر، هو فرناندو پيسوا" الحقيقي... إن التشابه بينهما يبلغ درجة من التطابق والتداخل تكاد تجعل پيسوانفسه يبدو بمثابة قناع لنده الذي "سرق" منه تعبيره الحقيقي. لقد انتبه أنطوني تابوكي (مترجم پيسوا إلى الإيطالية) إلى التهديد الذي كان بوسع كامپوس أن يمثله للعبة الأندادية البسوية برمتها.

*- ألبارو دي كامپوس: ولد في طابيرا يوم 15 أكتوبر من عام 1890 (على الساعة الواحدة والنصف زوالا)... مهندس بحري في گلاسكو، لكنه اليوم يعيش في لشبونة بلا عمل... طويل القامة 1.75سنتمترا، أطول مني بسنتمترين نحيل ومقوس تقريبا... مظهره يذكر على نحو غامض بهيأة يهودي برتغالي، وإن بشعر رخو مسرح بمفرق على الجانب، يستعمل عوينة طبية.. تلقى تربية تقليدية في أحد الليسيهات، ثم أرسل إلى غلاسكو ليتلقى تكونيا في الهندسة، في الميكانيكا أولا، وبعدها في الهندسة البحرية. استغل عطله للقيام بسفر إلى الشرق حيث كتب قصيدته "أفيوني" تعلم اللاتينية على يد عمٍّ قسيس له:... فرناندو بيسوا.

يقول: «كان بوسع كامپوس أن يطالب بوجه وجسد فعليين من أجل الحلول محل سيده: تلك هي اللعنة التي أحس پيسوابملاحقتها له. لكنه استطاع في النهاية التحكم في مخلوقه بحمله على التعايش مع بقية مخلوقاته». وحتى من حيث المظهر يبرز التشابه بين الإثنين*. فپيسواكان يستعمل نظارة وكامپوس عوينة طبية. ومن المعلوم أن الند الوحيد الذي ربطته صداقة "حقيقية" بپيسوا هو كامپوس إلى حد أنه كان يخاطبه "صديقي المسكين" و "ولَدي" أما رييس وكاييرو فلم يقع بينهما وبين "خالقهما" أي تعارف شخصي ومباشر.

-II-

كان اللقاء مع شعر ويتمان هو البداية الحقيقية لانطلاقة كامپوس الشعرية المدوية. فويتمان كان شاعر الاختلاف، شاعر الرؤية المعاكسة للعالم والأشياء. وهو أيضا الشاعر الذي مجَّد الفرد في خصوصيته الإلاهية. ومن صدمة هذه الرؤية الويتمانية المزلزلة انبثقَ ألبرتوكاييرو – حسب إدواردو لورنسَو، أحد كبار المختصين في أدب پيسوا– ثم تلاه على الفور، كامپوس ورييس. من ويتمان تعلم پيسوا شعريةَ الاختلاف كعلامة لمَا هُو واقعي، مضيفا إليه فحسب، لمسته المازوخية النوعية، صدى تمرينه اَلرمزي الذي لم يَخْبُ أبدا».

لقد أكمل الشاعر الأمريكي مهمة أساسية تتمثل في دفع پيسوا إلى تجاوز ماضيه الغنائي بجعله ينسى الشعر الفرنسي الذي تبدو بصماته واضحة في القصائد الأولى لكامپوس.

*- حتى صديقه المنتحر عام 1916 الشاعر سادي كارنيرو الذي كان واعيا بصعوبة الفصل بين الإثنين، ينادي بيسوا ، في يوليوز 1915: عزيزي فرناندو البارو پيسوادي كامپوس.

ثمة تأثير آخر أعمق امتداداً في التجربة البيسوية جاءه من أستاذه ألبرطو كاييرو الحاضر أيضا باسمه الخاص وإن في قصائد من مرحلة مختلفة، خاصة مرحلة القصائد غير المنشورة. لقد أخذ كاميوس المظهر الذاتي المستنبط من مواقف أستاذه ولم يأخذ بما هو جوهري وموضوعي في فلسفته ورؤيته للحياة، وبذلك فهو يمثِّلُ تجربة مغايرة تماما لكاييرو ولرييس معا. فكامبوس، كما لاحظ أوكتافيو پاث، دائما يتساءل: من أكون؟ أما تساؤل رييس الأساسي فهو: ما أكون؟

مهما يكن من أمر، فإن كاييرو سيبقى حاضرا دائما في أثر كامبوس فبدونه ما كان بإمكانه أن يوجد. بل بفضله أمكنه الوصول إلى كتابة نشيده الويتماني "تحية إلى والت ويتمان"، وهونفسه يعترف بذلك قائلا: «كاييرو وهو المعلم، علَّمني امتلاك الوضوح، التوازن، النظام في الهذيان وكذلك عَلَّمني عدم اكتساب أي فلسفة إلا بواسطة الروح». ومع أنه يعترف في قصائد موجهة إلى المعلم بأن قلبه لم يتعلم قط هُدوءَهُ هو، فإن الدرس الأعلى الذي تعلَّمه من كاييرو هو أن يكون ذاته دائما. ومن ثم يصح اعتبار كامپوس التلميذَ الأشدَّ خصوصية لكاييرو، والذي أدرك أفضل من سواه درسَ الحرية الكامنَ في رسالته، ومعه أدرك المسافة الناجمة عن الاختلاف الضروري مع المعلم.

وفي الرباعي الأندادي البسوي، يبدو كامپوس الأقرب إلى پيسوا. فيما رييس يبقى الأقرب إلى كاييرو. وإذا كان كاييرو يبدو دائما هو نفسه، مختلفا عن الجميع، لأنه "لا يمتلك أنا"، فإن برنارد سوارش، مثله مثل پيسوا وكامپوس ورييس، بدرجة أقل يعانون مأساة انقسام الأنا التي تحدث عندما يوجد انفصال بين الوعي والإحساس.

-III-

لقد جاءت المستقبلية التي طوَّرها پيسوا من خلال كامپوس مختلفةً عن المستقبلية التي تأسستْ في إيطاليا. المستقبليون البرتغاليون كامپوس، ماريودي سا-كارنيرر، وألمادا نيغريروس اشتركوا في الالتزام بالسمات الخارجية لتلك الحركة، كاستعمال الأحرف المبرَّزة والتوليفات الخطية المتعددة الأحجام وكالمبالغة في استخدام أحرف التعجب. لكنهم أتوا بعناصر جديدة. فالمستقبلية البيسوية على الخصوص، تتميز بخصائص تميزها جوهريا عن المستقبلية المدرسية ففي "نشيد بحري" يلاحظ أوكتافيو باث وجودَ "روح هائلة تهذي بصوت عال وصيحتها تلك ليست حيوانية ولا فوق إنسانية"، وفي هذه القصيدة الطويلة جدّاً الهادرة الإيقاعات والأصوات يُضيف پيسوا إلى المستقبلية البرتغالية بُعداً آخر جوَّانيا مونولوغيا وهذيانيا يميزها عن المستقبلية الإيطالية بالإضافة إلى تلك النزعة النوسطالجوية نزعة تمجيد الماضي، والشغف بالقديم الساكن في كل جديد.

في الآن نفسه سيتحول كامپوس إلى الشاعر الأساسي للتيار الحسوي[1] ذي الصبغة البرتغالية الخالصة مع صديقيه الشاعر ماريو دي سا-كارنيرو[2] والرسام والشاعر ألمادا نيغريروس. پيسوا نفسه لخص مبادئ الحسوية على النحو التالي:

[1]- Sensacionista

[2]- وهو الذي كان قريبا دائما من پيسوا سيقول عن كامبوس: «ألبارودي كامپوس صديقي العزيز ليس أكبر من پيسوا في الحقيقة، لكنه نجح في أن يصبح أهم منه».

«1- كل شيء/ موضوع هو نتاج إحساسنا نحن؛ 2- الفن كله عبارة عن حديث للحسّ من خلال موضوع معين؛ 3- من ثم فالفن أي فن، هو حديث حسّ عبَر حس/ إحساس آخر».

لم تكَن الحسويّةُ، في العمق، معنية بتفكيك شكل "الأشياء، وإنما بتفكيك إحساسنا بالأشياء" . كانت تسعى إلى تفكيك الواقع في عناصره النفسية الهندسية. فهدف الفن هو ببساطة مضاعفة الوعي الذاتي الإنساني. إذن من الشاعر المستقبليِّ إلى الحسويِّ سيقع الانتقال تدريجيا، وبكيفية كرونولوجية إلى الشاعر الوجودي ليختفي الشكل الأول للحسوية داخل نمط من رؤية جذرية جَوْهرانية بحيث يغدوان معاً وجهين لعملة واحدة، وجهُ الإحساس الخارجي ووجْهَ الإحساس من الداخل.

وفي هذا السياق يبرز برنار سوارش كوجه أساسي ضمن الثلاثيّ الشعري الندي المحدد في: سوارش- كامپوس- پيسوا. فثمة عناصر توافق بين كامپوس وسوارش على الخصوص إن لم تكن تكاملية فهي متوازية متناظرة. كلاهما يتقاسم تحليل أحاسيس وانطباعات شديدة التشابه بالتركيز على الأشياء والتفاصيل الصغيرة، الأول عبر تلوينات استعارية مميزة والثاني عبر قراءة نفس العوالم المصغَّرة والمهملة بطريقته الخاصة في الكتابة الاستقصائية التسكعية ثم إنهما معا يشتركان في النظر إلى الإحساس كنوع من الشعر. وفي تعابير متماثلة يستخدمانها رغم اختلاف الجنس الأدبي: فكامپوس يستخدم العبارة التالية: «أن تتكاثر كي تحس»، فيما يقول سوارش: «أن تتنوع كي تتعمق». بل يمكن النظر إلى الكتابة النثرية المميزة لكامپوس في قصائد كثيرة له كنقطة التقاء أخرى مع سوارش من حيث الشكل وكذلك من حيث المحتوى، ومن حيث انعكاس وضعيات ولحظات الحياة اليومية الأشد بساطة تلك التي تشكلت منها ميتافيزيقا شعرية بالغة التعقيد والعمق. لذلك كان كامپوس بالذات هو "پيسوا" الأشد قلقا وضجرا وجرأة، والأكثر إصغاء لأصوات الشارع

والأكثر اهتماما بـ" يومية " الأحداث الدنيوية صحبة برنار سوارش. وهو أيضا الشاعر الأكثر " وجودية " إذا قورن بباقي الأنداد، حيث البحث عن الأنا سيبلغ أقاصي وأعماقا لم يبلغها أي شاعر لا قبله ولا بعده.

-IV-

وُلد كامپوس بطريقتين كرنولوجيتين، أولا بظهور "نشيد الظفر"، ثم مع اختراع بداية "مصطنعة" بظهور قصيدة "أفيوني". وإذا جاز اعتبار القصائد المرتبطة بهذه الأخيرة مجرد امتداد للـ "الانحطاطية" الما بَعْد رمزية، ولكامپوس الأول الماقبل حسوي المستخدم للإيقاع الوزني التقليدي، فبوسعنا القول أن المرحلة الشعرية الأولى لديه إنما تبدأ فعلا من خلال المرآة الويتمانية وانعكاساتها عبر المستقبلية، لكن هذه المرحلة مدينة في الواقع وبكيفية جذرية لتحرره وجرأته على مستوى الشكل وللتدفق الاستثنائي لحيويته الشعرية على مستوى التخييل والإيقاع واللغة الشعرية، حيث نلتقي بالشفف اللاشخصي مَعيشاً عبر الماكينات والأصوات، عبر الغابة الاستوائية للمحرّكات والتغنِّيَ بما هو جديد.

أما في المرحلة الثانية فلا نعتقد بأن پيسوا مَدين فيها لأحد بشيء، إنها مرحلة كامپوس/ پيسوا على نحو خالص، فيها يظهر لنا كامپوس آخر "مريض بأحاسيسه ذاتها (خوصي سييرا) إلى درجة التعب والعياء الأقصى، حيث نبرة التحسر على زمن الأناشيد الطويلة الهادرة: «منذ زمن بعيد لم أعد قَادراً على كتابة قصيدة طويلة»، يقول... وحيث الاكتفاء بقصائد قصيرةَ مجزأة، نتف، شذرات، تتخذ في حالات عديدة صيغة الأنَّات المتقطّعة المُكابرة.. أما ثيماتها المتكررة فهي الطفولة، الماضي الضائع، التوقان إلى شيء مثالي، التقريع القاسي للذات، ثم الموت، الموت

كانشغال وحتى كانعتاق.

الرؤية الشعرية نفسها، بما في ذلك الرؤية البصرية لپسوا وهي من ركائز شعريته نجدها تنتقل من الخارج إلى الباطن لتنكفئ على ذاتها.. هكذا ستختفي نهائيا تقريبا الأحاسيس والانطباعات المتعلقة "بالمُكبَّر" تلك التي ميزت المرحلة الأولى، لتحل محلها إحساسات "المصغَّر" تماما على نحْو ما نجد عند برنار سوارش النديد، أو بالأحرى نصف النديد، الدائم الانجذاب نحو دقائق المحسوسات وصغائرها من الأحاسيس.

تتحدث الباحثة ريتَالُوبيز عن وجود ثلاثة أوجه متعاقبة في تجربة كامپوس تتجاوز التقسيم المرحلي المذكور وتظهره في صورة ثلاثة أنداد.

في البداية هناك الشاعر "الانحطاطي" شاعر "أفيوني" بعده يأتي الشاعر المهندس الحسويّ المدعوُّ إلى توسيع حقل الواقعي وإغنائه وأخيرا يأتي دور المهندس المتقاعد الذي سيكرّس حياتَه للتأمل وتقصي الأشياء التافهه، أليس هو القائل: «أنا البحاثة الجليل في توافه الأمور»؟! إن نقاط الالتقاء بين هذه الأوجه أو الأدوار موجودة على مستوى آخر غير المستوى الخارجي للنص. كما لو أن هناك طبقات داخل نفس النديد تكتسب أهمية أو وضيعة مختلفة بحسب المراحل. وعلى هذا المستوى لابد من الإقرار بوجود "سياق" داخلي في الأناشيد (نشيد الظفر، نشيد بحري، نشيد مَارسيّ) يحقق اتصالا مع عمل كامپوس في المرحلة اللاحقة. فأزمة الفَردانية مثلا نجدها حاضرة في هذه المرحلة كما في تلك. بيد أن هذا الاتصال الباطني الروحي يمكن الالتقاء به على نحو أجلي في قصائد مثل "تزجية الوقت 1923"، صُنِّفتْ كقصائد جسْرية، حيث تتواجدُ جنبا إلى جنب الأحاسيس المحمِّسة والأخرى المثبِّطةَ معا.

-V-

إن كامپوس هو "الشاعر الميتافيزيقي الذي يبغض الميتافيزيقا" حسب تعبيره هو. الشاعر الذي سلَّط الضوء على "هاوية معنى الأشياء وغوامضها" تلك الموجودة في أصغر التفاصيل اليومية إن "الميتافيزيقا المحسوسة" التي يُبرزها كامپوس تبدأ دائما من الأشياء الأقرب، من نظرة، إشارة تأمل، لكن فجأة يكتسب الزمن أو متعاليات الأشياء امتداداً وعمقا غير متوقعين عبر الطريقة عبر الإحساس الذي يرى به كامپوس تلك الأشياء: «عندما أهجر فردانيتي مثل مقعد كنت أجلس عليه سأخلف الكون ورائي كغرفة أتركها».

إن حالات الضجر، خمود الإرادة والحس، العياء، الأرق، والمتواترة في شعر كامپوس (ما بعد الأناشيد) هي الحالات أو الوضعيات الملائمة للإبحار في ميتافيزيقا الأحاسيس هذه المنغرسة -وهذا أمر شديد الأهمية- في خصوصية انتمائه البرتغالي.

-VI-

بينما يميل الأنداد الآخرون وپيسوا نفسه إلى التركيز، يميل كامپوس إلى التمدُّد: الحاجة إلى استيعاب العالم وأشيائه تجبره على أن يكون موجودا في الكل، أن يتكاثر وأن يكون پيسوا بلا حدود.

إن الحقيقة بالنسبة إلى پيسوا لا تكُفّ عن أن تكون متناقضة ومن ثم لن يكفّ هو بدوره عن ملاحقة الفجوات القائمة بين الأشياء، كما لن يكُفّ عن البحث عن طبيعة أنطولوجية أخرى، عن نقاء مجهول آخر، لذلك لا توجد في شعر كامپوس أي قصيدة خالية من الرؤية القائمة على التعارضات، وإنما ثمة مجموع وثمة انقسام، ثمة حاجة إلى تعريف وحيد، تعريف مزدوج متعارض تاركا المعنى مفتوحاً على الدوام.

كل شيء في كامپوس سيغدو حقلا تتنازعه قوتان مزدوجتان هو نفس حقل الصراع بين الإحساس والتفكير.. بل إن كامپوس نفسه سيغدو اثنين، بكيفية متزامنة: فهو المتفرج على ذاته وهو في الآن ذاته منتج تلك الفرجة التي يعاينها من نافذة ترام، أو مركب أو غرفة إنه يعاين "مسيرة روحه" كما لو كانت مشهدا خارجيا.

-VII-

إذا كان فرناندو پيسوا يبحث عن جواب لـ"لغز" الواقع نفسه، عن قراءة عَماء الظواهر حسب إداوردو برادو كوهيلو، فبوسعنا من خلال كامپوس، الحصول على بعض الأجوبة فيما يتعلق بلغز هذا الواقع.

إذا كان شعره ينبني بالكامل على انقسام حاد بين قطبين هما الوسواس الأنطولوجي من جهة، والعياء اللانهائي من التساؤل الوسواسي ذاته - الوعي واللاوعي بما هو واقع في آن واحد- ففي نص كامپوس بالذات يتأسس حقل ثالث، هو عبارة عن جسر بين العالمين، عبر تحول للوعي به يغدو فينومنولوجيا حسّوياً، كجواب على ذلك التأرجح والتقلب الذي يطبع الثنائيات التقاطبَية الپيسوية التي لا تعدو أن تكون في النهاية سوى أقنية تواصلية تسمح بسيولة جديدة للـ "الوضعيات المختلفة للروح". إن

أهمية "البينية" الكامپوسية هذه تعني الكثير، فهي التي تتوسط ذلك الانفصال الذي طالما مَوَّهَهُ پيسوا: بين الإحساس والمعنى. ما الموقع الذي يبحثه الشعر غير هذا الموقع؟ إن الجواب الپيسوي/ الجواب الحسوي المتمثل في التغني بـ"كل الحسويات المتعلقة بكل الميتافيزيقيات" إنما يعمل على مضاعفة رؤيتنا وإذكائها. مضاعفة أفق العلاقة بين الحياة والشعر. ما يفعله كامپوس وكذلك باقي الأنداد هو أنه يدعونا إلى أن نُحسَّ بطريقة أخرى ويقدم لنا "الشبق الذهني للإحساس بالحياة" ذلك الغَنى النادر، غنى "الرغبة الدائمة في شيء آخر مستحيل".

"لن يوجد أبدا بيننا - يقول جواو غاسبار سيمويس- شاعر على هذا المستوى من الحس الإنساني ومن الوعي بأن الذكاء والحساسية ليس أمامهما سوَى طريق واحد يسلكانه: أن يلْتَحِما بعضهما البعض بكبرياء وتشامخ".

-VIII-

كانت قصائد "راعي القطيع" لألبرطو كاييرو أولى القصائد التي ترجمتها من شعر پيسوا فور تعرفي عليه في مطلع الثمانينات. غير أن قصائد ألبارو دي كامپوس كانت الأسبق إلى النشر والظهور بفضل الصديق د.محمد برادة الذي تحمس لها وساهم في نشرها بمساعدة عيد إبراهيم في هيأة قصور الثقافة بالقاهرة عام 1995 في كتاب حمل عنوان قصيدة أساسية هي "نشيد بحري" وضَمَّ إلى جوارها قصيدتين كبيرتين أخريين: هما "تزجية الوقتْ" و"طبكرية". ولولا الاهتمام الواسع وغير المتوقع بترجمة كامپوس في القاهرة ثم الدارالبيضاء عام 1996 ما كنت لأقدم على نشر ترجمتي الثانية من مختارات پيسوا الشعرية ضمن

منشورات المجلس الأعلى للثقافة عام1998 برعاية خاصة من د.جابر عصفور؛ ذلك أنني كنت حتى ذلك الوقت أعتبر ما أترجمه من شعر الشاعر البرتغالي بوجه خاص من ضمن ضرب من التمرينات الخصوصية السرية التي تخصني دون سواي وتغذي تجربتي الخاصة في الكتابة.

معلوم أن كل ما ترجمته من أدب پيسوا ترجمته عن الإسبانية غير أنني كنت وما أزال دائم الرجوع إلى النص البرتغالي الأصلي، مستعينا بآراء وإفادات زملاء عارفين ومتخصصين.

لقد أفدتُ إلى حد كبير في البداية من إرشادات وتدقيقات الشاعر والمترجم الإسباني الكبير المرحوم أنخيل كريسپو (ت. عام 1995) ثم من بعده بأليخا ندرو ليال غوميز وبيدرو بلاسكيز دورو، وخيسوس مونياريث (مترجم "رسالة" العمل الهرمسي لپسوا) وغيرهم.

وما كان لي أن أتقدم في عملي التجويدي المتواصل لمترجماتي لولا ما توفر لي من ترجمات إسبانية عالية الجودة بعضها يقف بجانب النص البرتغالي على نفس المستوى من الشعرية والدقة والإشراق.

إن اشتغالي على هذه الترجمات له تاريخ يبدأ مع ردولفو ألونصو المترجم الأرجنتيني وينتقل إلى أوكتافيو پاث ناشر المختارات الشعرية الأولى لپيسوا في المكسيك عام 1962 مصدَّرةً بدراسته الرائعة: "المجهول من لدن ذاته"، ولو أن ترجمته التي تخص قصائد محدودة تتميز بتجاوز التأويل إلى التصرف والحذف والتحويل. بعدها اكتشفت ترجمات خوصي أنطونيو جاردينت (ت 1987) مع نهاية الثمانينات وهي التي اعتمدتُها في ترجمة قصائد البارودي كامپوس الأولى. وفي نفس الفترة تقريبا اطلعت على ترجمات أنخيل كريسپو ودراساته لأدب پيسوا شعراً ونثرا، وهو بالمناسبة مترجم "كتاب اللاطمأنينة" الأول إلى الإسبانية، ومن خلال ترجماته (ومراسلاتي معه) وقفتُ على الجهد الاستثنائي لمترجم الشعر وكيف يمكن أن تتحول الترجمة الشعرية إلى إبداع شعري

وخاصة من خلال ترجمته لشعر پيسوا نفسه في "الأغاني" مما يحويه كتابه المعنون بـ:«90 قصيدة لفرناندو پيسوا». أنخيل كامپوس پامپانو مترجم أساسي آخر أثْرتْ ترجماتُه معرفتي بأدب پيسوا، خاصة أنه أبرز مختص في شعر الند الپسوي الأكثر صعوبة بين الأنداد، أعني ريكاردو ريس النيوكلاسيكي الذي ظل مصدر عَنائي وغصتي طوال سنوات وبفضل پامپانو الذي يدين بدوره بالفضل الأول لأستاذه كريسپو في تقديم ريس إلى الإسبانية، تمكنتُ من إنجاز ترجمتي لأناشيده إلى العربية.

أما فيما يتصل بمختاراتي هذه من شعر ألبارو دي كامپوس والتي تضم ترجمة لما يفوق ثلثي عمله الشعري المنشور حتى الآن والمكون من 203 قصيدة، فأنا مدين كلية تقريبا لترجمة المترجم والشاعر الإسباني أدولفو مونتيخو ناباس[1]، وهي تقع في ثلاثة أجزاء وتضم -مع الترجمة الإسبانية بجوار النص البرتغالي- كل ما ثبتت نسبته من شعر إلى كامپوس تصريحا أو ترجيحا مع تميزها بالدقة والإفادة من الإضافات الجديدة والملحقات ومن جوانب قصور الترجمات السابقة وخاصة ترجمات خوصي أنطونيو جاردينت ورفاييل سانتوس وميغيل بيكرا المعروفين باختصاصهم بشعر البارو دي كامپوس بالذات.

في كل ما ترجمتُ من شعر البارو دي كامپوس كان مطمحي الأول ألا أُحسَب مجرد مترجم بل أن أكون مُقدِّمَ پيسوا بوجه عام في العربية.. أي أن أجعله في المقدمة وفي الصدارة، صدارة الشعر المترجم إلى العربية. وفي كل ما ترجمتُ من هذا العشر - وفيه تفاوت ولا شك من حيث قيمة وجودة الترجمة- خامرني الإحساسُ دائماً بأنني كاتبُ ما أترجمه في عربية خاصة غير عربيتي التي أطورها في شعري ونثري..، عربية أخرى ولَّدتها وربَّتْها تجربةٌ فريدة في الترجمة تجربة في الكتابة/ الترجمة تتجاوز

[1]- منشورات، إيبريون، Hiprion, edición Bilingüe, 1998.

الترجمةَ إلى تقاسم أحوال الخلق والتقمص والتعدد والتبدد في الذات الواحدة..

لقد كان عليَّ لكي أخرج هذه المختارات الواسعة من شعر ألبارودي دي كامپوس إلى النَّشْر، أن أكتب وأعاود الكتابة مرارا. جميع القصائد التي سبق لي نشرها من شعر كامپوس في منتصف التسعينات من قبيل "نشيد بحري" "تزجية الوقت" "طبكريا" "بمقود الشيفروليت" "حاشية" وغيرها عدت إليها مُنقّحا مدقِّقا، مُعدِّلا، على ضوء الإضافات والتعديلات النصية الجديدة التي مَيَّزت الطبعات الأخيرة من شعر الشاعر المهندس المستقبلي. كان علي أن أعاود الإصغاء وأعاود عشرات المرات مُقلِّبا أوجه الإيقاع مُنوِّعاً مقترحات ضَخَّة في صيغ عربية عديدة بغاية توفير شروط الانسياب والتوتر والتلقائية المميزة للنص الشعري في لغته الأم..

لقد اقتديت في ترتيب "قصائد ألبارو دي كامپوس" بالمترجم الإسباني المذكور الذي بدوره اقتدى بالنص البرتغالي الأصلي في صيغته شبه النهائية (ط.لشبونة 1996)، فحافظتُ محافظة نسبية على التسلسل الزمني للقصائد. غير أنني في محاولة مني للإبقاء على الوحدة والترابط الثيماتيين لم أعمد، كما فعل المترجم الإسباني، إلى الفصل بين القصائد المؤرخة والمنسوبة إلى كامپوس عن تلك غير المؤرخة وغير المصرح بنسبتها إليه من طرف پيسوا.. كذلك أبحتُ لنفسي كما فعلت في أعمال سابقة له، حق وضع عناوين للقصائد الخالية من العناوين، انتزعتُها من جُمَلٍ وعبارات دالّة من القصائد ذاتها.

وفي الختام إذا كان ثمة فضل لأحد في نشر هذا العمل الكبير خاصة وفي انتظام صدور حلقاته عامة ضمن مشروع ترجمة شعر فرناندو پيسوا إلى العربية، فهو يؤول إلى الشاعر الوزير محمد الأشعري الذي رعى المشروع منذ البداية وتابعه قارئا، محاورا، مشجعا، فَلَهُ امتناني.

قوس النصر

إشارات لابد منها:

ترد في القصائد علامات ورموز دالة على حذوف معينة ومتباينة على النحو التالي:

العلامة □: ترمز إلى حذف تام ورد في الأصل

العلامة [] : ترمز إلى حذف ناتج عن وجود عبارات أو كلمات ناقصة غير قابلة للتعويض أو التفسير.

... النقاط الثلاث ترمز عادة إلى الحذف من جانب المؤلف.

سونيتات ألبارو دي كامپوس

-I-

عندما أرى لا أحس بشيء.
لدي هوسٌ شديد بأن أحس
أنني مُضلَّل تماما، أحيانا، لدى
"خروجي" من تلك الأحاسيس التي أتلقاها
عبر النظر.

الهواء الذي أتنفسُه، المشروب
الذي أحتسيه
ينتميان إلى طريقتي في الوجود،
ولا أعرف كيف ينبغي لي أن أضع
حَدّاً للأحاسيس التي أنا مرغم على
الإحساس بها.

لم أتحقق أبدا، واقعيا،
مما إذا كنتُ حقًا أحس بما أحس،
أأنَا هو أنا كما أبْدُو من داخلي؟
هل سأكون كما أراني حقا؟
حتى على مستوى الأحاسيس أنا ملحدٌ بعض الشيء،
لا أعرف إن كنتُ
أنا الذي يُحسُّ ما يحس بداخلي.

لشبونة، (6 أشهر إلى 7 قبل قصيدة الأفيوني)
أغسطس 1913

-II-

ساحة فيغيرا صباحا،
لا تُنسى أبدا، عندما يكون النهار مُشمِسا
وكما يحدث دائما في لشبونة،
ولو أن ذاكرتي هذه باطلة.

ثمة أشياء أكثر أهمية
من ذلك المكان العاميّ
زيادة على اللزوم!
ذلك المكان الذي أحبه، حتى وهو كذلك...
كيف لي أن أعرف أنا لماذا أحبه؟
لا شيء يهم... إلى الأمام.

تستحق الأحاسيس العناء
ما لم تكن موضوع تفحُّص ونظر.
ولا واحد منها يتميز بالصفاء عندي.

إذ لا شيء فيَّ أكيدٌ
ولا شيء متوافق مع ذاته...
حتى الساعات الجميلة، ساعات الآخرين،
أو حتى تلك التي ليس لها وجود.

لندن (5 أشهر قبل الأفيوني) أكتوبر 1913

-III-

إسمع، دايزي: عندما سأموت
عليك أنت أن تقول لأصدقائي هناك في لندن،
ولو لم تحس على هذا النحو، بأنك تخفي
الألم الكبير لموتي. ستذهب

من لندن إلى يورك، حيث ولدتُ (تقول...
إني لا أُومن بما تقول لي)
لكي تحكي لذلك الشاب المسكين
الذي منحني ساعات كثيرة من السعادة،

ولو أنك لا تعرف ذلك، عن موتي...
حتى له هو، لمن خِلْتُني أحببتُه كثيرا.،
لا شيء سيهمه... واذهب بعدئذ

لتنبئ تلك الغريبة من Cecily
التي أكَّدتْ أنني سأصير عظيما...
أشعة تشطُر الحياة وتشطر
من يمشي عبرها؛

كتبت على السفينة التي أبحر فيها إلى الشرق
4 شهور قبل أفيوني، ديسمبر 1913

أفيوني

إلى السيد ماريودي سا - كارنيرو

مقاطع مختارة

قبل الأفيون روحي كانت متألمة.
الإحساس بالحياة يُحيي ويُفني
وأنا في الأفيون واهب السَّلوى أبحث
عن شرقٍ في شرقِ الشَرق.

حياتي هذه على ظهر السفن ستُوردُني الهلاك
إنها أيام فَحَسب من حُمَّى في الرأس
وأنا، على بحثي المضني حتى الإنهاك،
لم أجد قالبا مناسبا لوجودي

وعبر آلة كوراث، عبر
دولاب مُسنّن بمعجلات زائفة
أسير وسْط رُؤَى مشانق
في حديقة هوائية لكنْ ذات أزهار.

أمضي جاراً في الحقيبة
جريمة اقترفها جَدٌّ من جُدودي بالضرورة.
أعصابي متوترة مئة بالمئة
وأنا في الأفيون وقعتُ كما في حفرة.

مع المورفين المخدر
أسْرَح في شفافيات مختلجة
وفي ليلة حافلة باللوامع
مثل قَدَري يطلع القمر.

كنت طالبا سيئا على الدوام،
والآن لا أفعل شيئا غير النظر

إلى السفينة ترحل عبر قناة السويس
وأقود حياتي التي مِنْ كافور في الفجر.

ضيعت أياما. في زمن قديم سَأَسْتغلُّها.
اشتغلتُ لأظفر بالتعب وحده
فهو عندي اليوم ذراع على العنق
يضغط عليّ ويَحميني.

الحياة على ظهر السفينة حزينة.
وإن كان الناس يستمتعون أحيانا.
أُكلِّم ألمانا وسويديين وإنجليزا
لكنْ غَمٌّ وجودي يتواصل.

ربما لم يكن علي أن أتجشم
عناء الذهاب إلى الشرق
وزيارة الهند والصين
الأرض متشابهة وصغيرة جدا.

ولأجل العيش ثمة طريقة واحدة فحسب.
لذلك أتعاطى الأفيون
هو نوع من العلاج.
أنا رجل اللحظة المتنقّه
أعيش في طابق التفكير الأرضي
ورؤيتي الحياةَ ماضيةً تُضجرني.

أُدخِّن وأتعب. آه، أريد أرضا، في النهاية.
حيث إلى عُمْقِ الشرق ما كان للغرب أن يكون بدونه!
لماذا ذهبتُ إلى زيارة الهند الفعلية
إن لم تكن الهند موجودة، ما عدا الروح فيَّ؟

بائس لحسابي الخاص أنا
مني سرق الغجر الحظ
ربما لن أعثر، حتى جنب الموت،
على مكان يحميني من برودتي

تظاهرتُ بدراسة الهندسة
عشت في اسكتلندا، زرت إيرلندا.
فُؤادي جَدّة صغيرة
تطوف متسولة بأبواب الفرَح.

لا تصلي إلى بورسعيد، أيتها السفينة الحديدية!
انعطفي إلى اليمين، لا أدري إلى أين.
أقضي الأيام في قاعة التدخين مع الكونت، هو
لِصٌّ فرنسي، لِصٌّ نهاية الدفن..

مُسْتاءً أعُود إلى أوروبا، مع حظوظ
أن أصبح شاعرا وهميا.
أنا لنفسي، لكنني لست كاثوليكيا
ويَسرُّني أن أصير قويا.

ليس في مستطاعي أن أوجد في أي مكان.
وطني هو حيث لا أكون موجودا.

مريضا أمضي، هزيلا.
مفتش السفينة رجل نذلٌ
رآني مع السويدية... وتكهَّن بالباقي.

ذات يوم، سأثير فوضى على ظهر السفينة
فقط لكي يتحدث الآخرون عني.
أنا عاجز أمام الحياة وما أثيره من نقم
أعتبره أحيانا فاجعة وخيمة.

أُمضِي نهاري في التدخين، في تناوُل مشروبات،
مخدرات أمريكية مخبِّلة.
لَكَمْ أنا سكران بدون شراب!
وكما تهدى الورود وُهِبتُ أفضلَ دماغٍ
ملائم لأعصابي.

أكتب هذه الأسطر.
غير معقول أن أحس -مع لديَّ من مواهب-
أنني بالكاد أكتبها.

الحاصل أن هذه الحياة ضيعةٌ خلاءٌ
حتى الروح الحسَّاسة فيها تصاب بالضجر.

أنا أنتمي إلى فصيلة من البرتغاليين
الذين بعدما اكتشفوا الهند
أصبحوا بلا عمل.
الموت أمر أكيد.
في هذا فكّرتُ مرارا.

لو أن ما أعانيه هو الحُمَّى
لا أدري كيف تكون الحمّى وكيف يكون
الإحساس بها.
إنني في طور النقاهة، هذا هو الأساسي.
هذا الركض، الأصدقاء، هذه الأرنب..

لأن هذا سينتهي بطريقة سيئة، ينبغي
أن يكون ثمة دم ومسدس لوضع

حَدٌّ لهذا القلق الذي بداخلي
والذي ما من طريقة لتبديده.

من يراني يجدني مبتذلا
أنا وحياتي سواءٌ..
عُوَيْنتي أضحَتْ منتميةً لنموذج كوني.

ليتني كنت أبدو، من الخارج على الأقل،
بنفس الأهمية التي أملكها من الداخل!
في الدوامة أمضي، أكثر فأكثر باتجاه المركز.
عطالتي هي هلاكي.

كوني عديم النفع أمر في غاية الإنصاف،
لو كان بمستطاعي أن أحتقر الآخرين،
وأن أكون، بالكوعين المقطوعين،
بطلاً، مجنونا، ملعونا أو وسيما!

تراودني الرغبة في أن أُدني اليدين
من الفم وأعضّ بعمق مُحدثا أذى بالغاً.
سَيُمثِّلُ ذلك انشغالا أصيلا
ومُسلّيا للآخرين، الأصحاء كما ينبغي.

اللامعقول الذي لم أجده
في الهند يُولد، مثل زهرة الهند،
الضجر من عنائه في دماغي.
فليغيّر اللهُ حياتي أو فليُبْدها.

أتركوني هنا، على هذا المقعد
حتى يجيء من سيضعني في الصندوق.
ولدتُ لأكون موظفا كبيراً في الصّين،
لكن تنقصني الطمأنينة
تنقصني أرض وحصيرة صغيرة.

ما أرغب فيه في النهاية هو أن أمتلك
إيمانا وسكينة.

أن أتخلص من هذه الأحاسيس الغامضة
ليضع الله حدا لهذا!
ليفتح المحابس،
وكفى من المهازل في روحي

مارس 1914
في قناة السويس، على ظهر السفينة
نشرت في "أورفي" مارس، 1915

أناشيد*

أوه، الدقائق الأولى في مقاهي المدن الجديدة!
الوصول صباحا إلى الميناء أو إلى المحطات
الحافلة بهدوء مستريح وصريح!
المتنزِّهون الأوائل في شوارع المدن التي نصل إليها.
الصوت الخاص لمضيٍّ الساعات في الأسفار.

الباصات أو الحافلات أو السيارات...
المظهرُ الجديد لشوارع الأراضي الجديدة..
والسلام الذي يبدو أنَّها تجلُبه لألمنا،
والصخب السارّ لأحزاننا،
حاجةُ قلبنا المتعب إلى الرتابة!
الساحات المربعة والكبيرة بوضوح،
الشورع بالمنازل التي تقترب في النهاية
الشوارع الفرعية بما تكشفه من اهتمامات مباغتة،

---

* - عنوان أصلي.

وعبر هذا كله، الحركة، الحركة،
شيء سريع ملوّنٌ وإنساني يَمرُّ ويبقى...
الموانئ بسفن راسية
سفن كبيرة راسية
مع مراكب صغيرة قريبة تنتظر.

لكنْ حتَّى هكذا، فجأةً، شيئا فشيئا،
مُروراً بكل هذه الأشياء الحديثة والراهنة،
عبر كُلِّ هذه الأشياء وهذه الضوضاء،
كما لو أن هذا كله كان زجاجا كامدا شفافا
بهذا الضوء، عبر ضجيج الرافعات،
عبر فجوات نوسان المراكب،
مُصفًّى من خلال شقوق صفّارات البواخر،
متشرِّبا عمل الناس،
يعود، من خلال الحداثيّ والراهن،
الصوتُ البحري القديمُ يعودُ،
الصوتُ الخالد الدال على الأشياء المحيطية الكبرى.

نشيد الظفر*

على الضوء المؤلم لمصابيح المصنع الكهربائية
الضخمة أكتب محموما،
صَارًا بأسناني أكتب، مغتاظا مثل وحش
أمام كل هذا الجمال،
أمام كل هذا الجمال المجهول بالكامل من القدماء.
أوه، العجلات، التروس، ر-ر-ر-ر-ر-ر-ر-ر الخالِد
التشنج القوي المحبوس للآليات المهيَّجة!
المهيَّجة بداخلي وخارج ذاتي،
عبر كل أعصابي المشرَّحة،
عبر حَلَمات كُلٍّ ما به أُحس،
شفتاي جَفَّتا، لفرط سماعك عن قرب،
أيتها الجَلَبات الحداثيةُ الهائلة!
ورأسي يحتدم بسبب رغبتي في أن أغنيك
بإفراط تعبيري في أحاسيسي كلها،

*- عنوان أصلي.

بإفراط معاصر منْكِ أنت أيتها الماكينات!

محمومٌ وأنظر إلى المحركات كما لو إلى
طبيعة استوائية -مدارات إنسانية هائلة من حديد ونار وقوة-
أغني، وأغني الحاضر، وكذلك الماضي والمستقبل،
لأن الحاضر هو كُلُّ الماضي والمستقبل كله،
وثمة أفلاطون وفرجيل داخل الماكينات والأضواء
الكهربائية فقط لوجود الزمن القديم وأفلاطون وفرجيل
كانا إنسانيين. وأجزاء من الإسكندر المقدوني ربما من
القرن الخمسين، وذرّاتٌ ينبغي أن تكون محمومةً في
دماغ أسخيلوس من القرن المئة،
تمرُّ عبر أحزمة الاتصال اللاسلكي هذه، وعبر
المكابس، وهذه المقاود،
مزمجرةً، صارةً، مُفْرّيَةَ، مُخرِّمة، مُدوِّيَةً
مُحدثة فيَّ ملاطفات مفرطة في الجسد فقط
بملاطفة واحدة في الروح.

آه، لو بوسعي أن أُعبِّر تماما كماً يُعبر محرِّك !،
أن أكونَ تاما مثل آلة!

لوْ بوِسعي المضيُّ ظافراً عبر الحياة
كسِيارة آخر موديل!
لو بوسعي على الأقل، أن أتغلغل فيزيقيا في هذا كله،
أن أتمزق بالكامل، أن أنْحلَّ تماما، أن أصير مساما
لكل عطور الكاربورات والحرارات
وفُحوم هذه الزهرة الفخمة، السوداء ، الصناعية والشرهة

الأُخوَّة مع كل الديناميات!
اهتياجٌ مختلط من صيرورتي الجزءَ النَّشيطَ
من الدوران الحديدي والكوني
للقطارات المقدامة،
لنقل البضائع عبر السفن،
لدوران الروافع الشبقِ والبطيء،
للضجة المنضبطة للمصانع،

ولما يكاد أن يكون سكوننا هامسا ورتيباً
لأحزمة الاتصال اللاسلكي!

ساعات أوروبية، مُنتجة، مُدْرِكة
بين الماكينات والأعمال النافعة!
مدن كبيرة راسية في المقاهي*،
في المقاهي - واحات عدم المنفعة الصاخبة
حيث يتبلر ويترسب
ضوء **النافع** وإشاراته.
والعجلات، والعجلات الـمُسَنَّنة ووسائل التقدم!
منيرفا جديدة لا روح لها، منيرفا الأرصفة والمحطات!
حماسات جديدة بقامة **اللحظة**!
رافدات من صفيح حديد تبتسم مستندة إلى الأحواض،
أو مرفوعة بلا دعائم، في المستويات المائلة للموانئ!
نشاط دولي، عابر للمحيطات، Canadiane-pacific!
أضواء ومَضْيعات محمومة للوقت في البارات،
في الفنادق، في الـ Long champs وفي الـ Derbies

---

* - يقصد السفن الضخمة الراسية.

وفي الـAscots، والـPicadillies وشوارع
الأوبرا التي تنفذ إلى داخل روحي!

هي - لأَنَّ الشوارع، هي- لأَنَّ الساحات، هي- لا- هُو الجنون!
كَلُّ ما يمر، كُلُّ ما يتوقف أمام الواجهات!
تجار؛ مشردون، مخنثون مفرطو التأنق؛
أعضاءُ معروفون في نواد أرستقراطية؛
هيآتٌ ضامرة غامضة؛ أرباب أُسَر سعداء
وأبويُّونَ حتّى من خلال السلسلة الذهبية التي
تقطع الصّدريّةَ من جيب إلى جيب!
كلُّ ما يمر، كل ما يمر ولا يمر أبدا!
الحضور المبرَّز للقوادات زيادة على اللزوم؛
تفاهة مثيرة للاهتمام (ومن يعلم أيُّ شيء آخر ثمة في الداخل؟)
للبورجوازيتين الصغيرتين، الأم وابنتها عموما،
إذ تسيران في الشارع لأيِّما سبب؛
التغنُّج الأنثويُّ والمزيف لِلّواطيين الذين يمرُّون، متباطئين؛
وكل الناس الأنيقين بلا تَصنُّع وهم يتفسحون ويستعرضون ذواتهم

ولهم في النهاية روح في الداخل!
(آه، كيف أرغبُ في أن أكون قَوَّاداً - لهذا كله!)
الجمال العجيب لأنواع الفساد السياسي،
فضائح مالية ودبلوماسية ممتعة،
اعتداءات سياسية في الشوارع.
ومن حين إلى آخر جريمة قتل الملك
طيّارة ورقيةٌ تضيء السماوات المألوفة واللطيفة
للحضارة اليومية أُعجوبةً وتبجُّحا؛

الأخبار المفنَّدة للصحف،
مقالات سياسية صريحة على نَحْوٍ معكوس،
أخبار Passez-à-la caisse، جرائم كبرى
- تنتقل في عمودين إلى الصفحة الثانية!
الرائحة الطازجة لمداد المطبعة!
اللافتات الملصَقةُ منذ قليل، مبلَّلةً ما تزال!
Vients-de-paraitre صفراء بشريط أبيض!
كَمْ أُحبكنَّ جميعا، جميعاً، جميعا،

لَكَمْ أحبكنَّ بجميع الأشكال،
بالسمع والنظر والشم
وباللمس (وهو ما يعني عندي لمسهن!)
والذكاء مثل هوائيٍّ تجعَلْنه يَهْتزُّ!
آه، كَمْ تتهيَّجُ كُلُّ الحواس من أجلكن!

سمادات، درّاساتٌ بُخَارية، تَطوُّرات في الفلاحة!
كيمياء فلاحية، والتجارة تكاد تصير عِلْماً!
آه مَسَاطر مسافري التجارة،
مُسَافري التجارة، فرسان الصناعة الجوّابين،
التمديدات الإنسانية للمصانع والإدارات الهادئة!

أوه للأثواب في الواجهات المتجرية، أوه للآلات،
أُوه آخِر الآلات!
أوه للمَواد اللامجدية التي يرغب في شرائها الجميعُ!
مَرْحى؛ مخازن كُبرى ذات فروع متعددة!
مرحى؛ إعلانات نَيُّونية، تضيء وتنطفئ!

مرحى، بكل ما يُبنَى اليوم، بكلِّ ما هو
اليَوْم مختلف عن أمس؛
إيه، إسمَنْتٌ مسلَّح، خرَسان، تقنيات جديدة!
تطورات في الأسلحة المدمرة!
مدرَّعات، مدافع، مدافع رشاشة،
غواصون، طائرات!

أحبكنَّ جميعا، جميعكُنَّ، حُبَّ حيوان مفترس.
أحبكنَّ حُبَّ أكَلة اللحوم،
بشذوذ وأُلُفٌ نظرتي حولكن،
آه، يا أشياء كبيرةً، مبتذلة، نافعة،
غير نافعة،
آه يا أشياءَ حديثةً جدا،
يا معاصراتي، يا شكلا راهنا وقريبا
للنظام المباشر للكون.
ثورة إلاهٍ جديدةً معدنية وديناميةً!

آه، مصانع، مختبرات، أو *music-halls

Oh luna Parks

آه، المدرعات، آه، القناطر، الأرصفة العائمة،

في ذهني المضطرب الموهج،

أضاجعكُنَّ بالكامل، مضاجَعة امرأة حسناء

بلا حُبٍّ، امرأة نلتقيها مصادفة فتثيرُ شديد اهتمامنا!

إيه -آهُ- هُو، واجهات المتاجر الكبيرة!

إيه -آهُ- هُو، مصاعد البنايات الكبيرة!

إيه -آه- هُو، إعادة التنظيمات الوزارية!

برلمانات، سياسات، سكرتيرو الميزانيات،

ميزانيات مزوَّرة!

(ما من ميزانية إلا وهي طبيعية مثل شجرة،

كذلك البرلمان جَميلٌ جمال فراشة)

مَرْحى، اهْتمام بِكُلِّ شيء في الحياة،

لأن الكل هو الحياة، مما يلمع في الواجهات

* - بالإنجليزية في الأصل.

حتى الليل، الجسر الخفي بين النجوم
والبحر القديم والجليل، يغسل السواحل
وهو نفسه الذي كان على عهد أفلاطون
عندما كان حقا أفلاطون
في حضوره الحقيقي وبجسده مع الروح بداخله،
وهو يكلم أرسطو الذي ما كان ينبغي أن يكون تلميذَهُ!

باستطاعتي أن أموت مسحوقا من قبل محرِّك
مع الإحساس بالاستسلام اللذيذ لامرأة تُضَاجَعُ.
إقذفوا بي داخل الأفران العالية!
أطرحوني أسفل القطارات!
واجلدوني جنب السفن!
إنها المازوخية عبر الماكينويَّة!
ساديةٌ ما لست أدري مِنْ حداثي وأناً وضوضاء!

Aupa, jockey فقد ربحت الـ Derby
قَضْمَ* tu cap ذي اللونين!

*- بالإنجليزية في الأصل وتعني، قبعة.

(أن أكون طويلا بحيث لا أستطيع الدخول من أي باب!
آه، النظر عندي شذوذ جنسي!)
إه-إه-إه، يا كاتدرائيات!
دَعْنَني أَهشِّم رأسي على زواياكُنَّ،
ولأنهض من الشارع ملطخا بالدم
بدون أن يعرف أحدٌ من أكون!

آه، يا تَرامات جبلية، عواصمية،
إدعكْنني بكنَّ حتى التشنج!
هوي- هوي- آي، آي، آي!
أطلقن القهقهات ملء وجهي،
أوه، يا سيارات محشوَّة بالداعرين والقحاب،
يا حُشُود الشوارع، لا فرحة ولا حزينة،
يا نَهْرا غُفْلا متعَدّد الألوان حيث ليس بإمكاني
الاستحمام كيف أشاء!
آه، يا للحيوات المعقَّدة، كم من أشياء عبْر
كل المنازل في هذا كله!
آه، أن أُطَّلع على حياة الجميع، على المصاعب المالية،

الخلافات المنزلية، العُيوب التي لا تُثير الارتياب،
الأفكار التي تراود كُلَّ واحد منّا منفردا في غرفته،
والحركات التي يقوم بها حين لَا أحد يستطيع رؤيته!
عدم معرفة شيء من هذا هو أن يُجهل كلية، يا للغيظ!،
يا للغيظ الذي، مثل حُمّى وحمية وسَغَبٍ،
يستبدُّ بوجهي ويَهُزُّ أحيانا يدي
في تَشنُّجات عَبثية وَسَط الحشود بالذات
في الشوارع المليئة بالتدافعات!

آه، والأوباش القَذرون، الذين يظهرون دائما
على ما هُمْ عليه، والذين يتلفظون بالبذاءات
كألفاظ عادية،
وأبناؤهم بأبواب المتاجر يقترفون السرقة،
وبناتهم في سن الثامنة -وهذا يبدو لي جميلا ورائقا-
يَجْلدْن عُمَيْرة لرجال مُحْتَشمي المظهر
في فجوة السّلَم!
آه، الغوغاءُ التي تسير عبر السّقالات

وتمضي إلى بيوتها عبر أزقةٍ لا واقعيّة تقريبا
لضيقها ونتانتها!
جنسٌ بشري عجيب يعيش مثل الكلاب،
تحت كل النظم الأخلاقية،
ممّا لم تُخلق من أجله أي ديانة،
ولا أي فن،
ولا سياسة!
لكَمْ أُحبُّكُم جميعكم، لأنّكُم هكذا،
لا أنتم فاسدون على ضعْتكُم، لا بأخيار ولا بأشرار،
منيعون على كل أشكال التَقدم، أنتم
الحيوانات العجيبة لأعماق بحر الحياة!

(في ناعورة روضي المنزلي يدورُ
الحمار ويدور،
وسرّ العالم كله هو بحجم هذا الدوران.
إمسَح العرق بالذراع، أيُّها العامل المُستاء.
نور الشمس يخنُق سكون الأفلاك

وجميعنا سنموت،
أوه، يا غابات الصنوبر الغسقيةَ المعتمة، حيث كانت
طفولتي شيئا آخر غير
مَنْ كُنْتُه الآن...!

لكنْ، آه، مرة أخرى الغيظ الميكانيكي الثابت!
مرة أخرى، الوَسْواس المهيّج للأتوبيسات.
ومرة أخرى هياج الذهاب في آنٍ واحد
داخل كل القطارات
لكل جهات العالم،
أن أقول وداعا بجوار جميع السفن التي
هي في هذه اللحظات بصدد رفع المرساة،
أو الابتعاد عن الأرصفة.
آه حديد، فولاذ، ألمنيوم، صفائح حديد ملوًّى!
آه، أرصفة، موانئ، مواكب، رافعات، جرارات!

إيه -آه كوارث كبرى للقطارات!
إيه -آه انهيارات ممرَّات المناجم!
إيه -آه حوادث غرق ممتعة لسفن المحيطات الكبيرة!
إيه -آه ثوارات هنا، هناك، هنالك،

تزويرات في الدساتير، حروبٌ، معاهدات، اجتياحات،
ضجيجٌ، مظالم، اغتصابات، وربّما عما قليل تأتي النهاية،
اجتياحُ البرابرة الصُّفر الأكبرُ لأروبا
ثم شمس أخرى في الأفق الجديد!

فيمَ يهمُّ هذا كله؟ لكنْ فيم يهم هذا كله الصَّخبَ
المعاصر الساطع والأحمر،
الصخبَ القاسي والممتع لحضارة اليوم!
كلُّ هذا يطفئ كلَّ شيء، عدا اللحظة،
لحظة الجذع العاري والساخن مثل وقَّاد بخاري،
اللحظة الصاخبة والميكانيكية بشذوذ،
اللحظة، مُرورٌ ديناميكي لكل كاهنات

الحديد والبرونز وسُكْر المعادن.
إيَا -قطارات، قناطر، فنادق، ساعة العشاء،
إيا -أجهزة من كل الأهداف، حديدية، خام، صغيرة،
آلات الدقة، أجهزة السحق، الحفر،
مثاقب، مطابع دوارة.

إيا، إيا، إيا!
إيا-كهرباء، أعصاب المادة المريضة!
إيا التلغراف اللاسلكي، لطافة معدنية للاّشعوري!
إيا، أنفاق، إيا قنوات، بَنَما، كييل، سويس!
إيا كل الماضي داخل الحاضر!
إيا كل المستقبل الآن داخل ذواتنا!
إيا، إيا، إيا، إيا!
ثمار حديد ومنافع الشجرة - المصنع الكوني!
إيا، إيا، إيا! إيا- هو- هو -هو!
لا أدري إن كنت موجودا لأجل الداخل.
أدور وأدور أبذل قصارى جهودي.

أُعَلَّق على جميع القطارات.
أرفع كل الأرصفة
أدور داخل مراوح المراكب جمعاء.
إيا! هُوّرا! إيا!

إيا، أنا الحرارة الميكانيكية وأنا الكهرباء!
إيا، وقضبان السكة وبيوت الآلات وأُوروبا!
إيا أورا لأجلي - الكل وفي الكل، ماكينات شغالة، إيا
أن أثب مع الكل فوق الكل! أوپا!

أوپا، أوپا، أوپا، أوپا!
ألا؛ أولا؛ أو - و - و-و-و!
ز-ز-ز-ز-ز-ز-ز!
آه، ألا أكون أنا العالم أجمع والأماكن كلها!

لندن، يونيو 1914 من كتاب مهيإ للنشر
بعنوان قوس الظفر-
مجلة أورفي 1، مارس 1915

مقطعان من الأناشيد

(تتمة نشيدين، طبعا)

-I-

....

تعال، أيها الليل* القديم والمتطابق.
أيها الليل الملك المولود مخلوعا عن عرشه،
يا ليلا مساويا للصمت من الداخل،
ليلا بالنجوم الخرزية السريعة
في ثوبك المطرَّف باللانهائي.

تعال، بغموض،
خفيفا تعال،
تعال وحيدا، مهيبا، بلا يَدَيْن مُرْخاتين
بجانبك، تعال
واجلب الجبال القصيَّةَ مع الأشجار القريبة،

* - صيغة تذكير الليل، في العربية، تحرم القصيدة من إيحاءات الأمومة والحنو والملاذية التي تمنحها صيغة التأنيث Noite في البرتغالية للنص الأصلي، وهو ما دفعني في سياقات لاحقة محدودة إلى استخدام صيغة التأنيث، الليلة أو الليالي للمطابقة مع الأصل.

إصْهَر في حقلك أنْتَ كل الحقول التي أراها،
إجعل من الجبل كتلة فحسب لجسدك،

أُمْحُ به كلَّ الفوارق التي أراها نهارا،
كُلّ الشّعاب المصعِّدَة إليه،
كل الأشجار المتنوعة التي تجعلها خضراء مُعتمة من بعيد،
كُلّ الدُّور البيضاء وبالدخان بين الأشجار.
ولْتَتركْ فحسب ضوءاً واحدا وآخر فآخر،
في المسافة الملتبسة والمبلبلة بغموض،
في المسافة التي فجأة يستحيل عبورها.

أيها الليل
يا سيد الأشياء المستحيلة التي سُدى
نبحث عنها،
والأحلام التي تأتي في الغَسَق لرؤيتنا، على نافذة
الغايات التي تراودنا
في الحواشي الكبيرة للفنادق الكونية على البحر،

على الإيقاع الأوروبي للموسيقى وللأصوات
القريبة والبعيدة،
تلك الغايات التي تؤلمنا لمعرفتنا
أننا لن نُحقِّقها أبدا.

تَعاليْ وهدهدينا أيتها الليالي
تعاليْ ودَاعبينا
قبلينا بصمت في الجبين،
تقبيلا خفيفا في الجبين لأننا
لم نعرف القُبل إلا بسبب اختلاف في الروح،
بسبب نشيج غامض قادم بشفقة
من أقدم مَا فينا
حَيْثُ لأشجار الخرافة جذورُها وثمارها
هي الأحلام التي نداعبها ونحبها
لأننا نعرفها بغير علاقة مع ما يمكن
أن يوجد في الحياة

تعالَ أيها الفائق الجلال
والطافح برغبة خَفيّة في النشيج،
ربما لأن الروح كبيرة والحياة صغيرة،
وكل الحركات لا تصدر عن جسدنا،
ولا نبلغ إلا مبلغ ما يصل إليه ذراعُنا
ولا نرى إلا ما يبلغه مِنْ مدىً نَظرُنا

تعالي أيتها الليالي،
أيتها الأم المؤلمة لأحزان الخَفرين،
يا برج الحزانى المحتقرين العَاجيَّ،

يا يداً باردة على الجبين المحموم للمُهانين،
يا مذاق ماء النبع على الشفاه المتيبسة للمتعبين
تعالي، من أعماق الأفق الأدكن
تعالي واسْحبيني من حضيض الغَمّ حيث
أُومضُ وحدي، من حضيض القلق
وفرط الحياة والأحاسيس الزائفة حيث ولدتُ

خَلِّصيني من الأرض، أقحوانة منسيّة، ووسط
أعشاب عالية، يا أقحوانةً بين الظلال،
وَرقةً ورقة إقرئي فيَّ
المصير الذي لا أعرفه،
وانزعي ورقاتي لمتعتك الخاصة،
لمتعتك الصامتة والرطبة

ولْتَرْمِ أيها الليل بورقة من أوراقي صوب الشمال،
حيث مدن اليوم التي أحببت صخبها حُبَّ جَسدٍ.
ولترْم ورقةً أخرى إلى الجنوب
حيث البحار والمغامرات التي نحلم بها.
وارم ورقة أخرى لي إلى الغرب،
حيث يضطرم محمرّاً كلُّ ما قد يصير المستقبل.
وثمة صخب آلات كبيرة وصحارى كبرى صخرية
حيث الأرواح متوحشة والأخلاق لا وجود لها.
أما الورقة الأخرى، والأخريات، كل الأوراق
فَلتَرْمها إلى الشرق،

إلى الشرق، الذي منه يأتي كل شيء، النهار والإيمان، إلى
الشرق الكبير والمتعصب والساخن،
إلى الشرق، شرق المبالغات، الذي لن أراه أبدا،
إلى الشرق البوذي، البراهماني، السانتستي،
إلى الشرق الذي هو كُلٌّ ما ليس عندنا،
الذي هو كل ما لسناه،

إلى الشرق حيث المسيح -من يدري؟-
ما يزال -رُبّما- يحيا إلى اليوم،

حيث الله ربما موجود بالجسد ويحكم كل شيء...
تعاليْ أيتها الليالي فوق البحار
فوق البحار العليا،
فوق البحر بدونما آفاق محددة،
تعالي ومرّري يدك على ظهره الوحشي،
وهدِّئيه خفْيةً،

آه أيتها المروضة التي تُنوِّم
الأشياء الشديدة الاهتزاز!

تعاليْ أيتها الحانية، الأموميةُ تعاليْ،
خُطوةً إثر خطوة أيتها الممرضة الموغلة
في القدم، أنت التي جَلَسْتِ عند وسَادة آلهة
العقائد الغابرة،
وعاينْت ولادة جوبيتروجيوبا،
وأنت تبتَسمين، لأن الكل باطل لديك،
ما عدا الضباب والصمت،
والفضاء الملغى فيما وراءهما...
تعالي أيتها الليالي الصامتة والمنخطفة،
تعالي كي تُدثِّري بمعطفك الخفيف

فؤادي...
بهُدوء تام مثل نسيم في العشية البطيئة،
بهدوء مثل مداعبة أمومية،

مع النجوم متلألئة (آه أيتها المقنّعة المنتمية إلى الأبعد!)
غُبارٌ منْ ذَهَب على شعرك الأسود،
وبالتربيع الأخير للقمر قِناعاً مُلْغِزاً على وجهك.

كُلُّ الأصْوات تَرِنُّ بطريقة أخرى
عندما تجيئين.
عندما تجيئين تنخفض الأصْواتُ كُلُّها.
لا أحَد يراك تَدْخُلين.
لا أحد يعلم متى دخلت،
وإنما بغتة، إذ يُرى كلُّ شيء ينغلق،
وكلُّ شيء يفقد الأضواء والألوان،
وأن القمر يبدأ يومه وهو يَنمُو بجَلاء
دائرةً مُصْفرّةً، أو محضَ بياضٍ متبدِّد،
في السماء العالية الماتزال زرقاء وبيضاء
في الأفق المنظور.

-II-

....

آه للشفق، لحلُول الليل، إشعالِ
الأضواء في المدن الكبيرة،
آه ليدَ السرِّ التي تخْنقُ الضوضاء،
ووَهَنِ كل ما يفسد فينا إحساسا صحيحا
ونشيطًا بالحياة!
كُلُّ شارعٍ قناةٌ في بندقية للسآمات
وكم يبدو العمق الجمعيّ للشوارع مُلْغزاً،
للشوارع، حَالما يَحلُّ الليل، آه يا ثيساريو بيردي *
أيُّها المعلِّم، صاحب "إحساس رجل غربي" *
يا لَهُ من قَلَق عميق، يا لها من رغبة في أشياء أخرى
ليست لا أوطاناً، ولا لحظات، ولا حيوات،

---

* - ثيساريو بيردي (1855-1886) أول شاعر برتغالي أصغى إلى حياة الشوارع بحساسية جديدة. وقد أثر تأثيرا واضحا في بيسوا/كامبوس. وعبر تغنّيه بالمدينة يستدعيه بيسوا هنا مقدما تفسيرا مطولا للسطر الشعري لسلفه (في شوارعنا عند حلول الليل..) (عن المترجم الإسباني/أدولفو مونتيخو ناباس)..

* - "إحساس رجل غربي" عنوان أهم قصيدة، ربما لثيساريو بيردي. تعكس الروح البرتغالية بكل ثقلها التاريخي إزاء حداثة الغرب. مترجمة إلى الإسبانية من طرف خيسوس مونياريس، إيبريون، مدريد 1995.

يا لَهَا من رغبة، رُبّما في أشكال أخرى لأوضاع الروح
تُرطِّب داخلياً اللحظة البطيئَة القصية!

رُعْبٌ مُسَرنَم بين أضواء تُشعل،
رُعْبٌ حان وسائل مُسْتندٌ إلى الزوايا
مثْل متسول أحاسيس مستحيلة
لَا يَعْرفُ مَنْ بوُسْعه منْحه إياها...

عندما أموت،
عندما سأمضي، متصلبًا ومختلفا مثل الجميع
حقيرا من خارج، ومن داخل لا أحد يعرف أي كائن أكون،
عبر ذلك الطريق الذي يمكن أن نُواجهه مباشرة،
عبر ذلك الباب الذي، لو أمكننا الإطلالُ منه، ما أطللنا،
صوب ذلك الميناء الذي رُبّان السفينة يجْهلُه،
ليكُنْ ذلك في هذه الساعة الملائمة للملالات
التي عانيتها،
لساعة صوفية ورُوحيّة قديمة قديمة،

لهذه الساعة التي ربما في زمن أبعد مما يبدو،
رأى فيها أفلاطون، حَالماً، فكرة الله
تتخذ جسداً ووجوداً ملَائما
بوضوح داخل فكره الُمجَلّى[1] كمثل حقل.

فليكُنْ دَفْني في هذه الساعة،
في هذه الساعة التي لا أعرف كيف أعيش فيها
ولا أعرف أيَّ أحاسيس علي أن أحس بها
أو أتصنع الإحساس بها،
في هذه الساعة التي راحتُها معذِّبة مفرطة،
ظلالها تأتي من أيما شيء، وليس من الأشياء،
مُرُورها لا يمسّ أثوابا عبر أرض الحياة الحساسة
ولا يَتْرُكُ عِطْراً في مسالك النظر.

صَلّبي على الركبة اليدين، آه أيتها
الرفيقة التي لا أملكها ولا أرغب في امتلاكها،
صلِّبي على الركبة اليدين وانظري إلي في صَمْتِ

---

[1] - Exteriorizado

في هذه الساعة التي لا أستطيع أن أرى أنك
تنظرين إلي،
أنظري في صمت خِفْية إليَّ وأسألي ذاتك
نَفْسها - أنت التي تعَرفينني جيدا- من أكون؟...

1914-6-30

نشيد بحري

وحدي، في هذه الصبيحة الصيفية،
على الرصيف الخالي أنظر إلى جانب العارضة النهرية
إلى اللامحدَّد.
أنظر مبتهجا بمرأى سفينة محيطات، صغيرة،
سوداء واضحة تدخل الميناء.

قادمة من بعيد، بارزة، كلاسيكية على شاكلتها،
تاركةً وراءها في الهواء البعيد ذيلها الدُّخاني المبهم.
هي ذي تدخل الآن، فيدخل معها الصباح، وفي
النهر تستيقظ الحياة البحرية، هنا وهناك،
أشرعةٌ تُرفع، جَرّارات تتقدم،
مراكب صغيرة تنبثقُ من وراء السفن الراسية في الميناء.
ثمت نسيم غامض.
غير أن روحي مع ما أراه بوضوح أقل،

رُوحي مع سفينة المحيط وهي تدخل الميناء.
لأنّها مع المسافة مع الصباح،
مع الوجْهة البحرية لهذه اللحظة،
مع العَذوبة المؤلمة الصَّاعدة مني كالغَثيان
كبداية دوخة، دوخة في الروح.

أنظر إلى سفينة المحيط آتيةً من بعيد
وأنا مفعم بتحرر هائل في الروح، وهناك بداخلي
مُحرِّك يَشْرع ببطء في الدوران.

سفن المحيطات التي تدخل إلى العارضة في الصباح
تجلب معها عَينيَّ تجلبُ الأسرار الحزينة والمفرحة
لمن يصل ومن يرحل.
تجلب ذاكرات أرصفة نائية، وذاكرات لحظات أخرى،
لأنماط أخرى من نفسِ الحياة الإنسانيةَ في مناَطق مختلفة
كُلُّ رسوٍّ وكُلُّ إقلاع سفينيٍّ

-أحسُّ به كما لو في دمي-
محمّلٌ لا شعوريا برمزيّة طاغية، وهو يتوعَّدني
بدلالات ميتافيزيقية تعكِّر بداخلي من كنتُه من قبل...

آه، كُلُّ الرصيف لوعةٌ من حجر!
عندما تغادر السفينة الرصيفَ
ونرى، فجأة، أن مسافة متزايدة قد انفتحت
بين الرصيف والسفينة،
ينتابني، بدون أن أعرف لماذا، غَمٌّ طارئ،
ضبابٌ من مشاعر حزينة
يلمع تحت شمس هواجسي المتجددة
مثل النافذة الأولى التي يطرقها الصباح،
ويلفُّني كذكرى شَخْصٍ آخر
كان جزءا، مني في الخفاء.

آه، من يدري، من يدري
إن لم أكن رحلتُ، في قديم الزمن، قبل مَجيئي،

من أحد الأرصفة، إن لم أكن خَلّفتُ، مركبا
تحت الشمس ثَملا بالشروق؟
صنفا آخر من المَوانئ

من يدري إن لم أكَنْ خلّفتُ، قبل أن تشرق
لأجلي ساعة العالم الخارجي كما أراها،
رصيفا كبيرا ممتلئا بأناس قلائل
في مدينة نصف مستيقظة
مدينة تجارية، كبيرة، مهدَّدة،
إن كان ممكنا حدوث ذلك خارج المكان والزمان؟

أجَلْ، من رصيف ما؛ رصيف مادي على نحو ما،
واقعي، مرئي كرصيف. رصيف فعلي
هو الرصيف المطلق الذي تبعا لنموذجه
المُحاكَى لا شعوريا والمُستدْعَى بلا شعور
نبني نحن الرجال أرصفتنا في موانئنا،
أرصفتنا من حجر راهن فوق المياه الحقيقية،

أرصفتنا التي ما إن يكتمل بناؤها حتى تظهر فجأةً
كما لو أنها أشياء - حقائق، أشباح- أشياء،
أشياء - كيانات من أحجار - أرواح،

إزاء لحظات معينة من إحساسنا الجذري،
عندما في العالم الخارجي، وكَأَنَّ بابا ينفتح،
يبدو كُلُّ شيء مختلفا بِدون أن يتغير شيء.

آه يا للرصيف الأكبر الذي منه أَقْلعْنا في السفن - الأوطان!
الرصيف الأكبر السابق، الإلاهي والخالد.
من أيِّ ميناء؟ وفي أيِّ مياه؟ ولماذا أُفكّر في هذا كله؟
الرصيف الكبير كباقي الأرصفة، لكنَّه الأوحد.
مليء مثلها بالوشوشات الصامتة كُلَّ صباح
والمُشْرَعُ مع الصباح لصخب الرافعات،
ووصول قطارات البضائع
تحت السحابة السوداء العابرة والخفيفة
للدخان الصاعد من مداخن المعامل القريبة

والذي يُظلّل الأرض المسوّدة بقطع من فحم لامعة
كما لو كانت ظلا لسحابة ما لدى مرورها فوْق مياه داكنة.
آه، أيُّ سرٍّ جوهري، تُرى، وأيُّ معان حبيسة
في انخطَاف إلاهيٍّ كشاف،
في ساعاتِ بلَون هَدَآتٍ وهموم
لَيْست جسرا بين أيما رصيف والرصيف الأكبر!

رصيف منعكس، مُسوداً، على المياه الساكنة
دويٌّ على ظهر السفن،
أُوه لِروح الركاب الشاردة القلقة،
روحِ الناس الرمزيين الذين يمرون،
مع تلك التي لا تدوم لحظة
بحيث عندما تعود السفينة إلى الميناء
ثمت دائما تغيُّر على متنها!

أوه هُروبٌ متواصل، مغادراتٌ، نشوَةُ المتنوِّع!
الروح الخالدة للبحّارين والأسفار البحرية!

قُبَّعات منعكسة رويدا على المياه
عندما تُقلع من الميناء السفينة!
الطُّفوُّ كروح الحياة. الرحيل مثل صوت
أن نعيش اللحظة بارتعاش، على المياه الخالدة،
أن نُفيق على نهارات أقْوم من أيام أوروبا

أنْ نُشاهد موانئَ سرِّية فَوقُ عزلة البحر،
أن نَطْوي حُدوداً بعيدة باتجاه مشاهد
مباغتة شاسعة في انحدارات مدهشة لا تحصى...

آه، الشواطئ البعيدة، الأرْصفة المرئية من بعيد
وبعدها الشواطئ القريبة، الأرصفة المرئية عن كَثَب!
سرُّ كل ذهاب وكل إياب،
اللَاثبات والغموض المعذِّبان
لهذا الكون المستحيل الذي نحسه أكثر ما نحسه
في كُلِّ ساعة بحرية جديدة في الجلْد نفسه
والنشيج العبثي الذي تَذرِفه أرواحَنا

عَلَى امتداد بحار مختلفة ذوات جُزُر في الأقاصي،
عَلَى الجزر البعيدة للشواطئ المتجاوزة عند المرور،
عَلَى ذلك التَّنامي الجليِّ للموانئ بمنازلها وسكانها
أمام السفينة التي تقترب.

أوه، لطَراوة الصباحات التي نصل فيها
وشحَوبِ تلك التي نرحل فيها،
عندما أحشاؤنا تتقلص
وينتابنا إحساسٌ غامض كالخوف
-الخوف السحيق المتوارث من البعد والرحيل،
الارتياب المتوارث والسري في الوصول وفي الجديد-
يُقطِّب جلدنا ويُغثِّينا،
وكل جسدنا الجزع يحس
كما لو كان هو روحنا
برغبة لا تفسير لها في أن يستطيع الشعور بذلك
على نحو مختلف:

أهو حنين إلى شيء ما،
أم ارتباك في المشاعر؟ تُجاه أي وطنٍ مبهم؟
أي ساحل؟ أي سفينة؟ وأي رصيفٍ؟
يمرض فينا التفكير
فلا يبقى سوى فراغ هائلٍ في دخيلتنا،
مع قلق غامض كان سيكّون حجرا أو ألما
لو عرَف كيف يكُونه...

الصباح الصيفي بارد قليلا مع ذلك،
سُبات خفيفٌ من ليلة أمس ما يزال عالقا
بهبّات الهواء،

بداخلي يتَسارع دَورانُ المقْود.
وسفينة المحيطات تَدْخُلَ الآن؛ لأنها ينبغي أن تكون
داخلة بلا ريب،
وليس لأنني أراها تتحرك في مداها البعيد.

قريبةً تبدو في مخيلتي مرئية
بجميع الامتدادات الخَطِّية لكُواتها،
كُلُ ما في يرتعش، كل اللحم كُلُّ الجلد،
لأجل ذلك الكائن الذي لا يصل أبدا في أي سفينة
والذي جئتُ اليوم لانتظاره على الرصيف
بتوكيل غامض

السفن التي تدخل إلى العارضة،
السفن التي تغادر الموانئ،
السفن التي تمرُّ من بعيد

(أفترض أنني أراها من شاطئ خلاء)
كل تلك السفن المجردة تقريبا في مرورها
كلها تهزني كما لو كانت شيئا آخر،
لا مجرَّدَ سفن، تذهب وتجيء.

والسفن المرئية عن كَثَب ولو لم يقع
الإبحارفيها،
مرئيةً من أسفل، من التَنكات، أعالي
الأسوار الصفيحية، والمرئية من الداخل، عبر
القُمْرات، الصالونات، غرف الطعام،
الصواري وهي ترفرفُ في الأعالي،
وقد جُرفت الحبالُ وأُنزلت السلالم المتعبة،
واستُنشق كلُّ ذلك المزيجُ الطلائي المعدني والبحري
-السفنَ المرئية عن كثب، هي نفس السفن وهي شيء آخر،
تهَبُ الحنين والقلق نفسَه بصيغة أخرى.

كلُّ الحياة البحرية! الكل في الحياة البحرية!
في دمي تَغَلْغل كلُّ ذلك الإغواءُ الرهيف
وأغرقُ في تأمل الأسفار كلها بلا تمييز.
يا لَخطوط السواحل البعيدة المسقوفة بالأفق!
أوه. للأطراف، الجزرِ، الشطآن الرملية!

العزلات البحرية مثل لحظات في المحيط الهادي
تَجْعلنا نُحسُّ، في أعصابنا، لا أدري بتأثير
أي أوهام تلقيناها في المدرسة،
بكَوْن ذلك المحيط هو الأعظمُ بين المحيطات
وَبالعالم وبطعم الأشياء متحوِّلةً
إلى صحراء قاحلة في أنفسنا!
شُسوع المحيط الأكثرُ إنسانية وتلوثا!
المحيط الهندي، الأشد غموضا من باقي المحيطات!
والبحر المتوسط، العَذْبُ، الواضحُ، الكلاسيكي
البحر الجديرُ بأن يتكسَّر على سهول تتأملها
من حدائق قريبة منحوتاتٌ بيضاء!
كلُّ البحار، كل المضائق، كل الخلجان
أريد أَن أضمها إلى صدري، أن أحس
بها جيدا، ثم أموت!
وأنتن يا أشياء البحر، يا دُماي الحُلميّةِ العتيقة،

شكّلْنَ حياتي الباطنية خارج ذاتي!
أيتها الرافدات، دفّات السفن، الصواري، الأشرعة،
عجلات القيادة، الحبال، المداخن، المراوح، البيارق،

أشرعة الصواري، الكُوّات السفلية، الغلاّيات،
المصارف، الصمامات
تَساقَطْن أكداسا بداخلي، ولتتكوَّمْنَ
كالمخزون الغامض لصندوق مُفرغ على الأرض!
ولتكنَّ كنز تقتيري المحمومَ،
كنَّ ثمار شجرة مخيلتي،
موضوعَ أغاني، الدمَ الساري في شرايين ذكائي،
ولتكنَّ الآصرةُ التي تصلني عبر الجَمال
بما هو خارجي آصرتكُنَّ،
زَودْنني بالاستعارات، بالصور، بالأدب،
لأن مشاعري، في الحقيقة، جديا وحرفيا، .

مركبٌ بدفَّة معلقة في الهواء.
مخيلتي مرساة نصفُ مغمورة بالماء،
قَلقي مجذاف مكسور،
ونسيج أعصابي شبكة على الشاطئ تجفُّ!

في صُدفة النهر صفَّارة ترنُّ، وحيدة.
أرضيَّةُ دواخلي بكاملها ترتجف.
سرعة المقود تزداد أكثر أكثر بدواخلي.

يا لَسفن المحيطات، الأسفار، ألا يُعرف
مكان فلان الفلاني، البحَّار، المعروف لدينا!
يا لمجد أن نعرف أن رجلا كان معنا قد
مات غريقا بحذاء إحدى جُزُر المحيط الهادي!
نَحْن الذين معه كُنّا سنقول مع الجميع.
بزهْو مشروع، بثقة لا مرئية
بأن لذلك كله معنى أجملَ وأشملَ

من مجرد فَقْدِ المركب الذي كان مبحرا فيه
من كونه قد مضى إلى الأعماق لأن الماء ملأ رئتيه!
يا لَسُفن المحيطات، البواخر الفحميّة، السفن الشراعية
في البحر!
وأنا الذي أعشق الحضارة الحديثة، أُقبِّلُ بروحي الآلات،

أنا المهندس، أنا المتحضر، أنا الذي تربَّى في الخارج
لا أُريد أن أرى أمام عينيَّ سوى السفن الشراعية
والمراكب الخشبية،
ولا أرغب في أن أعرف عن الحياة البحرية
أكثر مما هو معروف عن حياة البحار القديمة!
لأن البحار القديمة هي مطلق المدى
هي البُعد الخالص محررا من ثقل الراهن...
وآه كَمْ يذكِّرني كلُّ شيء هُنا بتلك الحياة المثلى،
بتلك البحار العليا لأنَّ الإبحار فيها كان أكثر بطءا،
البحارِ العامرة الغامضة لأنَّ ما يعرف عنها قليلٌ.

كُلُّ بخار بعيد هو سفينةُ شراع قريبة.
كلُّ سفينة نراها الآن من بعيد هي سفينة
قد شُوهدت قريبة في الماضي.
كل الملاَّحين اللامرئيين على متن السفن في الأفق
هُمُ الملاحون المرئيون من زمن السفن القديمة،
من العهد الشراعي البطيء للملاحات الخَطرة،
عَهْد الخَشَب والخَيْش والأسفارَ التي كانت تدوم شهورا.
هذيان الأشياء البحرية يكتسحُني شيئا فشيئا،
فيزيقيا يخترقني الرصيف بأَجوائه،

مكرُ نهر التاج يَغْمُر حَواسِّي
فأبدأ في الحلم، في التلفُّف بحلم المياه،
وتبدأ خيوط الاتصال في إيصال الحركة جيدا
إلى روحي، بينما سرعة المحرك تخضّني بوضوح.

تناديني المياه،
تناديني البحار،
تناديني الأقاصي، رافعةً صوتا جسدانيا،
كلُّ العصور البحرية المحسوسة في الماضي تناديني

أنت أيها البحار الإنجليزي، جيم بارنس،
يا صديقي، كنتَ أنت
من علَّمني تلك الصيحةَ الإنجليزية الموغلة في القدم،
والتي تُلخّص، بتسمُّم بالغ،
للأرواح المعقدة مثل روحي
نداء المياه الغامض،
الصّوْتَ غير المسبوق والضمنّي لكل أشياء البحر،
صَوْت السفن الغريقة، الأسفار السحيقة،
الرحلات الخطيرة.

صيحتك الإنجليزية تلك. حدث كوني في دمي،
بلا صياح، بلا شكل إنساني ولا صوت.

تلك الصيحة المرعبة التي تبدو آتية
من داخل مغارة قبوها في السماء،
كأنما تحكي عن كل الأشياء الكارثية
التي يمكن أن تحدث في البعيد، في البحر، عبر الليل...
(كنت دائما تتظاهر بمناداة سفينة ما
قائلا هكذا، ويدك على مجموع فمك،

جاعلا من يديك المَدْبوغتين المُسْودَّتين مكبر صوت:
آهو - أو أو أو أو أو أو- يي يي يي يي...
شونرآهو- أو- أو- أو- أو- أو- أو- أو- يي -يي يي...

من هنا أصيخ إليك السمع الآن، مستيقظاً لشيء ما.
الريح ترتعش، الصباح يطلع شيئا فشيئا، والدفء
يتفتح.
أشعر بخديَّ يتورَّدان.
عيناي الصاحيتان تتسعان.
يَصّاعد الانخطاف فيَّ، ينمو، يتقدم،.

وبضجيج تمرُّدٍ أعمى يشتدُّ
الدورانُ الحيُّ للمقود.

آه، أيها النداء المدوِّي،
لسعيركَ واحتدامك بداخلي تغلي
كَل الرغائب في وَحْدة متفجّرة،
سآماتي تتفجر حيويةً، كُلُّها
نداءٌ موجَّةٌ إلى دمي
من حُبٍّ غابر، لا أدري أين، يعود إليَّ
وما يزال يمتلك القدرة على دفعي إلى
كراهية هذه الحياة
التي أمضيها بين اللاشفافية النفسية والجسدية
للناس الواقعيين الذين معهم أعيش!

آه، كائناً ما كان الحال، وأيا كانت الوجْهة،
الرحيلَ، الرحيلَ، الذهابَ من هنا، عَبر الأمواج،

عبر الخطر، صوب المدى المجرّد،
بلا تحديد، عبر الليالي الغامضة العميقة،
محمولا كالعجاج مع الرياح، مع العواصف،

الذهابَ، الذهابَ، الذهاب، الذهاب مرّةً واحدة!
كُلُّ دمي سعار من أجل الأجنحة!
جسدي كله مثل السيل في خيالي
ينقذف صوب الأمام!

أُجندل، أزعق، أنْهارُ
رغباتي تتفجر رغوة
ولحمي موجة تتكسر على الوهاد الساحلية!

وإذ أفكر في هذا -يا للغيظ- إذ أفكر في هذا
-يا للغضب!-
وإذ أفكر في ضيق حياتي هذه المليئة قلقا
يجتاحني فجأة، مرتجفاً، مجاوزا كُلَّ حدٍّ،

بذبذبة داعرة، عنيفة، شاسعة،
لمقود مخيلتيَ الحيِّ، الشبقُ المظلمُ والسادي
لحياة البحر الخارقة، مصفرا مُدوّخاً.

إيه، أيها البحّارة، خفرةَ الصواري! إيه
أيها النوتيون، الربابنة!
الملاحون، القُواد، البحارة، المغامرون!
إيه، ربابنةَ السفن، أيها الرجالُ عند الدفَّة والصواري!
الرجال النائمون على الخَشن من الأسرَّة!
النائمون مع الخطر يراقبونَ من الكُوى!
أيها الرجال النائمون مع الموت على الوسادة،
الرجال ذَوُو المظلات من الجسور يشاهدون
الشُّسوع الفسيح للبحر الشاسع!
أيها الرجال، حَمَّالي رافعات الشحن!
إيه مُنْزلي الأشرعة، وقَّادي الآلات، النوادل!
شاحني البضائع الواردة في الأقبية!

يَا مَنْ -يجذبون الحبال على ظهر السفينة!
ومن ينظفون معادن البويبات السفلى!
رجال الدفّة! رجال الماكينات! رَجَالَ الصواري!

إيه - إيه - إيه - إيه - إيه - إيه - إيه

رجال الخوَذات المقونَسة! رجال القمصان
المتخذَة من الشباك!
رجال المخاطف والرايات المطرّزة بالصليب على الصدر!
الموشومون! حَاملي الغلايين، رجالَ المهام الداخلية!
يا من اسْودّوا لفرط تعرضهم للشمس،
واندبغت جلودهم بغزارة الأمطار،
ذوي الأعين الصافية صفاء الشُّسوع المتاح لأبصارهم،
ذوي الأوجه الجريئة لكثرة ما تلقّوا منْ سِياط الرياح،
إيه - إيه - إيه- إيه- إيه - إيه - إيه !
أيُّها الرجال الذين رأيتُمْ باتاغونيا!

والذين مررتم بأستراليا!
يا من ملأتم نظراتكم بسواحل لن أشاهدها أبدا!
وذهبتم أرضاً إلى أراضي لن أحلّ بها بتاتا!
واشتريتم مواد خشنة في مستعمرات بجوَارِ الصحارى!
وكل ذلك فعلتموه كمن لا يفعل شيئاً،

كما لو كان فعلاً طبيعيا،
كما لو أن الحياة هي ذلك بالذّات،
كما لو أنكم لم تنجزوا أي هدف!
إيه - إيه - إيه - إيه - إيه - إيه
رجال البحر الراهن! رجالَ البحر الماضي!
القَيمُون على ظهرالسفينة! عبيد المراكب القديمة!
محاربي الليبانطو!
قراصنة عهد روما! بحّارة اليونان!
الفنيقيون! القرطاجيون! البرتغاليون
المقلعُون من ساغْريس صوب المغامرة اللامحدَّدة

صوب البحر المطلق، لتحقيق المستحيل!
إيه – إيه – إيه – إيه – إيه – إيه !
يَا مَنْ رفعتم نُصُبا تذكارية وأطلقتم
على رُؤُوس البحار الأسماء!
أيُّها الرجال الذين تاجَرْتُمْ مع الزنوج للمرة الأولى!
وبعْتم في البداية رقيق العالم الجديد!
يا من منحتم الزنجيات الذاهلات النشوة الجنسية
الأوروبية الأولى!

يا من جلبتم الذَّهَب، الحلي الرخيصة،
الخشبَ المعطَّر، السِّهام، من مُنْحدرات النبت الأخضر!
أيها الرجال الذين نَهَبْتُم بلدانا إفريقية آمنة،
وبدوي المدافع دفعتم أولائك الناس إلى الهروب،
وقتلتُم، عذّبْتم، نهبتم، فُزْتُم بالجوائز
على بدْعة من كان، محنيّ الرأس[1]،
يقتحمِ أسرار البحار الجديدة

[1]- لعله إنريكي البحار هو المعنيّ هنا.

إيه – إيه – إيه – إيه – إيه!
إليكم جميعا في واحد، إليكم كلكم في الكل
كأنكم واحد،
إليكم جميعا مختلطين، مشبّكين،
إليكم جميعا سفّاكين، عنيفين، ممقوتين،،
مرهوبين، مقدّسين،
أقدم تحياتي، أحييكم، أحييكم!

إيه- إيه- إيه- إيه- إيه- إيه- إيه- إيه
إيه- إيه- إيه- إيه
إيلاهو – لا هو- لاهو- لاهو- لاها- آ – آ- آ.

أريد الذهاب معكم، أريدُ الذهاب معكم،
معكم كلكم في الوقت نفسه،
إلى جميع الجهات التي ذهبتُمْ إليها
أريد أن ألقى وجْهاً لوجه ما لقيتم من مخاطر،

أن أحس في وجهي الرياح التي خدَّدَتْ أوجُهكُمْ،
أن أبصق من شفتيَّ ملحَ البحار التي قبَّلتْها شفاهُكُمْ،
أن أساعدكم في تَعَبكم، أقاسمكم عواصفكَم،
أن أُصلَ مثلكم، في النهاية، إلى موانىء رائعة!
أريد الَهروب معكم من الحضارة!
فقدانَ الحسِّ الاخلاقي معكم!
أريد أن أَحس بتغير إنسيَّتي هنالك في عُرض البحر!
أن أعُبَّ معكم، في بحار الجنوب،
همجيات جديدة، خضّات جديدة للروح،
نيرانا مركزية جديدةً في روًحي البركانية!
أريد الذهاب معكم، أريد التجرد -آه لتغرب من هنا!
من بَدْلتي المتحضّرة، من تصرُّفاتي الرَّخوة،
من خوفي الفطريَّ من السجون،

من حياتي المسالمة،
من حياتي القعيدة، الجامدة، المنظمة والمكررة!

في البحر، في البحر، في البحر، في البحر،
إيه، في البحر ضَعُوا حياتي، في الريح،
في الأمواج!
مَلّحُوا بالزبد الذي تَذْرُوه الرياح
حنكي، حنَك الأسفار الكبرى!
إجْلدُوا بسياط من ماء لُحُوم مغامرتي،
بللوَا ببرودات محيطية عظام وُجُودي،
اجلدوا، إقطَعوا، ادبغوا برياح، بزبد، بشموس
كينونتي الإعصارية المحيطية،
أعْصابي المتأهبة مثل حبال الأشرعة،
مثل قيثارة في يد الريح!

أجل، أجل، أجل... ! فلتصلبوني على الأسفار
البحرية وسيلَتذُّ بالصليب ظهري!

أوْثقُوني إلى الأسْفَار كما لو إلى أعمدة
فلسَوف يتوغَّلُ إحساسي بالأعمدة بداخل عمودي

الفقَري وسأنتهي إلى الشعور بها
مثلَ تشنُّج فسيح مُسْتكين!
إفعلوا بي ما تشاؤون مادام البحر،
مسرح ما تفعلون،
على سطح السفينة، على إيقاع الأمواج،
خَوْزقوني، اقتلوني، اجرحُوني!
ما أرَيد هو أن أحمل إلى الموت
روحاً طافحة بالبحر،
ثملةً، حتى الترنحّ، بأشياء البحر،
بالبحّارة كما بالمراسي، بالأطراف
بالسواحل البعيدة كما بعويل الرياح،
بالأقاصي مثلما بالرصيف، بغرَق السفن
كَمَا بالمُتاجرات الهادئة،
بالصواري مثلما بالأمواج،
أن أحمل إلى الموت، بألم، وبشهوانية
جسدا مليئا بأعلاق تمتصُّ، وتمتص،
أعلاقٍ خضراء غريبة بحرية!

افتلوا حبالا من شراييني!
اربطوني من عضلاتي!
اسْحَلوا جلدي، سمِّروني على الرافدات!
وليكُنْ بوسعي الإحساس بألم المسامير
إحساساً لا يُفارقني أبدا!
إصنعوا من قلبي راية أميرال
ساعة الحرب في الأسفار القديمة!
ادعَسُوا عينيَّ المسمولتين!

كَسّروا عظامي على جوانب السفينة!
اجلدوني مُوثقاً إلى الصواري، اجلدوني!
عُرضةً لرياح كلّ جهات العرض والطول
اسفحوا دمي فوق المياه المندفعة
التي تعصف بمظلة السفينة من جهة إلى جهة،
في انتفاضات العواصف الهوجاء!
أن أمتلك الإقدام أمام الرياح
العاصفة بنسيج الأشرعة!

أن أكون، مثل الصواري العالية، الصفيرَ
المُعْول للرياح!
قيثارةَ القدر العتيقة، قَدرِ البحار
العاجَّة بالمخاطر،
أغنية يسمعها البحَّارة ولا يرددونها بَعْدُ!

البحَّارة المتمردون
شنقوا رُبَّانَهُمْ بإحدى العارضات.
وآخرُ أنزلوه في جزيرة مقفرة.
شمس المدارات وضعتْ في شراييني الحامية
حُمّى القرصنة.
رياح باتاغونيا وشمَتْ مخيلتي
بِصُور فاجرةٍ ومأسوية.

نار، نارٌ، نار، بادخلي نار
دُمٌ، دمٌ، دم، دم،!
دماغي كلُّه ينفجر!

يتحوَّل العالم إلى حطام أحمر أمامي!
شراييني تنفجر بصَوْت حبَال السفينة،
وبداخلي تَنْدَفعَ وحشيَّة، شَرهةً
أغنية القرصان الأكبر،
صَوْتُ القُرصَان الأكبر زاعقا مغنياً،
حتى لَيَجْعَلَ الرعب ينزل عبر العمود الفقري لرجاله
هنالك في الكوثل محتَضَراً، زاعقا؛ يغني:
«خمسة عشر رجلا على صدر الرجل الميت
يا هو هو مع قنينة روم!»

ثُمَّ صارخا من بَعْدُ، بصوت غريب تفجَّرَ في الهواء:
ألا ما أَروع تلك الحياة... ألا
إيه - إيه - إيه - إيه - إيه - إيه!
إيه - لا هو - لا هو - لا غو - آ - آ - آ - آ!
إيه - إيه - إيه - إيه - إيه -
رافداتٌ مكسَّرة، سُفُن مشطورة عموديا، دُمٌ في البحار

سطوحُ سُفُن مُتْرعة بالدم، مزَق أجساد!
أصابع مبتورة على الحبال!
رؤوس أطفال هنا وهناك!
أناسٌ بالأعين مسمولةً يصرخون، يُولْولون!
إيه – إيه – إيه – إيه – إيه – إيه – إيه!
إيه – إيه – إيه – إيه – إيه – إيه – إيه!
أتلّفف بذلك كلّه كما لَوْ بمعطف في البرد!
أحتك به احتكاكَ قطة مغتلمة بجدار!
أزأر بذلك كَأسد جائع!
أندفعُ مثل ثور هائج ضدّ ذلك كله!
أغرز الأظافَر، أمزِّقُ المخالبُ، تَدْمى نَواجذي من العضِّ!
إيه – إيه – إيه – إيه – إيه – إيه – إيه!

بغتةً تَنْفجر، في مسمعي
مثل بُوق بجانبي،
الصيحةُ القديمةُ، لكنَّها الآنَ غاضبة، معدنية،

تنادي الفريسةَ وهي تلْمَح
المركب الشراعي الذي يدنُو،
آهو- أو أو أو أو أو أو أو أو - ي ي ي ي...
شونر أهو - أو أو أو أو أو أو - ي ي ي ي ...

العالم بكامله غيرُ موجود عندي. أشتعل احمرارا!
أُزَمْجرُ في هياج الصدام البحري!
القُرصَان الأكبر! القرصان - القيصر!
أنْهبُ، أقتل، أفترس، أحطِّم!
فحسب بالبحر، بالفريسة، بالنهب أُحسُّ!
فحسبُ أحسُّ في خفقاني، بخفقان
الشرايين في صُدغيَّ!
ما تحسُّه عيناي ينسفح دما ساخنا!
إيه - إيه - إيه - إيه - إيه - إيه - إيه - إيه !

آه، أيها القراصنة، أيها القراصنة، القراصنة!
أحبُّوني واكرهوني أيها القراصنة!
إخلطوني بِكُمْ أيها القراصنة

هياجُكم، قساوتُكم يا ما كلّمْت دمَ
جسد أنثويٍّ كان لي من قبل وما زال شبَقُه على
قيد الحياة!

أريد أن أكون حيوانا يمثّلُ جميع حركاتكم،
حيوانا يغرز الأسنانَ في الحبال، في الرافدات،
يَزْدَرد الصواري، يشرب الدم والقطران على
أسطح السفينة،
يمزق أشرعةً، مجاذيف، بكرات وَحبالاً،
حيّةَ البحر أريد أنثويةً وحشيّةً تتغذى
بالجرائم!

وثمة سنفونيةُ أحاسيسَ متنافرة متماثلة،
ثمة في دمي جوقةٌ من ضجّاتٍ جرائم،
ضجات متشنّجة من سهرات دمٍ في البحار،
فوّارة مثّل عاصفة من حَرٍّ في الروح،
غيمةٌ من عجاج ساخن تُغيِّمُ صحوتي

وتجعلني أحلم بذلك كله فقط بالجلد والأوردة!

القراصنةُ، القرصنة، المراكب، الساعة،
تلك الساعةُ البحرية التي تهاجم الفرائس فيها
ويغدو ذُعْر الأسارى هروبا نحو الجنون
تلك الساعة بمجموع جرائمها، بالرعب، المراكب،
الناس، البحر، السماء، الغيوم، النسيم،
الطول، العرض، الصراخ،
ليت ذلك كلَّه كان جسدي بكامله،
متألما، جسدي ودمي، مشكِّلا كينونتي
من حُمْرة تتفتح مثل جُرْح يتأكَّل الدم اللاواقعيَّ
لروحي!
آه، أن أكون الكُلَّ في الجرائم، أن أكون كُلَّ العناصر
المكوِّنة للاعتداءات على المراكب،
وللمذابح والاغتصابات!
أن أكون كُلَّ ما كانَ في أماكن النهب!
أن أكون كُلَّ من عاش أو مات في أماكن
التراجيديات الدموية!

أن أكون القُرْصان الذي يختصر القرصنة كُلّها في أوْجها
والضحيَّة - التركيبة، لكِنْ من لحم وعَظْم لجميع قراصنة
العالم!

أن أكون في جسدي المرأة - جميع - النساء -
المغتصبات، الميتات، الجريحات، الممزّقات
من قبل القراصنة!
أن أكون في كينونتي المذلّة الأنثى التي
ينبغي أن تكون هي!
وأن أحس بذلك كلّه - بكل تلك الأشياء مرة واحدة-
في العمود الفقري!

آه، يا أبطال المغامرة والجريمة، أبطالي المُشعَّرين القساةَ!
وحوشي البحريين، أزواجَ مُخيِّلتي!
يا معشوقي حساسيتي الزائفة الطارئين!
أردتُ أن أكون تلك التي تنتظَركم في الموانئ،
تنتظركُم أنتم، المعشوقين المبغضين لِدَمها القراصنيٍّ .

في الأحلام،
لأنها تستمتع مَعكُم، وإن روحيا فحسبُ،

مُغَاظة فوق الجُثَث العارية لضحاياكم
في البحر!
لأنها رافقتْ جرائمكُمْ، وفي السهرات المحيطية
المتهتّكة رقصَتْ روحُها، روح الكاهنة، لا مرئيَّةً
حول حركات أجسادكم، خناجركم، أيديكم
الخنَّاقة!
إنها على اليابسة، تنتظركُمْ، عندما تجيئون،
إن كنتُمْ تجيئون!
وهي ماضيةٌ لتشْرب في ولْوَلاتِ عشقكم
لكل ما هو شاسع،
كُلَّ العبير الغائم والمشؤوم لانتصاراتكم،
....

اللحم الممزّق، اللحمُ المطعون والمبقُور، جريانُ
الدم!
الآن، في أوج الحلم المقتضَب بما اقترفتُموه،
أُضيِّعُ كلَّ شيء فيما يتعلق بي، لم أعد منتميا إليكم،
صرتُ أنتم، أنوثتي هذه التي تصاحبكم

هي من صميم أرواحكم!
لَيتَني كنت في قلب همجيتكم كاملةً وأنْتُم تمارسونها،
وَددْتُ لو امتصصتُ من الداخل وعيكم بأحاسيسكم
عندَما خضَّبتم بالدم أعاليَ البحار،
عندما كنتُم من حين لآخر تقذفون إلى
أسماك القرش بأجساد جرْحى على قيد الحياة
وبلَحْم الأطفال الوردي،
ثمَ تأخذون الأمهات إلى سطح السفينة
ليُشاهدْنَ ما يحدث!
أَريد أَن أكون معكم في الذبح، في النّهْب!

أن أكُون معكم في أوركستراكُمْ في سنفونية القرصنات!
آه، ولا أدري ماذا، ولا كيف رغبت في أن أكون إياكُمْ!
ليس فحسبُ أن أكونَ أنثاكُم، إناثكم - ضحاياكُمْ،
أن أكون ضحاياكم- رجالا، نساءً، أطفالا، مَراكبَ-
لَيْس فحسب أن أكون الساعة والمراكبَ والأمواجَ،
ليس فحسبُ أرواحكُمَ، أجسادكم، غضبكم، تسلطكم،
ليس فحسب أن أكون بالضبط فعْلكم الفجوريَّ المجرَّدَ،
ليس هذا فحسب ما أردت أن أكُونهُ،

وإنما شيئا آخر أكثرَ من هذا: إلاهاً، لهذا كله!
ينبغي أن أكون إلاها، إلاها لعبادة معكوسة،
إلاها وحشيا وشيطانيا، إلاها لحلولية دموية،
حتى أتمكن من إشباع غضبي المتخيّل،
حتى لا أستنفد البتة رغباتي في التماهي
مع انتصاراتكم بعضا وكلاً بل أكثر من ذلك!
آه عذبوني لتَشْفُوني!
من لحمي اخلُقوا الهواء الذي تقطعه

سواطيركم
قبل أن تنزل على الرؤوس والأكتاف
لتكُنْ شراييني الثيابَ التي تخترقها السكاكينُ!
ومخيلتي السطح الذي عليه تَقتلون!
كلُّ حياتي في مجموعها العصبي، الهستيري، اللامعقول،
هي الجهازُ الأكبر الذي يتحوّلُ كلٌّ فعل قرصنة
تقترفونه إلى خلية واعية فيه، وأنا بكاملي
أُدوّم كنتانة شاسعة تتموّجُ
وقد صرتُ أنا الكل، كُلَّ ذلك!

الآن بسُرعة مفرطة، مرعبة
تدور الآلة المحمومة لرؤاي الجامحة
بينما شعوري / مقْودي
محضُ دائرة معتِمَة تصفّر في الهَواء
خمسةَ عَشَرَ رجُلاً على صدر الرجل الميت
يوها - هو - هو مع قنينة روم!

إيه - لا هو- لا هو- لا هو... لاها - آ- آآآ- آآآ...
آه، يا لَوحْشيّة هذه الوحشية، إلى الخراء
كُلُّ حياة مثل حياتنا التي ليست شيئا من هذا!
ها أنذا طوع أيديكم - عمليٌّ بالقسْر، حسّاسٌ
بكل شيء، هنا تجدونني متوقفا حتى عندما
أمشي، مقارنة بكُمْ؛ ضعيفا، عندما أفرض إرادتي؛
جامدا، مغلوبا، منشقّا، جَبانا أمام قوتكم، مجدكُمْ،
حيويتكم الهائلة، الحارة الدموية!

ويحي، يا لعجزي عن مجاراة هذياني!
ويحي، دائما أسير متعلقا بتنانير الحضارة!
أسير حاملا La danceur des mœurs
على ظهري مثل إبّالة دانتيلا!
حمالو الإنسانويّة الحديثة - نَحْنُ كلنا
كذلك - !
نوباتُ مسلولين، نورستينيين، لمفاويين،
مجردين من الشجاعة، من الإقدام والعنف،

بروح شبيهة بدجاجة مأخوذة من رجل واحدة!
آه، القراصنةُ! القراصنة!
الرغبة في اللاقانوني مُتّحداً بالهمجيِّ،

الرغبةُ في الأشياء المطلقة القسوة والوحشية
التي تقضم مثل شَبَقَ مجرَّد أجسادَنا النحيلة،
أعصابنا الأنثوية الرقيقة،
وفي نظراتنا الفارغة تدسُّ حمّى مجنونةً هائلة!
أجْبروني على الركوع أمامكم!
أهينُوني واجلدوني!
صيِّروني عبدا لكُمْ وشيئا من أشيائكم!
وليبْقَ احتقاركُمْ لي دائما لا يبارحني،
أوه، أسيادي يا أسيادي!

لنأخُذْ دوما باعتزاز بالجزء الخاضع
للأحداث الدموية والحساسيات الرحْبة!
فلتَنْهارُوا فوقي، مثل حيطان ثقيلة،

أوه، يا برابرةَ البحر القديم!
مزقُّوني واجرحوني!
عَلموا بالدم جسدي
من شَرْقه إلى غربه!
قَبِّلُوا بسواطير الصدامات البحرية
وبالسِّياط والسُّعار رغبي اللحميَّ من الانتساب إليكم،
رغبتي المازوخية في منح ذاتي لغضبكم،
في أن أكونَ موضوعا جامدا طيعا لقساوتكم القَوّارة،
أيها المهيمنون، الأسياد، الأباطرة، الأحصنة!

آه، عذبوني!
مزقّوني وشرحوني!
لأتفكَّكَ قطعاً واعية،
إدلقُوني عَلى السطوح،
بعثِروني عبر البحار، اتركوني
في الشواطئ الجشعة للجزر!
ولتُغذُّوا فيَّ كلَّ تصوُّفي لأجلكم!

أنقُشوا بالدم روحي!
اقطعوا، شُقّوا!
أوه، يا وُشّام مخيلتي المجسدنة!
سَالحي خضوعي الشهويَّ المحبوبين!
أخضَعوني كمَنْ يقتل كَلْبا برأس قدم!
صَيِّروني بئرا لاحتقاركم التَّسَلُّطيِّ!
إجعلوا مني ضحاياكم جميعا
وكما أن المسيح تألَّم لأجل البشَر كافة،
كذلك أريد أن أتألم كجميع الضحايا المقتولين
على أيْديكم،
أيديكم الفظيعة، الدموية بأصابعها المبتورة
في الاعتداءات الغادرة على جوانب السفن!

صَيروني شيئا ما، كما لو كنت مجرورا - يا للذة،
يا للألم الملثوم!-
مَجْرورا من أذيال خيول تلهبونها أنتُمْ بالسياط...
لكنْ ليكُنْ هذا في البحر، في البحـ - ر - ر -، هذا

في الـ – البـ – ب – ب – حر!
إيه – إيه – إيه – إيه ! إيه – إيه– إيه – إيه – إيه
إيه – إيه – إيه – إيه – إيه، في الـ – البـ – حـ – حـ – حـ – حرا
إيه – إيه – إيه – إه – إه – إه –إه – إه – إه–
إه – إه – إه !
الكل صياح، الكل يصيح ! رياح، أمواج، مراكب
بحَار، أشرعة، قراصنة، روحي، والدم، والهواء، والهواء!
إِه – إه – إه – إه ! إه – إه – إه – إه – إه ! الكل يغني،
صائحا
خمسة عشر رجلا على صدر الرجل الميت
يو – هو – هو مع قنينة روم!
إه – إه – إه – إه ! إه – إه – إه – إه – إه! إه–
إه – إه – إه – إه – إه.
هي– لاَ هُو– لاَ هُو – لا هو– أو–أو – أو – لا ها – آ – آ – آ آ آ!
آ هو – أو – أو – أو – أو – أو – أو... إي إي إي !...
شُونو أهو – أو – أو – أو– أو– أو – أو – أو.... إي إي إي !
داربي ما غري أوي – آو – آو آو !
داربي ما داريو – آو – آو – آو – آو – آو – آو – آو !

إه – إه – إه – إه – إه – إه – إه

إه – إه – إه – إه – إه– إه – إه – إه – إه

إه – إه – إه – إه – إه– إه – إه

إه – إه – إه – إه – إه– إه – إه – إه!

إه – إه – إه – إه – إه– إه – إه – إه– إه!

شيءٌ ما يتحطَّم فيّ. حمرة الشفق ٱلْيلَتْ.
لفرط ما أحسست لم أعد قادرا على مواصلة الإحساس.

لقد استُنفدتْ الروح لَدَيّ. ثمت صدى فحسبُ بَقِي في روحي.
سُرعة المقود تَتَناقص بشكل محسوس.
يدا عينيَّ تبعداني قليلا عن أحلامي.
ثمت بداخلي فراغ فحسب، صحراءُ، بحرٌ ليليّ.
وإذ أحس بوجود بحر ليلي بداخلي يصعَدُ
من بعده، تُولد من صمته،
مرة وأخرى الصيحة الشاسعة الموغلةُ في القدم،
فجأةً، مثل برق بصوت يبتعث حُنّواً
لا ضجيجا،
فجأة يغمرُ كل الأفق البحري

صخبٌ إنساني رطب مُظْلمٌ ليليٌّ،
صوتُ حورية بعيدٌ يبكي، مناديا،
آتيا من أعماق الأقاصي، من عمق البحر، من روح
المهاوي وعلى السطح تطفو
كالطحالب أحلامي المحطمة...
آهو - أو - أو - أو - أو - أو- أو- إي - إي !ي ...
شونر أهو - أو - أو - أو - أو - أو - أو - أو - أو - إي إي إي.

آه،
الندى يُبلِّلُ هياجي!
الطرواة الليلية في محيطي الداخلي!
هَا هُنا كل ما فيَّ، فجأة، أمام ليلة في البحر طافحةٍ
بالغموض الإنساني الهائل للأمواج الليلية.
البدر يطلع في الأفق
وطفولتي السعيدة تستيقظ فيَّ مثل دمعة.
الماضي يستيقظُ كما لو أن تلك الصيحة البحرية
كانت أريجاً، صَوْتاً، صدى أغنية جاءت لتدعُو

ماضيٍّ إلى تلك السعادة التي لن أمتلكها أبدا مرةأ أخرى.
كانَ ذلك في المنزل القديم الهادئ، بجانب النهر...
(نوافذ غرفتي، ونوافذ غرفة الطعام كذلك، كانتْ
تشرف على بضعة منازل خفيضة، عند النهر القريب،
نهرِ التاج، نفس هذا التاج، وإنْ في موضع آخر أكثر
انخفاضا... لو الآن أطللتُ من نفس النوافذ
لَنْ أطلَّ من النوافذ نفسها.
ذلك الزمن ولَّى مثل دخان باخرة في أعالي البحار...)

حنُوٌّ لا يُفسّر،
ندمٌ مؤثّر دامع
لأجل كل أولائك الضحايا - لا سيما الأطفال-
الذين حلمتُ بخلقهم بتخيلي نَفْسيَ قُرصاناً
قديما،
انفعالٌ مؤثر، لأن أولائك الضحايا كانوا ضحاياي،
انفعال حان ورقيق، لأنهم لم يكونوا ضحاياي
في الواقع،

حَنوٌّ غامض مثل زجاج مُغَشَّى، مَزْرقٍّ،
يشدو أغاني قديمةً داخل روحي المسكينة المعذبة.
آه، كيف فكّرتُ وحلمت بتلك الأشياء؟
ما أبعدني عَمَّنْ كنتُه منذ لحظة!
هسْتيريا الأحاسيس - تارة هذه، تارة تلك
النَقيضة لها!
كيف، في شُقْرة، الصباح النامية، لا تختار
أذني سوى الأشَياء المتطابقة مع هذا الإحساس:
الهديرُ الخفيف لمياه النهر إذ تتكسّر
على الرصيف...،

المركب الشراعي الذي يمر قريبا من ضفة
النهر الأخرى،
التلالُ البعيدة، بزرقة يابانية،
منازل الألمادا[1]،
وكلّ ما هناك من لطافة وطفولة في الساعة المبكرة...!

[1]- بلدة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر التاج.

يمر نورس
فتكبرُ رقّتي.

لكنْ أثناء ذلك الزمن كلّه لم أكن أركِّز في شيء.
كل هذا كان فحسب انطباعا خارجيا في الجلد،
مثل مداعبة.
طوال هذا الزمن كله لم أبعد عينيَّ عن حُلمي البعيد،
عن منزلي
وطفولتي جنب النهر
عن نوافذ غرفتي المطلة على النهر ليلا،
وعلى سكينة القمر المبعثر على المياه...!
خالتي العجوز التي كانت تحبني بديلا لابنها الذي فقدته...

خالتي العجوز اعتادتْ أن تغنّي لي كي أنام:
(كم أنا كبيرة، كما كنت، على ذلك!)
أتذكر، بَيْنَما الدموع تنهمر على فؤادي فتغسله
من الحياة،

وبداخلي يتصاعد نسيمٌ بحري خفيف.
أحيانا كانت تغني لي «مركب كاترينيتا»:
«هنالك يمضي مركب كاترينيتا
فوق مياه البحر...»

وأحيانا أخرى، كانتْ تغني، بلحن قروسطوي جداً
مُشبع سوداويةً، "الأميرة الجميلة"... أتذكر، والصوت البائس
العجوز يَنْحَفِرُ بداخلي.
وأتذكّر كمْ تذَكرتها قليلا فيما بعدُ، وكَمْ كانت تحبني!
كم كنت جَحُوداً معها – وفي النهاية، ماذا صنعتُ بالحياة؟
وكانت "الأميرة الجميلة"... وكنت أغمض عينيَّ قليلا وهي تغني:

«بينما الأميرة الجميلة
في حديقتها جالسة...»
ثم كنتُ أفتح عَيْنيَّ قليلا فأرى النافذة مَغْمورةً بالقمر، بعدئذ
أغمضهما من جديد، وأنا سعيد بذلك كله

«الأميرة الجميلة
جالسة في حديقتها
بمُشط ذهبيٍّ في اليد
تمشط شعرها...
آه ماضي طفولتي، دُميتي التي كسروها!

إذ كيف لي أن أسافر إلي الماضي، إلى تلك الدار وذلك الحنان،
لأمْكُثَ هناك على الدوام، طفلا على الدوام، سعيداً على الدوام!
لكن ذلك كله ماض، مجرّد فَنَار في زاوية شارع قديم.
التفكيرُ فيه لا يمنح غير البرودة، غيرَ التعطش لشيء
لا يمكن امتلاكه
التفكير في هذا كله يبعث فيَّ ندما بلا معنى ولا كُنْه.
آه، يا زوبعةً بطيئة من أحاسيس متضاربة!
يا دُوارا واَهناً لأشياء غامضة في الروح!
تهيُّجات مجَهَضة، حالات حًنان أشبه ببكرات خيط
يلعبُ بها الأطفال،

انهيارات ٌكبيرة للمخيِّلة فوق أنظار الحواس،
دموعٌ، دموع لا مُجْدية،
نسمَاتٌ خفيفة من تناقضات تحتكُّ عبر الوجه بالروح...

أستحضر، بمجهود إراديٍّ، لكي أتحرَّرَ من هذا الإحساس،
أستحضَر بمجهود يائس، يابس، باطل،
أستحضرُ أغنية القُرصان الأكبر عندما كان يُحتَضر:
«خمسة عشر رجلا على صدر الرجل الميت
يو - هُو - هُو - مع قنيّنة روم!»
لكنَّ الأغنية خطٌّ مستقيم خُطّ سيّئاً بداخلي...

أستجمع قُواي، فأتوصل إلى أن أحضر
أمام أعين روحي، مرة أخرى، لكن بواسطة تَخيُّل أدبيٍّ تقريبا،
أوْجَ القَرْصنة، أوْجَ المذبحة، الشَّهية، الحنكيّةَ تقريباً،
للنهب، للقتل اللامجدي للنساء والأطفال،
للتعذيب الباطل والمجّاني، فقط كنوع من التسلية، للمسافرين المساكين،
ولشهوانية تحطيم أعز الأشياء عند الآخرين،

لكنّني أَحْلُم بهذا كُلِّه بخَوْفٍ
مِنْ شيء أتنفَّسُه في القفا.

وأفكر في أنه سيكون أمراً مثيرا للاهتمام
أن يشنق الأبناء أمام أمهاتهن
(لكنني، لا إراديا، أُحسُّني أمهاتهنَّ)
أو أن تُدفن مخلوقاتٌ في سن الرَابعة
في جُزُر خلاء يُساق إليها آباؤهم في مركب
لرؤيتهم يُدفَنون
(غير أنني أقشعرُّ إذ أتذكر الإبنَ الذي ليس لي
نائما بهدوء في البيت)

أُوقظُ رغبةً باردةً في جرائم بحرية
في تفتيش بدون تبرير من الإيمان،
جرائم بدون حتى مُبرّر من الشرِّ أو الهياج،
مقترفة ببرود، ولا حتى بنية الإيذاء،
ولا جتى لأجل تسليتنا، وإنما فحسب لتمضية الوقت

كَمَنْ يلعب الورقَ مُفْردا بعد العشاء، على مائدة طعام ريفية،
وقد سُحب الشّرشف صَوْبَ الجهة الأخرى من المائدة،
فحسب لَلتلذُّذ الناعم بارتكاب جرائم فَظيعة بدون
اعتبارها ذات شأن،
برؤْية التألُّم حتى درجة الجنون والموت ألماً
لَكن بدون الوصول أبدا إلى ...

لكنَّ مخيلتي تَأْبى مُصَاحبتي.
ثمة قشعريرةٌ ترجِّفني
وبغتة، وبأسرعَ مِمّا مَضَى، ومن الأبعد،
والأعْمق،
بغتة - آه لَلرعب يَسْري في عروقي كلها!-
آه، للبرودة المباغتة من بَوّابة السرِّ لدى انفتاحها
وإتاحتها تسربَ تيار هواء!،
أتذكر الله، المتعالي في الحَياة، وبغتة الصوت
العجوز للبحار الإنجليزي جيم بارنس، الذي كنتُ أكلِّمه،

صوت الحنانات الغامضة المبتعثُ بداخلي،
صوت الأشياء الصغيرة لحضْنِ الأمِّ وشريط
ضَفيرة الأخت، لكن القادَم بمعجزة مما وراء ظواهر
الأشياء،
الصوتُ الأخرس والنائي المتحوِّل إلى صوت مُطْلَق، صوتٍ
بلا فَم، قادم من فوق ومن داخل العزلة الليلية للبحاًر،

يناديني، يناديني، يناديني...

أصمّ يأتي، كما لو كان خفيا، ويُسمع من بعيد،
كما لو كان يرنَّ في مكانٍ آخر دون أن نستطيع سماعَه هنا،
مثل نحيبٍ مخنوق، ضوء يُطفأ، لهاث صامت،
من لاجهةٍ في المكان، من لا نقطة في الزمان،
الصيحة الخالدة والليلية، هَبّة عميقة غامضة:

أهو - أ - أ- أ- أ- أ- أ- أ-أ .... إإإ...
أهو - أ - أ- أ- أ- أ- أ - أ - أ- أ - أ- أ- أ- إإإ...
شونر أهو - أ - أ- أ- أ- أ- أ- أ - أ- أ- أ- أ- أأ- أ- أ- أ- أ-

أرتجف من برودة في الروح تخترق الجسد
وفجأة أفتح عينيَّ اللتين لم أغمضهما.
آه، يا لفرحة الخروج من الأحلام مرة واحدة!
وها هو العالم الواقعي مرة أخرى، ما ألطفه بالأعصاب!
هُوذَا في هذه الساعة الصباحية، ساعة الوصول المبكر
لسفن المحيطات.
سفينة المحيط التي تصل لم تعد تعنيني، ما تزال بعيدة
وحده ما هو قريب يطهِّر الآن لي الروح.

مخيلتي المعافاة، القديرةُ، العملية،
مشغولةٌ فحسبُ الآن بالأشياء الحديثة والنافعة،
ببواخر الشحن، بعابرات المحيطات والمسافرين،
بالأشياء القوية الفورية، الحديثة، التجارية، الحقّة.
بداخلي يُخفِّف المقْود دوَرانه.

ما أروع الحياة البحرية العصرية!
كُلُّها نظافةٌ، صحّة وآلاتٌ!
الكل جيد التنظَيم، ومضبوط تلقائيا،

كُلُّ قطع الغيار، كل السفن في البحر،
كل مقوِّمات النشاط التجاري من صادرات
وواردات
متوافقةٌ على نحو عجيب
بحيث يسير كُلُّ شيء كما لو حسب قوانين طبيعية،
بدون أن يتصادم شيء بشيء!

لم يخسر الشعر شيئاً. والآن لدينا علاوة على الماكينات
بما تحويه من شعر هي أيضا، وكلّ النَوع الجديد من الحياة
التجارية، الدينوية، الثقافية، والعاطفية،

هَذا الذي جاء عَصرْ ُ الآلات ليجلُبه إلى أرواحنا.
الأسفار اليوم هي من الرونق مثلما كانت من قبل
وَمَا منْ سفينة إلا وهي جميلة دائما فَحَسْب لأنها سفينة.
السفرَ مازال هو السفر، والمسافة هي دائما حيث هي:
- حمدا لله، في لا مكان!-

موانئ مكتظة ببواخر من شتّى الأنواع!
كبيرة، صغيرة، بألوان متعددة، بكُوى مختلفة الشكل،
لشركات ملاحية متنوعة!
بواخر في الموانئ، منفردة متباعدة بسبب الفواصل البارزة
بين المراسي!
ما ألطف هيأتها الساكنة من أشياء تجارية
تمضي عبر البحر،
عبر البحر القديم، الهوميري دائما، آه **أوليس**!
النظرة الإنسانية للفَنارات في المدى الليلي
أو الفنار غير المتوقع القريب في الليل الحالك
(«كَمْ مررنَا قريبين من اليابسة»
وصوتُ الماء يغني في أسماعنا...)

كل ذلك هو اليوم كما كان دائما،
لكن هنالك التجارة، والوجهة التجارية للبواخر الكبيرة
تجعلني فخوراً بعصري!
الخليطُ البشري فوق سفن المسافرين
يمنحني الزهو العصري بالعيش في عصر أصبح

سهلا فيه تماما قهر المسافات، رؤية كل الأشياء
بسهولة، والتمتع بالحياة بتحقيق أكبر قدر من الأحلام.

مشاعري نظيفة، متلائمة، حديثة كمؤسسة
ذات أكشاك بعوارض من شَبَهَان،
أحاسيسي الآن طبيعية ومتّزنة مثلَ جنتلمان،
عمليةٌ، بعيدة عن الهذيان أحاسيسي، تملأ
بالهواء البحري الرئتين كمخلوقات تدرك تماما
كَمْ هو صحيٌّ استنشاقُ هواء البحر.

اليوم بكامله الآن يومُ عمل متواصل،
الكلّ يشرع في الحركة في الانتظام.

بمتعة طبيعية كبيرة ومباشرة أتفقَّد بالروح
جميع العمليات الضرورية للشحن التجاري.
عصري هو الدمغةُ التي تحملها كل الفواتير،
وإنني لأُحسُّ بأن رسائل كل المؤسسات
ينبغي أن تكون موجّهةً إلي.

كلُّ معرفة بالشَّحن لها ما لها من خصوصية، وإمضاءُ
ربَّان سفينة له جمالُه وعصريته!
الصرامة التجارية لمبتدإ الرسائل وخواتمها

Dear Sirs-Messieurs- Muy señores nuestros

Yours faithfully... Nos salutations empressés

هذا كله ليس فحسبُ إنسانيا ونظيفا، وإنما هو أيضا
جميلٌ، وله في النهاية اتجاهٌ بحري، باخرةٌ مشحونة
بالبضائع التي هي موضوع الرسائل والفواتير.

يالَتعقيدات الحياة! الفواتير أعدَّها أناسٌ لهم
غرامياتهم، أحقادُهم، أهواؤهم السياسية، جرائمهم أحيانا،
ومع ذلك ما أجود كتابتها، وتصفيفها، ويا لاستقلالها
عن ذلك كله!

ثمة من يرى فاتورة بدون أن يُحس بما أحسستُ.
أكيد أنَّك أنت ياثيساريو بيردي قد جربّتَ ذلك الإحساس.
إنني لأحس بذلك إنسانيا حَدَّ البكاء.
فليأتوا إليَّ قائلين: لا شعر هناك في التجارة،
في المكاتب،
هيَّا. إنه ينفذ عبر كُلِّ المسام... في هذا الهواء البحري
أتنفَّسُه، لأن هذا كله يأتي متعلقا بالبواخر
والملاحة الحديثة،
لأن الفواتير والرسائل التجارية هي بداية التاريخ
والسفن حاملة البضائع في البحر هي المنتهى

آه، الأسفار، الأسفار الترفيهية. الأسفار البحرية،
التي فيها نغدو رفاقا للآخرين بطريقة خاصة،
كما لو أن سراًّ بحريا يُقارب ما بين أرواحنا ويجعلنا
لفترة، مواطنَين عابرين لوَطن غامض،
مُترحِّلين أبدياًّ عبر شُسوَع المياه!

يا فنادق اللانهائي، يا عابرات المحيطات!

يا لَكَونيتكن التامّة بعدم توقُّفكنَّ في
نقطة محددة واحتَوائكن كُلّ أنواع الثياب، الوجوه، والأجناس!

الأسفار، المسافرون - ثمة أصناف شتى!-
ما أكثر الجنسيات في العالم! ما أكثر المهن- ما أكثر البشر!
ما أكثر ما يمكن إسباغه على الحياة من مقاصد، على الحياة،
الحياة التي هي، في النهاية، دائما، دائما هي نفسها!
ما أكثر الوجوهَ الفضولية! - كُلُّها كذلك -
وما من شيء يمنحنا المزيد من التدين مثْلما
يمنحنا إياه النظر إلى الناس.
ليست الأخوة في النهاية، فكرة ثورية،
هي ما يتعلّمه المرءُ منّا طَوال الحياة التي عليه
أن يتسامح فيها مع كل شيء،
وفيها يجد متعةً فيما ينبغي أن يكون موضوع تسامح
وينتهي باكيا تقريبا لفرط الحنو إزاء ما تسامح بشأنه.

آه، كُلٌّ هذا جميلٌ وإنساني مرتبط
بالمشاعر الإنسانية، الاجتماعية والبرجوازية،
والمعقَّدة في بساطتها، والكئيبة على نَحْوٍ شديد الميتافيزيقية!
الحياة الرجراجة، المتنوعة، التي تُربّينا إنسانيا.
يا للناس المساكين! البؤساء، جميع الناس!

ها أنا أودع هذه الساعة في هيأة
الباخرة الأخرى التي بصَدد الإقلاع الآن.
باخرةٌ إنجليزية قذرة جدّاً كما لو كانت سفينة فرنسية،
مع الميزة اللطيفة لبروليتارية البحار،
لقد أعلَنوا لا ريب، عن موعد رحلتها
أمس في الصفحة الأخيرة من الصحف اليومية.
الباخرةُ البائسة تؤثر فيَّ بمُخُورها العُباب بتواضعٍ،
بمظهرها الطيعي،
تبدو كما لو كانتْ تُعاني من وسواسٍ ما
من شيءٍ لا أعرف ما هو، كما لو كانت شخصا
محتشماً يقوم بواجب معين.

هنالك تمضي هي، تاركة حَيِّزا قبالة الرصيف حيث أوجد.
هنالك تمضي بهدوء، مَارّة من حيث مرت
السفن الشراعية في الزمان القديم...
أ إلى كرديف؟ أم ليفربول؟ أم لندن؟
لا يهم.
إنها تقوم بواجبها، كذلك نفعل نحن.
ما أجملها من حياة!
سفر طيب ! سفر سعيد!
سفر سعيد، يا صديقتي المسكينة العارضة،
يا من أسديت إلي معروف أخْذ
حُمّى أحلامي وأحزانها معكَ،
ثم أعْدتني إليَّ الحياة حينما نظرتُ إليكِ
فرأيتكَ تمضين
سفر طيب ! سفر طيب ! الحياة هي هذا... هذا هو الحياة...
يا للثبات الطبيعي والمبكر حتميا
لمغادرتك ميناء لشبونة، اليوم !
أشعر بمودة فضولية وممتنَّة نحوك بسبب هذا...

ولذلك، ماذا؟ كيف لي أن أعرف... إذهبي... مُرِّي...
مع ارتعاشة خفيفة
(ط... ط... ط... ط...)
بداخلي يتوقف المقود.

مُرِّي، أيتها الباخرة البطيئة إذهبي ولا تمكثي...
ابتعدي عني، إختفي عن ناظري،
أُغرُبي من داخل فؤادي،
ضيعِي في المدى، في الأقاصي يا غمامة الله،
ضيعي، تابعي طريقي واتركيني...
منَ أكون أنا كي أبكيك وأسألَك؟
من أكون كي أكلمك وأحبكَ؟
من أكون أنا كي تقلقني رؤيتك؟
أتركي الرصيف، الشمس تنمو، ذهبا يلتهب،
أسقُف مباني الرصيف تُومض،
كُلُّ هذه الجهة من المدينة تومض...
أدخلي، أتركيني، تحوَّلي

أوّلاً إلى سفينة وسط النهر، بارزة واضحة،
بعدئذ إلى مركبٍ في طريق جُرْف، صغير وأسود،
ثم إلى نقطة مبهمةً من الأفق (يا لقلقي!)
نقطةٍ تزداد غموضا في الأفق...،

لا شيء بعدئذ، لا شيء،
وحدي أنا وأحزاني، والمدينة الكبيرة الآن
مغمورةٌ بالشمس، والساعة الواقعية والعارية
مثل رصيف بلا سفن،
بينما الدوران البطيء للرافعة، يخط،
مثل برْكار دَوَّار،
نصفَ دائرة من إحساس غريب
في السكينة المهزوزة لروحي.

لشبونة، 1914
نشرت باسم البارو دي كامپوس
المهندس، في مجلة "أورفي" عدد يوليوز، 1915

تحية إلى والت ويتمان

البرتغالُ - اللانهائيُّ، الحادي عشر من يونيو
عام ألف وتسعمئة وخمسة عشر...

إيا. أه، أه، أه، أه، أه !

من هنا، من البرتغال، بكل العصور في دماغي،
أحييك، وَالْت، أُحيِّيك، يا أخي في الكونية،
أيها الحداثي والخالد أبدا، يا مغنّي المطلقات الملموسة، أيتها
المحظَّية المتوثبة للكون المتشظي،
اللوطيُّ الكبير المحتكُّ بتنوُّع الأشياء
المهووس جنسيا بالأحجار، بالأشجار، بالأشخاص
بالمِهَن،

نشاط المرور اللقاءات العرضية، الملاحظات
الشخصية،
أناي تتحمَّس لُمحْتوى هذا كله.

بَطَلي الأكبر يخترق الموت وَثْباً،
وجَأرا، صرخات، وزَعقات
مُحيِّياً إياك إلاهاً!

يا مغنّي الأُخوَّة الضارية والحانية مع الجميع،
أيها الديمقراطي البشري[1]، المجاور للجميع جسداً وروحاً،
كرنڤال جميع الأعمال، مقْصَفَة النوايا كلها،
الأخ التّوأم للانطلاقات جميعها،
جان - جاك روسو الذي كان عليه أن يصنع الآلات،
هُو ميروس الممتنع المتقلّب الشهواني،
شكسبير الحسِّ الذي بدأ يسير بالبخار،
ميلتون، - شيلي أفق الكهرباء المستقبليّة!

---

[1]- من البشرة.

حُضُون الإشارات كلها !
تشنُّج صَوْب داخل جميع موضوعات الخارج
قَوَّادُ الكون أجمع
يا مُومِسَ كلِّ الأنظمة الشمسية، يا قشرة الله !

أنا بالعوينة والمعطف المسوّى بمُغالاة،
لستُ غير جدير بك، تعرف ذَلك جيدا، ويتْمان،
أنا جديرٌ بك، يكفي أن أحبك لكي أكونَ كذلك...
أنا المتعوّد على العطالة، الممتلئ ضَجراً،
أنا من خاصتك، أنت تعرف ذلك جيدا. أفهمك
وأحبك، وإن كنت لم أعرفك بولادتي في نفس
العام الذي مُتَّ فيه،
أعرف أنك أيضا أحببتَني وعرَفتني، وأنا مسْرورٌ لذلك.
أعرف أنك عرفتني، أنك تأملتني وفَسَّرتَني،
أعرف أن هذا ما أنا إياه،
سواء في بروكلين فيري،
عشرة أعوام قبل ولادتي،

أو عبر شارع ال أورو[1] عاليا مفكِّراً
في كلّ ما ليس شارع ال أورو
وبتوافق مع إحساسك بالكلِّ، أحسُّ بالكل،
وها نحن بيدين ممدوتين، وَالتْ،
بيدين ممدودتين، يرقص الكون في روحنا

لكمْ قبَّلتُ صورتك مراراً!
هنالك حيث أنت الآن (لا أعلم أين لكنه اللّه)
أُحسُّ هذا، أعرف أنك تُحسُّه وقبلاتي أكثر حرارة
(في أشخاص) كما تريدها، يا شيخي، وأنت تشكرني
من هنالك، أعرف ذلك جيدا،
كل شيء يقول ذلك لي، ثمة حاسة ذوق
في روحي، نَصْبٌ مجرد لا مباشِرٌ في عمق روحي.

ما من جاذبية لديك سوى أنك سيكلوبيٌّ
ومفتول العضلات.
لكنْ تُجاه الكون موقفك موقف امرأة،

---

[1]- شارع الأورو، في قلب لشبونة، اعتاد پسوا التردد عليه.

وكل نبتة، كل حَجَر، كل رجل كان هو الكون لديك.
شيخي والت، رفيقي الكبير.
إلى فجورك أنتمي، إلى فجورك الباخوسي،
فجورِ حرية الحسّ.
من إحَساسي بقدميَّ حتى غثيانِ أحلامي،
أنا من خاصتّك، أنظرْ إليَّ، من هَناك
من الإلاه

تراني بالمقلوب.

من الداخل إلى الخارج... جسدي هو ما تكشفه،
ترى روحي، تراها تماما، من خلال عينيك ترى
جسدي،
أنظر إليَّ: أنت تعلم أنني، ألبارو دي كامپوس
المهندس، الشاعر الحسّويُّ،
لست تلميذَك، لست عاشقك، لست مغنيك،
أنت تعلم أنني أنْتَ ومسرور أنت بذلك !

لن تستطيع أبداً قراءة أبياتك مَتتاليةً...
ثمة فرطٌ في الإحساس...
أخْتَرِق أشعارك اختراقي حَشداً غَير مُنْتَظِم
من حولي،
وأشتم رائحة العرقِ، الزيوتِ، النشاط الإنساني
والميكانيكي.
في أشعارك، لا أدري إن كنتُ عند مستوى معين-
أقرأُ أم أعيشُ،
لا أدري إن كان مكاني الفعلي في هذا العالم
أو في أشعارك،
لا أدري إن كنتُ هنا، على قدمي فوق الأرض الطبيعية،

أمْ مطأطئاً رأسي، معلّقا في مؤسسة ما
في السقَف الطبيعي لإلهامك
في مركز حِدَّتك اللاتُدانَى.

إفتحوا لي الأبواب جميعا !
علي أن أمر بالقوة
أمارتي؟ والت ويتمان !
لكنّني لا أقدم أي أمارة
بدون جوازات أمرٌّ
إن كان ضروريا سألقي بالأبواب
إلى الأسفل...
أجل، أنا النحيل والمتحضّر. سألقي إلى الأسفل
بالأبواب،
لأنني في هذه اللحظة لستُ نحيلا ولا متحضّرا
إنني أنا، كونٌ مفكّرٌ من لَحْمٍ وعظم،
يرغبُ في المرور، وسيمرُّ بالقَوة !
لأنني عندما أريد المرورَ أنا الله !

آزيلُوا تلك القذارة عن جبيني !
ضَعُوا تلك الانفعالات في صناديق !
أخرجوا، أيها السياسيون، الأدباء، التجار
الهادئون، المُومساتُ، القوادون[1]، رجال الشرطة
هذا كله هو الروِح الذي يُميت، وليس
الروح الذي يُحيي !
الروح الذي يهب الحياة في هذه اللحظة هو أنا !

لا أريد لأيِّ ابن عاهرة أن يعبُر الطريق !
طريقي في اللانهائي يتوغَّل حتى الوصول إلى النهاية !
لن أرافقك، وصلتُ إلى النهاية أم لَمْ أصل،
دَعْني أمضي...
معي، مع الله، مع معنى - أنا لكلمة لا نهائي...
إلى الأمام !
أنخس المهاميز، أحسُّ المهاميز، أنا
هو الحصان نفسه الذي أركبه،

---

[1]- بالفرنسية في الأصل: Souteneurs

لأنني، لرغبتي في التوحُّد مع الله،
أستطيع أن أكون الكل، أو أكون لا شيء، أو أي شيء،
وفق رغبتي... لا أحد يعنيه ذلك...
جنون عنيف ! رغبة في العواء،
في الزئير، في النهيق، في الوثْب، في الرَّفس،
في الصراخ بالجسد، في التعلُّق بعجلات السيارات،
في الاندساسِ تحتها،
وفي أن أضع نَفسي أمام تقويسة السوط
إذ يهوي ضاربا،
أن أكون كَلبةَ جميع الكلاب وأطلب المزيد،
أن أكون مِقْود كل الآلات والسرعة المحدودة،
أن أكون المَسحوق، المنبوذ، المنخلع، المنتهي،
وكُلَّ ما تغنّيه أنت، لكي أحييك في □
أرقُص لهذا الاندفاع معي، والتْ، هناك
من العالم الآخر، ثِبْ معي في هذه الرقصة
المصطدمة بالنجوم،
إهْوِمعي خائرَ القوى على الأرض

اصطَدمْ معي مَخْبولاً بالجدران،
تحطَّمْ وتمزّق معي.

و
في الكُلّ، للكل، حَول الكل، بلا كُل،
السُّعار المجرد للجسد دَوَّامةٌ في الروح...

هي[1]، هيا بنا إلى الأمام
ولو منعنا الله نفسه من التقدم، هيّا
بنا إلى الأمام...
لا يهم...
إلى الأمام هيا بنا !

هَيَّا بنا إلى الأمام ولَوْ لَمْ يكن صوب أي جهة...
اللانهائي ! الكون ! هدف بلا هدف ! ماذا يهم؟
بوم! بوم! بوم! بوم!
الآن نعم! لنرحل، هيا بنا إلى الأمام، بوم!

[1]- Arré بالإسبانية)صيحة لاستحثاث الدواب على السير أو النهوض.

بوم

بوم

بوم... إيا... بوم... إيا... إيا

أنطلقُ مثل عاصفة واثباً من الروح إليك

مَعَ حشود عسكرية أمامي أمدِّد إليك تحيتي...

وب [ ] مَعَك وبزَعقات ووثبات

أنفجرُ صارخا بك

وأُطلَق الهتافات لي ولك وللّه.

والكونُ حوالينا يسير بموسيقى داخل

الجماجم،

ومع الأضواء [ ] وفي بَشَرتي السابقة،

وأنا مجنون بـ [ ] التصفير ثملٌ بالآلات،

أنت [ ]، أنت [ ]، أنت والتْ - وهو [ ]،

أنت الشهوانية الميناء

أنا لاشهوانية مع [ ]

أنت الذكاء [ ]

لكي أغنِّيك
لكي أحييك
كان من الضروري أن أكتب تلك القصيدة العليا،
حيث عشتُ، أكثر من جميع القصائد العليا الأخرى،
عشت توليفا تاما، تحليلاً بلا نسيان،
كُلَّ كونية الأشياء، حيوات وأرواحاً،
كل كونية الرجال، النساء، الأطفال
كلّ كونية الأشياء التي تضعها الإنسانية،
الأشياء التي تحدث للإنسانية -
المهن، القوانين، الأدوية، الوجهة - المصير
مكتوباً في تشابكات خيطية، في تقاطعات خطيّة ثابتة،
في الوَرق الحركي للوقائع، في وَرق البرديّ السريع
للتوليفات الاجتماعية، في الطِّرس الثابت للانفعالات.

بَابٌ للكل !
جسر للكل !
طريق للكل !
روحك القارتة و[]

رُوحُك الطائر، السمكة، الوحشُ، الرجل، المرأة
روحك المشطورة إلى نصفين حيث ثمة اثنان،
روحك الواحدة التي هي اثنان عندما يكون الإثنان واحدا،
روحك سهم، وميضٌ، فضاء،
ذراع، آصرةٌ، جنس، تكساس، كارولينا، نيويورك،
بروكلين فيري في المساء،
بروكلين فيري ذهابا وإيابا،
حرية ! ديمقراطية ! القرن العشرون من بعيد!
بوم! بوم! بوم! بوم! بوم!
بوم!

أنت ما كُنتَ، أنت، ما رأيت، أنت ما سمعت
الذاتُ والموضوعُ أنت، الفاعل والمنفعل،
هنا وهناك، في كل الجهات أنت،
دائرة تُغلق كلّ إمكانات الإحساس
حجرُ الصوَّة لكل الأشياء الممكنة الموجود،
إلاه كل الموضوعات الممكن تخيلها، أنت

الساعة الساعة أنت

أنت الدقيقة والثانية أنت
مُقحم، مُخلَّص، منشور، ذاهب
أنت مقتحم، مخلِّص، ناشر، مُرْسِلٌ،
دمعة على الرسائل كافة أنت،
إسم على كُلّ العناوين، بضاعة مُسلَّمة، مُسترجعة،
جارية، باخرة أحاسيس روح - كيلومترات في الساعة،
في الساعة، في الدقيقة، في الثانية، بُوم !
أنت، رجل - امرأةٌ - طفل - طبيعةٌ - آلاتٌ !
نحو الداخل أنْتَ، نحو الخارج، أنت جَانبُ الكُلِّ !
سَاقٌ - شهوانية في خدْمة- اللانهائيِّ، سُلَّم صاعدٌ
إلى حيث لا توجد نهايَةٌ، صاعدٌ، صاعداً!
وكُلّ هذه الضجات الطبيعية، [ ]، وميكَانيكيُّو الآلات
جميعاً يمضون مجتمعين، صَخَب كامل لكل شيء،
مُفْعمون وصولا إليك لتحيتك
مفعمون وُصولاً إليك.

يمضون مجتمعين [ ]، يمضون طَافحين بالأرض،
بالجبال، خرير المياه، طبول الحربَ،
تمضي ضَجّاتَ الـ[ ]
تمضي [ ] في الأقاصي
تمضي الأصوات الواهنة للـ[ ]
مُحيطةً بي قريبة إليّ تمر
الضجات، ضجات [ ] والمصانع،
عجلات، برشامات،
[ ] بوم...

وهنا حيث سأدعو الامتياز الضاجَّ والمُصمَّ
إلَى تحيتك من كل قرية النمل الإنساني للكون،
كل الانفعالات،
كلِّ العجلات، كُلِّ المقاود، كّلِّ مكابس الروح
وهنا إذ أصيح، وفي مغازلةٍ منّي لك

تَطِنُّ برطانة ميتافيزيقية وواقعية،
بصَخَب أشياء مَاضيةٍ من الداخل بلا ترابط.

مَرْحَى مرحى، أيها النّغْل العظيم لأپولو!
العاشق، العاجز والمتوثب لعرائس الشِّعْر السبع،
قطارُ الأولمپ اللاسلكي إلينا
وقطارنا اللاسلكيُّ إلى الأولمپ،
هياجُ الحداثيِّ مجسّماً فيَّ،
تَشنّجٌ من كينونة هفّاف،
وردة استحْثَاث الجميع،
احتفال الَحياة بالحياة،
جنون أنت كلك، ليس ثمة ما يكفي
من حياة في الواحد ليكون الجميع،
فأَنْ نُوجَدَ هو أن نكون محدودين
وأن نكون **الله** هو ما ينقصنا.

آه، أنت الذي غَنَّيْتَ الكلَّ، تركت
الكل للغناء !
مَنْ بوُسعه الاهتزاز أكثر من الجسد في جسده،
من يملك أحاسيس أكثر مما ينبغي أن يملك
من أحاسيس؟

مَنْ ذا الذي يكتفي حينما لا شيء يكْفي؟
من ذا الذي كاملا يبقى عندما خيط واحد من عشب
يبقى بالجذر خارج قلبه؟

لذلك إليك أنت أُرْسِلُ
أبياتي الوثبات، أبياتَي التشنّجات،
أبياتي - الهجمات - الهستيرية،
أبياتي التي تجر العربة [] أعصابي.

في التجمُّعات يأتيني الإلهام، بالكاد أستطيع
التنفُّس، واقفاً أحرك المشاعر.

أبياتي هي أنَاي بدون أن يكون بمقدوري
الانفجار حياة.

إفتحوا كُلَّ النوافذ لي !
إقتلعوا لي الأبواب كلها!

أزيلوا المنزلَ كُلَّه من فوقي !
أريد أن أحيا بحرية في الهواء،
أريد امتلاك حركات خارج جسدي،
أريد الهطول كالمطر على أسفل الحيطان،
أبغي أن أُداسَ في الطرق الممتدة كالأحجار،
أريد المضيَّ، مثل الأشياء الثقيلة، في أعماق البحار
بشهوانية بعيداً عن متناولي الآن!

لا أريد إغلاقاً للأبواب!
لا أريد أقَفالا في الخزائن!
أريد أن أُقحَم، أن أُمزَج، أن أُحمَل،

أريدهم أن يجعلوني مِلْكا مؤلما لأيٍّ آخر،
أن يُخرجوني من الصَناديق،
أن يرموني للبحار،
أن يمضوا للبحث عني في المنزل لغَرض دَاعِر،
فقط لكي لا أكون هنا دائما قعيدا وساكنا،
فقط لكي لا أكون مجبرا
على كتابة هذه الأبيات!

لا أريدُ في العالم فجوات!
لا أريد المجاورة المختَرقة والمادية للأشياء!
أريد للأجساد الفيزيقية أن تحلَّ محلَّ بعضها
مثل الأرواح،
ليس حركيا وحسب، ولكن توازنيا كذلك!

أريد أن أطير وأهوي من عُلُو شاهق!
أن أكون جَسُورا مثل قذيفة!
أن أمضي للوقوف.. أن أُحْمَل إلى...
الأوْج المجرَّد لنهايتي ونهاية كل شيء!

أوْجٌ من حديد ومحرِّكات !
سلالم فوقيَّة للسرعة، بلا أدراج،
قنبلة هِدرَولية تنزع لي الأحشاء المحسوسة!

كبِّلوني بالأصفاد فقط لكي أكسرها!
فقط لأكسرها بالأسنان حتى تنزف الأسنان

مُتْعة مازوخية تشنُّجية في دم الحياة !

البحَّارة سيحملونني أسيرا،
سيضغطون على يدي في الظّلام.
وأنا مُؤقَّتا متُّ لمجرد إحساسي بذلك،
بعدئذٍ لَعَقَتْ روحي أرضيَّةَ
السجن الخصوصي،
والناقوس الخشبي للمستحيلات يلتفُّ
حول استِثارتي.

ثبْ، نطَّ، شُدَّ المكْبحَ بالأسنان،
جَمر قَلقي الجزَع من بَرْق - حَديد،
المكان الحائر لاتجاهي المجهز بمحرك!
نطَّ، ثبْ، تزيَّنْ بالأعلام
لَيتركَ الدمُ الأثرَ في الشُّسوع الليلي،
الدم الساخن، وإن من بعيد،
الدم الطري، حتى من بعيد،
الدم الحي والبارد في الهواء الديناميكي لديَّ،

نطَّ، تَسَلَّق، ثبْ،
إنهضْ، إمْضَ واثباً
في مسيرة كبرى بالمشاعل[1] في كل مدن أوروبا،
في مسيرة ركْض كبرى، في صعود كبير، في نزول كبير،
انفجارا، وثبا، وَثَباً جماعيا معي،
أقفز لأحييك،
أجْأرُ كي أحييك، ولكي أُحيِّيك
أثُور، واثبا، صارخا

---

[1]- بالفرنسية في الأصل: Marche aux Flambeaux

هيلاّ!
مَرْحى، مرحى، لتَحيَ!

هذه في النهاية هي تحيتي إليك،
مهما يكُنْ من أمر،
هي ذي طريقتي في تحيتك،
في محبتك، في الاتفاق معك.

وأنْت، إذ تبكي على كتفي، توافقني يا شيخي،
(متى ستقلع الباخرة الأخيرة؟
نحو الاصطياف في الله...)

هيا. بثقة، هيا...

يجب أن يكون لهذا كله معنى آخر
يجب أن تكون هناك نقطة في الوعي
يحدُثُ فيها تحول في المشهد.

فيبدأ في إثارة اهتمامنا، في مساعدتنا، في رَجِّنا...
نقطة يبدأ فيها سرَيانُ برودة في الروح.
والشمس والحقل في الحواس يستيقظان أيّا كان الفصل،
هنالك سنلتقي...

انتظرني بالباب، والت؛ هنالك سأكون...
هنالك سأكون بدون الكون، بدون الحياة،
بلا ذاتي، بلا أحلام...
وَستتذكّر، وحيدين، صامتين، صحبة ألمنا،
السخفَ العظيم للعالم،
الغباوة القاسية للأشياء،
وسنُحسُّ بالسرِّ، بعيداً جدّا، بعيداً
بعيداً،
بَعيدا جدّاً على نحو مطلق ومجرد
بعيدا على نحو نهائي.

النهايةِ بمحرِّكات مكسرة
ماذا جرى لكينونتي كلها؟
قلق كبير لا مُجْد،
إنجاز عقيم مع غاَية مستحيلة،
آلَةُ مجنونٍ لإنجاز الحركة - المتوالية،
نظرية اللاَّمعقول لتربيع الدائرة،
عبور الأطلنتيكي سباحةً، متحدِّثاً
في هامش الهُنا قبل الدخول في الماء،
قذف القمر بالأحجار،
التطيُّر اللامعقول من اللقاء بالمتوازيين الله - الحياة.
جنونُ عظمة الأعصاب،
القلق من مرونة الجسد الصلب
الحنق على كينونتي الملموسة لكونها ليست
الأوج - المحور،
عربة شهوانية الحماس المجرد
الفراغ الديناميكي للعالـم !

لنترك الآن «كان علينا»
لنذهَبْ مرّةً واحدة، على نحو نهائي، من القرية - الحياة!
من ضاحية - عالم الله
ولندخل إلى مدينة المغامرة، في التهوُّر،
في الأوج، بجنون للذهاب
لنذهب مَرّةً واحدةً.
متى تقلع، يا والت، الباخرةُ الأخيرة من هناك؟
أيُّ إلاه جعل نوسطالجياتي
قلقا كهذا؟
ربّما راحلا أعودُ. ربما مُنْتهياً أصلُ.
من يدري؟ كُلُّ ساعة هي الساعةَ. لِنَرْحَلْ،
هيا! تأخر المكوثُ بنا،
أنْ نرحل معناه أنَّ علينا أن نذهب.

لنرحل إلى حيث يتم البقاء.
آه المكوث من أجل عدم امتلاك إقامات!
النهاية في عدم التوقف!

الآن وأنا قريبٌ من الموت وأرى كُلَّ شيء بوضوح،
أعودُ خاضعا إليك، أيها المُخلِّص الأكبر.

تلْكَ كانَتْ نهايةً لشخصيتي لا شك،
لَأنها عبَّرت عن مشاعرها، أرادتْ أن
تقول شيئا،
غير أنني اليوم، ناظراً إلى الوراء، لا يبقى لي
غيْرُ حسرة واحدة:
عدم امتلاكي هُدوءَكَ الأعلى تُجاه ذاتك !
تحررك النجومي من الليل اللانهائي

ربما لم تكن لي أيُّ مهمَّةٍ في الأرض.

1915

فصول[1]

... الضَّجَرُ من بُلهاء الراديو ومعتوهي الأثير
من كُلِّ الأرباح الكمية لهذه الحياة العديمة النوعية،
الغثيانُ من كوني معاصرا لنفسي،
والجزَع من الجديد، من حقيقيٍّ ما،
من نَبْع ماءٍ مِنْ بدَايةٍ، من أصْلٍ.

الحجَر في الخاتَم الخاطئ في أُصْبعك
كَمْ يسطعُ في ذاكرتي
آه يا للهَرَم البائس هَرِم لهجتكِ الأرستقراطية
المستعملة في السفر!...
أيُّ عشقيَّات غامضة تُخفينها في أناقتك الحقيقية،
ما أزيَفها أيتها الموهُومة الصاحية،
المعثُور عليها في هذِه السفينة، كما في السفن كلها

[1]- عنوان أصلي.

كنت تتعاطَين الكوكايين بتفوُّق مدروس،
وتضحكين من الشيوخ الأقل ثقْلاً منك،
يا مَخْلوقةً بائسة يتيمة يُتما أكبر
من فُقدان الأب والأم،
يا شيطانةً نصف مَخْبولة!
وأنا، أنا الحداثي الذي لستُ إياه،
أنا الذي أحسُّ حوانيت الغجر
ودكاكين كل حداثة الورقِ - العُملة،
في ضواحي حساسيتي؛
أنا الذي لا أصلح لشيء، أنا الذي لا آمالَ لي،
أنا العابر مثلك على السفينة، لكن الأكثر عابريةً منك،
لأنك كلما كنت موقنة أكون أنا بالعكس،
وكلمَا كنت عارفَة بما كنت لا أعرف أنا
ما أكون وأَعرف أنَّك لا تعَرفين ما كُنْته،
وَوَسط رقصات جماعة السفينة
أطلُّ على البحر الليليِّ وبي نوسطالجياتٌ إليَّ،

ماذا فعلتُ أنا بالحياة؟
ماذا فعلتُ أنا بما كنتُ أرغب في أن أفعله بالحياة؟
ماذا فعلتُ بما كان بمقدوري أن أفعله بالحياة؟
هل سأكون مثلك، أيتها المسافرة ذات الخاتَم المُفقِد للشهوة؟
أنظر إليك بدون أَن أميزَكِ عن المادة
اللاّبلورية للأشياء،
وأضْحَكُ في أعماق فكري المحيطي والفارغ.

في باحة منزلي الريفي الصغير
- منزل يشبه ذاك الذي يملكه الملايين الذين
لا يُشْبهونني في العالم -
ينبغي أن يَعُمَّ السلام في هذه الساعة،
في غيابي.
لكن فيَّ أنا بالذات لن يكون هناك أبدا سلام،
حتى وإن وقع السلام،
حتى وإن تُخُيِّلَ السلام...

لماذا إذن أضحك منكِ، يا مسافرةً
فائقة الرهافة؟
آه ماء الكولونيا المسكين من أجود الأنواع!
آهٍ يا عطرا حديثا حسب أرفع ذوق!
يا حبي البائس الذي لا أحبه كاريكاتوريا جميلا!
أيّ نصٍّ لموعظة ليسَتْ كذلك!
أيُّ قصائد لن ينظِمها شاعر حقيقي بدون أن يفكر فيك!

غير أنَّ جماعة السفينة تنتهي...
وإيقاعُ البحر الهوميري يتسلَّقُ دماغي،
إيقاع البحر الهوميري العجوز، متوحش
العالم الإغريقي،
بريشات على رأس الروح،
بحَلقات في أنف الشهوانية،
وبوعيٍ مَظهرك النصف دمية في العالم.
غير أنَّ ما يحدثَ هو أن جماعة السفينة
تتوقّف،

وأنا أتأكَّد من
أنني فكرتُ فيك طوال رقصة
الجماعة على السفينة.
في العمق نحن جميعا رومانطيقيون،
على نحو مُخْز رُومانطيقيون،
فيما البحر يستمرُّ هائجا وهادئا،
عبدًا على الدوام ليقظة القمر الصارمة،
كما بالابتسامة التي أسائل بها نفسي
ناظرًا إلى السماء بدون ميتافيزيقا
وبدونك... ألَمُ قَرْنٍ...

التهام الكون

رغبة فيزيقية في التهام الكون
تستولي على تفكيري أحيانا
عنفُ سرعة مفرطة
للاستيلاء على السماوات والنجوم
يلاحقني كتأنيبِ ناجم عن عدم
ارتكاب جريمة.

كمن ينظر إلى البحر
أنظرُ إلى مَن يرحلون مسافرين
أنظر إلى القطارات نظرتي إلى غريب
أشياءُ ضخمة وحديدية غير معقولة
تحمل أرواحا
تحمل أحاسيس بالحياة وبذواتها
إلى أماكن واقعية حقّاً

إلى أماكن -يصعب تصديقها-
موجودةٌ بالفعل، لا أدري كيف!،
لكن ليس في الفضاء ولا في الزمن
وثمة أناس ذَوو حيوات واقعية
تمضي ساعةً إثر ساعة مثل حيواتنا نحن...

آه، من أجل إحساس فيزيقي جديد
امتلكتُ أنا الكون بكامله،
حاسة لَمس جديدة جعلتني
أنتمي إلى كَينونتي المتسلطة فيزيقيا،
إلى الكون بكل شموسه ونجومه
والحيوات المتعددة لأرواحه.

بالحقائب

بالحقائب مُهيّأةً
والكلّ على ظهر السفينة
وبدون أن ننتظر شيئا من اليابسة
التي نتركها وراءنا فقط بالحقائب الثلاث
عشرة للمسافرين المطلين من السفينة،
نقول وداعا بإشارة فرح لما يُخلَّف،
وداعا للمودّات، للأفكار المنزلية،
للمدافئ، وللأخوات.
وبينما ينفتح الفضاء بين السفينة والميناء
نستمتع نحن بأمل كبير لا محدَّد ومُرجّف،
بإحساس واجفٍ بالمستقبل.

ها نحنِ نشق اليمَّ، وفي وسط النهر
تقريبا يتضاعف جَلاءُ ما تركناه
على اليابسة من سقائف ومرافيع أو من
بضائع مفرَغة
ولحسن الحظ، فالوداع الملوَّح به من لدُن
تلك الأسْرَة ليس موجّها إلينا،
تلك الأسرة المجتمعة في طرف الميناء بحرص ذاتي
ملحوظ على عدم الوقوع في الماء
في غمرة التأثر
ننظر إلى رفاقٍ على ظهر السفينة،
كَمْ هُمْ مختلفون!
ولا واحدةٌ من التلويحات المودِّعة
موجَّهة إليهم،
وحتى بمظهر منشرحٍ يحبس
دموعه، يلوِّحون للمودِّعين
بإشارة تنقصها اللباقة،
للمناديل المودِّعة لأناس آخرين
مكثوا في الميناء.

في الميناء الذي ابتعد -آه! لاحِظوا!- فجأة أكثر
ممّا لاحظنا.
المَرارة، مرارة الرحيل الفرِحة،
المذاق الخاصّ لبدء السفر البحري، اختلاط الروائح
رائحة الحقائب، برائحة السفينة، برائحة الطبيخ
على ظهر السفينة في حواسنا،
وأرواحنا مثل مزيج مُلتبس من روائح
ومذاقات
والكلّ مُركّز في السَّفَر اللامُعيَّن الذي نقوم
به، مرئيا من الحنَك والأنف...
الكل هو اللايقين الشهواني
للحياة محسوسة أسفل العمود الفقري..

الرحيل I[1]

مَرحى، وداعا، أيها الكون المدهش!
مرحى، وداعا، سأراك مختلفا، وعلى نحو نهائي،
إن كانت ثمة حياة بعدُ، وسُبُل أخرى لمعرفتك،
ونواح أخرى لرؤيتك –وربما لن أراك أبداً–
كائنا ما كان الأمر، مرحى وداعا، أيها العالم!

سأرحل إلى تلك الجهة فيك،
تلك الجهة التي على الموت أن يكشفها لي بالقلب مُتقبِّضا،
بالروح قلِقة، بالنظر شريدا،
وبكل وعَيي بالمغامرة يصنع لي أجنحةً في الدم...
سأرحل نحو الموت منتظرا اللقاء بالعَدم
لكن متأهبا لرؤية أشياء عجيبة في الجانب
الآخر من العالم.

---

[1]- عنوان أصلي.

مرحى وداعا، أيها الكون العفَوي!
الاخضرار الممزَّق في أعشاب الحدائق السارة،

بياضُ المياه القاتم،
ريش الخلَنجات اللامرئي،
مخالبُ الظل اللامادي للزوابع،
تمدُّدات هائلة للبحار،
مَجْرى الأنهار الواضح،

مرحى وداعاً، حتى الله، حتى أنت، حتى أنا!
حينما سأترك فردانيتي تركي لمقعد أضطجع عليه،
سأترك الكون كُلَّه ورائي مثل غرفة أغادرها،
سأترك كل هذا النمط من الحواس والتفكير،
من الإحساس بالأشياء، مثل رداء لصيق بي،
حينما تبلغ روحي مرَّة واحدةً سطح جلدي
وتتبدَّد كينونتي عبر الكون الخارجي،
لِيكُنْ ذلك بفرح كيما أتعرف على الموت

إذ يأتي كشمس بعيدة إلى فجر كينونتي الجديدة.
في سفر مائل على سرير احتضاري،
سفر منحرف عن أبعاد الأشياء
صَوْب ركن السقف الأبعد، السرير سيرتفع
عن الأرض، وسيعلو ككرة مضحكة وسيواصل
طريقه مثل قطار فوق القضبان مباشرة...

لستُ أخشى يا موت، ما لا يسمح بتبين
بُويْبَتك المحظورة.
أمدُّ إليك ذراعيَّ مدَّ طفل لذراعيه من حِضن
المربية إلى صدر الأم عند وصولها.
لأجلك أتخلى مسرورا، عن لُعبي الراشدة،
لأجلك لا أقارب لي، لا شيء يُسندني
في هذا الكون العجيب، الثابت والمؤلم...
كل ما هو نهائي فيك أنت يجب أن يكون
أو لا يكون في أي مكان...

الرحيل II[1]

قوس نَصْرِ مُخيلتي
تحتها تمر الحَياة كلها.
الحياة التجارية الراهنة، السيارات، الشاحنات،
تمر الحياة التقليدية في بَدْلات بعض الأفواج،
تمر كلُّ الطبقات الاجتماعية، أنماط الحياة كلها.
وأثناء مرورها عبر ظلال قوس النصر،
تتحول إلى لحظة نَصْرٍ أنا صانعُها لها...
....
قوس نَصْرِ مُخيلتي
قوس نصرٍ فوق الله وفوق اليوميِّ،
فوق ما هوَ حقير (حسب التقدير)
فوق عمل الساعات جميعا، تأثيرات
اللحظات كلها،
والغايات السريعة التي تموت قبل الإشارة.

---

[1]- عنوان أصلي.

أنا نفسي، خَارج مخيلتي، وأنا بالرغم
منها، الوجه الظّافر الذي ينظر من أعلى القوس،
الذي يخرج من القوس وينتمي إليه،
ويثبِّت النظر فيمن تمر تحته
شامخة وذاهلة، كبيرة وجميلة.
لكنَّ ساعات إحساسي الكبرى، تغدو دائرية،
تدور حول نفسها بما يبعثُ على الدُّوار،
يتلاشى القوس، يَذُوب في الناس المارين،
فأحسُّ أنني أنا القوس، والفضاء الذي يحويه،
وكلُّ الناس الذين يَمرُّون،
وكُلُّ ماضي الذين يمرون،
وكل مستقبل الناس المارين،
وكل الناس الذين سيمرُّون،
وكل الناس الذي مَرُّوا

لكنني أنا نفسي الكون
أنا نفسي ذاتٌ وموضوع،
أنا نفسي قوسٌ وشارع،

أنا نفسي أُحيط وأسمح بالمرور، أحتوي
وأخلِّص، أتأمل من فوق، ومن تحتُ أبدو
متأملا، من تحت أمُرُّ، أمكث فوقُ، في الجوانب
أبقى، أبلغُ المجمُوع وأتعالى،
أجسِّد الله في معمارٍ ظَفَريٍّ
من قوس نصر موضوع فوق الكون،
قوس نصرٍ مُشَيّد
فوق الأحاسيس كلها، لجميع من يحسون
وفوق أحاسيس الأحاسيس كلها...

شعْرُ الحدّة والدوران،
شَعر الدوار والانفجار،
شعرٌ حيوي، حسّويٌّ، يُصفِّر منقذفا
في مخيلتي بوابَل من نار،
بأنهار هائلة من مطر، ببراكين نور هائلة.

يوميات في الظل[1]

أما زلت تذكرينَني؟
أنت عرفَتني منذ زمن بعيد...
كنتَُ أنا ذلك الطفل الحزين الذي لم يكن يعجبك،
والذي صرت تهتمين به بالتدريج فيما بعد
(بسبب الضجر، والحزن، وشيء آخر إضافي)
والذي نال إعجابك في النهاية، بدون أن تعرفي لماذا،
أتذكُرين؟
الطفل الحزين الذي كان يلعب في الشاطئ بهدوء،
وحيداً، بعيدا عن الاخرين.
والذي كان يرسل إليك من حين لآخر
نظرة حزينة لكن بدون أسى...
أراك تنظرين إليَّ مُطرقة من حين لحين...
هل تذكَّرت؟ أتريدين أن تريْ إن كنتِ تذكرتِ!
حسنا أعرفَ ذلك...

---

[1]- عنوان أصلي.

أمَا زلت تشعرين -بدون أن تدري- في محيَّاي
الهادئ والحزين بالطفل الحزين الذي كان يلعبُ
دائما بعيداً عن الآخرين والذي كان من حين إلى آخر
ينظر إليك بحزن، لكن بدون أسى؟
أعرف أنك تنظرين إليَّ، وأنك لا تُدركين
مدى الحزن الذي يُظهرني حزينا
إذ ما هو بأسى ولا نوسطالجيا، ما هو باستياء ولا غَمٍّ..
آه هو الحزن، حُزُن ذلك الذي في
الأرض الكبرى لما قَبْلَ الولادة،
سَيمْنَحه اللهُ السرَّ،
سر الخواء المطلق للأشياء،
ووَهْمِ العالَم،
هو الحزن العضال لذلك الذي
يعلم بألا فائدة لشيء، لا قيمة لشيء،
أن المجهود استنزاف عبثي،
أن الحياة فضاء فارغ،
لأن الخيبةَ من الوهم تأتي،

والموت هو معنى الحياة....

هذا ما ترينَه -لكن ليس هذا فحسب-
في محيَّاي ويجعلك تنظرين إلي، مُغْضِيةً بصرك
منْ حِين لآخر...
ثَمة، علاوة على هذا،
ذلك الفزع الأسود، تلك القُشَعريرة المظلمة
التي ينبغي أن تستبدَّ بالروح
بفعل وُجُود سرٍّ إلاَهيٍّ ملفوظ
في الأرض الكَبرَى لما قبل الولادة، حيث الحياة
لَمَّا تومضْ بعدُ نحو الأبعد،
والكونَ الوضّاء والمعقَّدُ كله مايزال
في طور الإنشاء.
إذا لم يُعرّفني هذا، فلا شيء يُعرّفني
لأن السرَّ الذي باح لي الله به
لم يكن هذا فحسب.

أبغي أن أكون اليوم، في الجانب اللاواقعي،
الغايةَ الكامنة في ذلك، واجبي في فهم ما لا يُفهم.
شعوري بأن ثمَّت منْ بمقدوره الشعور،

انشغالي الأكبر بأن أمْنَع -في الطفولة-
هيمنةَ الأحلام المُهندسة في الضوء،
أجل، هذا هو ما يُسبغ شيخوخةً سابقة
على طفولتي في محيَّاي،
وغَمًّا يتجاوز فرحي في نظرتي

تنظرين خلسة إليَّ، من حين إلى آخر
ولا تفهمينني،
وتعاودين النظر، خلسة دائما...

بدون إلاه لا حياة ثمَّة في هذه الحياة
ولن تستطيعي الفهم أبدا.

11916-9-7

تزجية الوقت

نشيد حسوي

إلى خوصي ألمادا نيغريروس:
«ألمادا- نيغريروس
أنت لا تتخيل كم أنا ممتنٌّ
لأنك موجود»
ألبارو دي كاسبو

-I-

أن أحس بكل شيء بكلِّ الطرق الممكنة،
أن أعيشَ الكلَّ في الجهات كلها،
أن أكون الشيء نفسه بكل الوجوه الممكنة في آن واحد،
أن أحقِّق فيَّ بذاتي الإنسانية جمعاء بكل لحظاتها
في لحظة واحدة مُطوَّلة، مديدة، كاملة وبعيدة.

أريد أن أكون دائما ذاك الذي أتلطَّف معه،
عاجلاً أم آجلاً سأتحول إلى موضوع ملاطفتي،
حجراً كان أم قلقا، زهرة أم فكرة مجردة،
جماعة من الناس أم طريقة لمعرفة الله

أتعاطَفُ مع الجميع، أحيا الكُلَّ في الكل.
العُظَماءُ من الرجال جذَّابون عندي لأنهم عظماء،
والأدنياء كذلك لأنهم أدنياء،
لأنَّ مَن هو أدنى مُخْتلفٌ عمَّن هُوَ أعلى،
وفي ذلك أفضلية بحسَب زاوية النظر.
أميل إلى أناس لمزاياهم الطَّبْعيَّة،
وإلى آخرين بسبب افتقارهم إلى تلك المزايا،
وكذلك أميل إلى ما سواهم لَمحْض التعاطف،
وثمة لحظات مطلقة العضوية.. كل الرجال
فيها رجال.
أجل، لأنني الملِك المطلق لعواطفي، حسبُ

العطف أن يوجد ليملك مبرِّر وجوده.
إلى صدري المختلج أضمُّ، في عناق مؤثِّر،
هُو نفس العناق المؤثِّر،
الرجلَ المتصدِّق بالقميص على المحتاج الذي يجهله،
الجندي الذي يموت من أجل الوطن بدون أن يعرف ما الوطن...

وقاتلَ أمه، قاتلَ أخيه، مُغتصبَ المحارم، مُغتصِب الأطفال،
قاطعَ الطرق، قُرصان البحارَ،
النشّال، الظلَّ المنتظر في الأزقة.
جميعهم يمثلون عشيقتي المفضَّلة، على الأقل
في إحْدَى لحظات حياتي.
أقبِّل ثغْر جميع البغايا
أقبِّل عيون كل القوَّادين،
عند أقدام جميع القتلة يركع خضوعي،
وردائي الإسباني يُخفي انسحاب كل اللصوص،
كل الأشياء هي سبب وجودِ لحياتي.

ارتكبتُ الجرائم كلَّها، وفي قلب كل الجرائم عشتُ.
(وأنا نفسي، في الرذيلة لم أكن لا هذا ولا ذاك،
كنت الرذيلةَ -الشخص- خالصةً لحظة اقترافها،
ومن ثمة تأتي الساعات الأبعد من
قوس النصر في حياتي)

لقد تعددتُ كيما أحسَّ
ولكي أحس، كنتُ بحاجة إلى الإحساس بكل شيء،

طفحتُ وارْتشحْتُ، تعرَّيتُ، واستسلمُتْ،
وفي كل زاوية من زوايا الروح
أقمتُ مذبحًا لإلاه مختلف.

أذرُع العدائين جميعا إحتوَتني حينما صرتُ
فجأة أنثى، وأنا لمجرد تخيلي ذلك أغميَ
عليَّ بين العضلات المتخيَّلة.

لفَمي مُنحتْ قُبَل كُلُّ المواعد،
في فؤادي لوَّحَتْ مناديل الوداعات كلها،
كل الدعوات الفاحشة بالإشارة بالنظرات
صَفعتْ مجموع جسدي في المراكز الحساسة.
كنتُ النُّسَّاك جميعا، الهامشيين، المنسيين،
جميع اللوطيين، مطلق اللوطيين (بغير استثناء).
موعد أحمر وأسود في أعماق جحيم روحي!

(فريدي، كنتُ أدعوك بابي، لأنك كنت أشقر،
لذلك أحبَبْتُك)

كم من إمبراطورات متوَّجات وأميرات
مخلوعات كنتِ بالنسبة إليَّ!

ماري التي معها كنتُ أقرأ بورن في أماسٍ
كئيبة كآبةَ الإحساس بالحياة،
ماري، أنت لا تعرفين أبدًا كَمْ مِن زيجات عفيفة،

كم أسَر سعيدة عاشتها فيك
عيناي وذراعي على ردفَيْكَ،
ووعيي مُلتبس،
كم أُسَر بحيواتها الهادئة، بيوتها الضاحويّة
ذوات الحدائق، وبأنصاف عُطلها الطارئة...

تعسُ أنا، ماري
تعَسٌ تعس...

آه، جميعكُم أنتم، جميعكم، عابرين، متأخرين،
كم مرّات كان عليكم أن تفكروا في تذكُّري
ولَم تفعلوا،
آه، ما أقل شأني قياسا بما كُنتموه، ما أقل، ما أقل
ما كنتُه، آه كوني الذاتي،
آه، شمسي، ضياء قمري، نجومي، لحظتي،
آهٍ، يا جزءاً خارجيا من ضياعي في متاهات الله!

الكل يمرُّ، كل الأشياء في عَرْض بداخلي تمر،
وبداخلي كل مدن العالم تُوَشوِش...

قلبي محكمة، قلبي سوق، قلبي صالة بورصة،
قلبي شُبّاك بنكي،
قلبي موعد الإنسانية جمعاء،
قلبي مقعد حديقة، نُزل، فندق، رقم في زنزانة،

(هنا أقام مانولو قُبيْل اقتياده إلى سقالة الإعدام)
قلبي ناد، صالون، مقصورة، ممسحة أقدام، شباك،
رَوْزَنة، قَنطرة، حاجز شباك، نُزْهة، مَسيرة، سفر،
مزادٌ، مَعْرض، موسم حج،
قلبي خَوْخة،
قلبي رُزْمة،
قلبي رسالة،
قلبي متاع، مرضاة، تسليم،

قلبي هامش، حَدٌّ. مُختصر، مؤشِّر،
إيلا، إيلا، إيلا، أيُّ بازار هو قلبي،

في قلبي جلبتُ معي كما لو في خزانة لا يمكن
إقفالُها لاكتظاظها، كُلَّ الأمكنة التي حلَلْتُ بها،
كل الموانئ التي إليها وصلتُ،
كل المناظر التي شاهدتُها من النوافذ أو كُوَى
السفينة، أو حالِما، من خلال ظُلاَّت السفن،

وهذا كله، على كَثْرته، قليل قياساً إلى ما أريد.

مَدْخَل سنغافورة، باللون الأخضر، مع طلوع الصباح،
المشهد الدافئ عبر مرجان المالديف
مَاكَاو في الواحدة ليلا... أستيقظ فجأة...
يات - لو - وُ- وُ- وُ- وُ- وُ- وُ... غي-...
وذلك يذكِّرني من عمق واقع آخر...

القَوام الشمال إفريقي الزنجباري تقريبا تحت الشمس...
دار - السلام (الخروج عسير)
ماجونغا، نوسِّي به، اخضرارات مدغشقر...
العواصف حول غوارْدَافْوي...
ورأس الرجاء الصالح جليا تحت شمس الصباح
ومدينة الكَابُو بجبل الهضبة في أقصى المشهد...

سافرتُ إلى أراضٍ أكثر من تلك التي رسَوْتُ فيها...
رأيتُ من المشاهد ما يفوق تلك التي رأتها عيناي...
جرَّبتُ من الأحاسيس ما يفوق تلك التي أحسستها
لأنني لفرط ما أحسستُ، دائما ظل ينقصني ما أحس،
والحياة آلمتني دائما، قليلة كانت دائما... يا لتعاستي.

في لحظات معينة من النهار أتذكر هذا كله فأصاب بالذعر،
أفكر فيمَ سيفضُلُ لي من هذه الحياة إِرباً إرباً، من
هذا الأوج، من هذا الطريق ذي المنعرجات، من هذه

السيارة في حفرة الطريق، من هذا الإعلان،
من هذا التعكُّر الهادئ لأحاسيس مُتنابذة،
من هذا الإصفاق، من هذا اللاعيش، من
هذا التقارب القُزحي،
من هذا القلق في أعماق كل الأقداح،

من هذا الغمِّ في أعماق كل الملذات،
من هذا الشبع المُسبق في عُرى كل الفناجين،
من لُعبة الورق المملَّةِ هذه بين رأس الرجاء الصالح
وجُزر الكناري.

لا أدري أهي الحياة قليلةٌ
أم أكثر مما ينبغي بالنسبة إليَّ؟
لا أدري أبالكثرة أحسُّ أم بالقلة؟
لا أدري أينقصني وَسواس روحي، نقطةُ ارتكاز
في الذكاء، قرابةٌ دموية مع سرِّ الأشياء،

صدمةٌ في الاتصالات، دم تحت الضربات، ارتعاش
عند سماع الضجات،
أم أنَّ لهذا تفسيرًا أسهل وأهنأ؟

كائنا ما كان الحال، كان من الأفضل ألا أكون موجوداً،
لأن الحياة مهما كانت أهميتها في كل اللحظات،
تؤدي إلى إيلامنا، إغثائنا، بَترِنا، استهلاكنا،
تحملُنا على أن نصرَّ، على الرَغبة في الصراخ، على
الوثوب، على المكوث في الأرض، على الخروج بعيداً
عن البيوت كلها، الجهات، الشرفات جميعها

والمضيٍّ إلى حيث نصير متوحشين حتى الموت
بين الأشجار وطبقات النسيان، بين الرَّجَّات
والمخاطر وغياب الغد،
وهذا كله يجب أن يكون أيَّ شيء آخر قريب
مما أفكر فيه أو أحسُّه ولا أعلم ما هو، آه أيتها الحياة.

أضَعُ ذراعيَّ على الطاولة بهيأة صليب،
أُسندُ رأسي عليهما.
أحتَاجُ إلى الرغبة في البكاء، لَكنْ لا أعرف
كيف أمضي للبحث عن الدموعِ...

بالرغم مما أبذُل من جهد في الإحساس بالشفقة على
نفسي، لا أنجح في البكاء،
رُوحي مشقَّقة تحت السبَّابة المقوَّسة
التي تلمسها...

ماذا سيكون مني؟ ماذا سيصير مني؟
طردوا مهرج القصر ضربا بالسياط، بلا سبب،
أجبروا المتسوِّلَ على النهوض من الدُّرج الذي سقط فيه،
ضَرَبوا الطفل المنبوذ ونَزَعوا الخبز من يديه.
آه يا حزن العالم الشاسع، ما ينقصنا هو الفعل...

يَا لهُ من تدهور، يا له من تدهور، يا له من تدهور!....
فقط أكون على ما يرام عند سماعي الموسيقى، ولا حتى معها.
يا حدائق القرن الثامن عشر قبل 89،
أين أنتنَّ؟ ذلك أنني أريد البكاء بأيما وسيلة...

رتيبا يحلُّ المساء مثل بَلْسم لا يواسي إلا من خلال
فكرتنا عنه كبلسم، رتيبا يحل شيئا فشيئا
مساء هذا اليوم وسائر الأيام.
لقد أشعلوا الأضواء، يحل المساء فتُستبدل الحياة.
من الضروري مواصلة الحياة، مهما كانت الوسيلة.
روحي تضطرم كما لو كانت فيزيقيا، يداً.
أنا في طريق الجميع وهم يصطدمون بي،
لِيكُنْ هناك قطارٌ بالأقل، سرعةٌ وقرار بالرحيل
بينك وبيني،

وهكذا أبقى، أبقى... أنا الذي يريد الرحيل دائما
ودائما يُفضل البقاء، دائما يبقى، يبقى،
حتى الموت يبقى، حتى لو رحل يبقى، يبقى، يبقى...

فلتعُدْ إليَّ أيها الليل، عُد أخويًا إليَّ وَدُوداً.
إنسانيا فحسب يصبح العيش ممكنا.
فحسب بحُبٍّ الرجال، الأفعال، تفاهة الأشغال،
فحسبُ هَكذا -واحسرتي- هكذا يمكن أن نعيش.
هكذا فحسب، أيها الليل، وأنا لن أستطيع أبدا أن أكون هكذا
رأيتُ كل شيء وأعجبتُ بكل شيء،
لكنْ كل شيء إمَّا زاد على حاجتي أو كان أقل مما أريد
-لا أدري كيف!- وعانيتُ ما عانيتُ.
عشتُ جميع الانفعالات، الأفكار، الحركات،
وبقيتُ حزينا كما لو أنني رغبت في أن أعيشها
بدون أن أحقق منها شيئا.
مثل جميع الناس أحببتُ وكرهتُ.
وكان ذلك استثناءً، صدمةً بالنسبة إلي
وليس أمرا طبيعيا غريزيا
كما هو بالنسبة إليهم.

تعال أيها الليل وأطفئني، تَعالَ وأغرقني فيك.
أيتها الليالي يا سيدة الأقاصي الحنون، سيدة
الحداد اللانهائي،
يا حزن الأرض الخارجيَّ، بكاءَ العالم الصامت،
أيتها الأم الحلوة القديمة للانفعالات اللامعبَّر عنها،
أختٌ كبرى أنت، عذراء وحزينة، للأفكار المشتتة،
خطيبة تنتظر أبداً رغباتنا الناقصة،
الوجهة المنبوذة باستمرار لمصيرنا،
شكَّنا الوثني الكئيب،
ضعفنا المسيحيَّ بلا إيمان،
بوذيَّتنا الخامدة، المجردة من حب الأشياء
ومن الانخطاف،
حُمَّانا، شحوبَنا، نفادَ صبرنا، صبر الضِّعاف،
حياتنا، آه يا أمنا، حياتنا الضائعة...

لا أُجيد الإحساس، لا أعرف كيف أكون إنسانا،
كيف أتعايش من داخل الروح الحزينة
مع الرجال إخوتي في الأرض.
لا أعرف أن أكون نافعا حتى وأنا أحس،
أن أكون عمليا، يوميا، واضحا،
أن يكون لي موقع في الحياة، ونصيبٌ بين الرجال،
أنْ أمتلك عملا، قوة، إرادةً، بستانا،
مُبرِّرا لأستريح، لأتسلَّى،
شيئاً ما يأتي مباشرة من الطبيعة إليّ.
لذلك، كوني أمومية معي، أيتها الليالي الهادئة!...
أنت، مَن تنتزعين العالم من العالم، أنتِ السلام،
أنتِ العديمة الوجود، أنتِ التي لستِ سوى
غيابَ للنور، أنت التي لستَ بشيء، لَست مكانا،
جوهراً، حياة، بنيلوب صاحبَة الثوب، الغدَ المنسول
من عتمتك، الخداعة اللاواقعية للمحمومين،

للقانطين بلا سبب،
تعاليْ إلي، مُدِّي إليَّ اليدين،
وكوني بردًا وسلاما، على جبيني، أيتها الليلة...

أنتِ التي يبدو حلولكِ انفصالا لفرط نعومته أيتها
الليالَي، ولتمارُج ظلمتَك، عندما يتنفس القمر،
أمواجٌ من مداعبة ميتة، برودة بحَار من منامٍ،
نسماتٌ من مشاهد مفترضة لغَمِّنا المفرط..
بكَّاءة أنت بشحوب، بسيولة، عطرُ الموت أنتِ
بين الزهورَ، نفَس الحمّى على الَضفاف،
أنت ملكة، قشتالية، أنتِ، سيدة شاحبة،
تعالي...

بوق الصباح جليّ في عمق
نصف الدائرة - البارد للأفق،
بوق خافت قصيّ مثل أعلام غامضة
منبشورة فيما وراء المجال الذي تُرى فيه الألوان...

بوقٌ مرتعش، عجاجٌ ساكن حيث ينتهي الليل،
عَجاجٌ من ذَهب ساكنٌ في قاع ما يُرى.

سيارة تُزمِّر، باخرة تُصفِّر،
رافعة تشرع في الدوران في مسمعي،
سُعال جافّ من أول من يغادر المنزل،
قشعريرةٌ صباحية خفيفة في غمرة الفرح بالحياة،
قهقهةٌ مباغتة محجوبة بالضباب الخارجي لا أعلم كيف،
متعلمة خياطة منذورة لما هو أسوأ
من الصباح الذي تحسه،
عاملٌ مسلول عاجزٌ عن الإحساس بالسعادة
في هذه الساعة ذات الحيوية القاهرة،
حيث مظهر الأشياء ناعم وجَذّاب،
حيث الجدران نديّةٌ لدى لمسها باليد،
والمنازل تفرك هنا وهناك أعيُناً ذاتَ ستائر بيضاء...

كلُّ فجر ستارٌ يهتزّ
ويُنعش أوهاما وذكريات في روحي،
روح العابر، في فؤادي المُقصى من الروح الوبائية،
في فؤادي المتعَب السهران □

والكل يسير
نحو الساعة الطافحة بالنور إذ المتاجر
تفتح الأجفانَ، مع ضجيج حركة المرور / عربات
القطار وأنا أحس الشمس شَعْثاء.
دُوار منتصف النهار مُحاطا بأكثر من دوار،
شمس على الذُّرى - لرؤيتي المخدَّدة،
للطاحونة المتوقِّفة لذاكرتي المتيبّسة،
للوميض المُضبَّب الثابت لوعيي بالحياة.

ضوضاءُ حركة مرور عربة قطار سيارات
أنا أحس شمساً شارعا، طارات براميل تراما
دِكانا واجهات متاجرَ تنانيرَ عيونَا بسرعةَ قضباناً

سيارات براميل ثَمّة شارع اجتياز شارع طِوار
تجار «عفّوا» شارع
شارعٌ يتجول عبري يتجول عبر الشارع
عبري الكلُّ مرايا الدكاكين هنا داخل دكاكين
الهُناك سرعة السيارات بالعكس في المرايا المائلة
للواجهات،

الأرضُ في الهواء الشمسُ تحت الأقدام يا شارعُ
إسْقِ أزهارًا في السّلة يا شارعُ ماضيَّ شارعٌ
يرتجفَ شاحنةٌ شارعٌ لا أتذكَّر أنا خافض الرأس
في مركز شعوري بي شارعٌ بدون إمكانية
إيجاد إحساسٍ فحسبُ في كل مرة شارع
شارعٌ إلى الخلفَ وإلى الأمام تحت قدميَّ
شارع في x في y في z داخل ذراعيَّ شارعٌ
من خلال عُوَيْنتي الطبية دوائر من سينما
مصغَّرة، مِشْكالُ منعرجات قزحيّة واضحة شارعٌ

سُكْرٌ بالشارع وبإحساس رؤية سماع كل شيء
في آن واحد. وَجيبُ الصُّدغين لديَّ لأني أحيا
صَوْب هُنا في نفَس الآن الذي أترنَّح فيه صوب هناك،
أطوي كل الأيام زوايا كل الشوارع
ودائما إذ أفكر في شيء أكون مفكرا في شيء آخر
....
....

من أرصفة جميع المدن الممكن تخيلها
أراقب الحياة التي تمر، أتابعها بدون أن أتحرك،
أنتمي إليها بدون أن أُخرجَ مجرَّدَ إشارة من الجيب،
أو أدوِّن ملاحظةَ حول ما رأيتُ لكي أتصنَّع ما رأيتُ.

في السيارة الصفراء تمر المرأة النهائية لأحدهم،
بجانبها أمُرُّ بدون أن تَعْرف.
على الطّوار المجاور يلتقيان وِفْقَ مصادفة مدبَّرة،

لَكنْ قبل لقائهما كنتُ أنا هناك معهما.
ما مِنْ طريقة تجنِّبهُما اللقاء بي، ما مِن وسيلة
تمنع وجودي في كل الجهات،
امتيازي هو الكل،
(براءة اختراع، بدون ضمانة من الله، يا روحي)

حاضرٌ أنا في كل شيء وعلى نحو نهائي.
ما من حِلية لامرأة لمْ تُشْتَرَ لي ولأجلي،
ما مِن رغَبة في انتظارٍ إلا وهي رغبتي بطريقة ما،

ما من نتيجة محادثة إلا وهي آيلة إليَّ مصادفة،
ما مِن قَرع أجراس في لشبونة مَنذ ثلاثين عاما،
أو لَيلة سان كارلوس منذ خمسين عاما،
إلا وهو ملاطفةٌ مُفترضة مُوجَّهة إليَّ.

ربَّتني المخيِّلة، على يدها تمَّتْ
دائما أسفاري،
أحببتُ، كرهتُ، تكلمتُ، فكرتُ دائما معها،
وللأيام جميعها تلك النافذة المفتوحة أمامي
وهكذا تبدو كل الساعات ساعاتي

أنبَطِح طُولاً على الحياة كلها
وبداخلي تفور ضَراوةُ الحياة...
لا تُوجد إشاراتُ لذّة في العالم تعادل
الفَرحَ العجيب لمن لا يملك طريقة للتعبير عنها
غير أن يتمرَّغ فيَ التراب بين أعشاب
وأقحوان ويمتزج بالأرض حدَّ تلويث البدلة والشَّعْر...
لا توجد أشعار قادرة على إيصال هذا...
انتَزعُوا □ من عشب، ولتعضوها وستفهمونني،
ستفَهمون تَماما ما أعبِّر عنه بكيفية ناقصة.
بي رغبة هائجة في أن أكون جذرا

مُتابعا من الداخل الأحاسيس مثل نُسْغٍ...
أريد امتلاك كلِّ الحواس بما في ذلك الذكاء
والتخييل والكبح،
على سطح الجلد ليكون بوسعي أن أتمرَّغ
على الأرض الخشنة من أبعد ما في الداخل،
حاسًا بالمزيد من الخشونة والشذوذ.
سأكون راضيا فحسب لو أن جسدي كان روحي..
هكذا كنتُ سأشعر بالرياح، الشموس،
الأمطار، بالطريقة الوحيدة التي أرغبها..
ولأنَّ هذا لا يمكن أن يحدث، أيأس، أغتاظ
أبغي امتلاك القدرة على نزع ثيابي عَضًا ثم
امتلاك مخالب أسد كيما أمزِّقُني إربًا إربًا
حتى يسيل الدم، يسيل، يسيل، يسيل...

أتألم لأن هذا كله غيرُ معقول
كأن أحدا كان به خوفٌ منِّي
من إحساسي العدواني بالقدَر، بالله،

الإحساس المُتولِّد من تعلقنا بما يعجز عنه الوصف
ثم قياسنا جيدا، بغتة، مقدار هشاشتنا وصِغَرنا.

كل الأصباح هي مطلق الفجر والحياة
كل الأفجار تبزغ في المكان نفسه: اللانهائي...
كل أفراح الطيور من نفس الحنجرة تأتي،
من الشجرة نفسها تأتي اهتزازات جميع الأوراق،
وجميع الناهضين باكرا إلى أعمالهم
يمضون من نفس الدار إلى نفس المصنع عبر الطريق نفسها.

دُوري كُرَةً كبيرة، مَجْمَع الأوعاء، أرْضاً
عجلة، مُصبحة، ممسية، عموديا تحت الشُّموس، ليليةً
دُوري في الفضاء المجرَّد، في الليلة السيئة الإضاءة
دُوري.

أُحسُّ سرعة دوران الأرضْ في رأسي،
الأَوطان كل الأوطان كل الأشخاص بداخلي
يدورون،

غَمٌّ مركزي، حَنَق الرغبة في الانطلاق عبر الأجواء
حتى النجوم، تصطدم ضرباته بداخل جمجمتي،
يضع ضمَادات على كامل وعيي الجسدي،
يجعلني أنهض آلاف المرات وأتَّجه نحو المجرد،
نَحْوَ ما لا يمكن العثور عليه، هناك بلا تحديد،
حيث الغاية اللامرئية لكل الجهات التي لا أوجَد فيها
والكل مرة واحدة.

آه، ألا أكون مُتوقِّفا ولا سائرا،
ألا أكون مضطجعا ولا واقفا،
لا مستيقظا ولا نائما،
لا هنا ولا في أي مكان آخر،
أن أحُلَّ معادلة هذه اللاطمأنينة المطوَّلة
أن أعرف أين أكون حتى أستطيع الانْوِجَاد
في أي مكان،

أن أعرف أين أرمي نفسي لأسْتَطيع
التجوُّل عبر الشوارع كلها،
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو - هُو
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو - هُو

وَثْبَة مُجنَّحة مني فوق الأشياء كلها،
وثبة مُدوية تحت كل الأشياء،
وثْبة مجنَّحة ومدوية منّي بسبب الأشياء كلها...

هُوبًّا - فوق الأشجار، هوبّا، تحت البرك،
هُوبّا، فوق الجدران، هوبّا وأنا ألمس الجذوع،
هوبّا في الهواء، هوبا في الريح، هوبّا في الشّطآن،
بسرعة نامية، ملحة، عنيفة،
هوبّا، هوبّا، هوبّا!..

وثْبة حُلولية مني داخل الأشياء كلها،
وثبة طافيّة في قلب الطاقات كلها،
وثبة مني داخل الفحم المحترق، داخل المصباح
المضيء،
داخل كل استهلاكات الطاقة
وثبة أمبيرات [ ].
وثبة متفجرة، مُدوية، مثل قنبلة تتشظّى،
وثبة تتفجر في كل الاتجاهات في وقت واحد،
وثبة فوق الفضاء، وثبة فوق الزمن،
أمتطي حصانا نيو- إلكترنيا، نظاما شمسيا مصغّرا،
داخل حركة المكابس، خارج دوران الدواليب المسنَّنة،
داخل المكابس، متحولا إلى سرعة مجرَّدة ومجنونة،
أشتغل بحديد وسرعة، ذهابٌ وإياب، جنونٌ،
غيظ كظيم،
مَشْدُودا إلى مُخُور المحركات الماءَ أدورُ ساعات
مذهلةً والكون كله يَصرُّ، ينفجر ثم يهوي بداخلَي.
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو

سرعة أكثر فأكثر، الروح تسبقُ
الجسَد أكثر فأكثر، تسبق الفكرة الخالصة السريعة
للجسد المقذوف،
مع الروح أمام وراء الجسد، بمثابة ظل، شرارة،
إيا، هُو، هو... إيا، هُو، هو...

كل الطاقة هي ذاتها والطبيعة كلها هي الطبيعة نفسها...
نُسغ نُسغ الأشجار هو الطاقة ذاتها التي
تحرك عجلات القاطرة، عجلات التّرام، مقاود السيارات
الدِّيزيل،
وإنَّ عربةً مجرورة من طرف بغلات أو محرَّكة بالبنزين
هي عربة يقودها الشيء نفسه.

إنه لهَيَجان حُلوليٌّ أن أحسَّ، بكيفية مروِّعة،
بكل حواسِّي مُتهيِّجة، بكل مسامِّي مُدخنة، بأن كل
شيء سرعة واحدة، طاقة واحدة، خط واحد إلاهيٌّ
في ذاته ولذاته، محبوس يُوشوِش
بعنف سرعة مجنونة...

هُو - هُو - هُو - هُو - هُو
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو
هُو - هُو - هُو - هُو - هُو

مَرْحَى، مَرْحى، لتعشْ وحدة السرعة في كل شيء!
مَرْحَى، مَرْحى، لتَعشْ مساواة الكل في اتجاه واحد!
مَرْحَى، مَرْحى، لَتَحيى آلة الكون الكبرى!
مرحى، ذلك أنكنَّ الشيء نفسه، أشجارا، آلات، قوانين،
مرحى، شيء واحد أنتنَّ، يرقات، مكابحَ، أفكارا مجردة،
نفس النسغ يملؤكُنَّ، نفس النسغَ يحوِّلكنَّ،
نفسُ الشيء أنتنَّ، والباقي خارجيٌّ وزائف،
الباقي، الباقي الجامد الذي يبقى في الأعين المتوقفة،
لكن ليس في أعصابي محركُ انفجار بالزيوت الثقيلة
أو الخفيفة،
ليس في أعصابي، الآلات كلها، كل أنظمة المسنَّنات،
في أعصابي القاطرة، أعصابي الترام، السيارة، الحصَّادة البخارية،
في أعصابي الآلة البحرية، الديزيل، نصف الديزيل، كامبل،

في أعصابي جهاز كامل بالبخار، بالغاز،
بالزيت والكهرباء،
آلة كونية مشغَّلة بأحزمة كل اللحظات!
تَحَطَّمْ أيها الموكب على دَارئات الطريق الميتة!
أبحري أيتها الباخرة مستقيمَة صوب الميناء
ثم تحطّمي عليه!
يا سيارةً يقودها جنون الكون بكامله،
تردَّيْ في الهاويات جميعها،
تحطَّمي، تفتَّتي في قاع فؤادي!

إليَّ[1] بكل القذائف!
إليَّ بكل الأشياء الاتجاهات!
إليَّ، كل الأشياء اللامرئية والسريعة!
إضربوني، اخترقوني، تجاوزوني!
فأنا من يضرب، يخترق، يتجاوز!
غضبُ كل الاحتدادات ينغلق حولي!

---

[1]- A moi . هكذا بالفرنسية في الأصل.

إيَا، أُو، أوه، يا قطار، يا سيارة، طيارة قلقي،
يا سرعة، انفُذي إلى كل الأفكار،
إصطدمي بكل الأحلام وحطّميها،
إسحقي كل المُثُل الإنسانية والنافعة،
دُوسي كل العواطف السويّة، المحتشمة، المتطابقة،
إحملي في دوران محرّكك المدوِّخ والثقيل
أجسام كل الفلسفات، خَرِّقَ القصائد، مَزِّقيها،
ولتبقَيْ وحدك أنت، مقودًا مجردًا في الأجواء،
سيِّدةً عُليا للساعة الأوروبية، مَعْدنًا يتأجج.

هيَّا، لتكُن الوثبة لا نهاية لها حتى في الله!
هَيَّا، حتى لو بقيتُ أنا وراء الوثبة، فَلأبْقَ
هناك مجرورا إلى مؤخرة السفينة، مَلْويًا،
مُفْرغًا، ضائعا، أنا المسكين، جسدي وروحي
يصلان إلى أعلى ارتفاعاتي حيث أتوق
إلى يوتوبيّات لمجاوزة الكون
لترك الله ورائي مثل صُوَّة ألف [   ]،
لتحرير الـ

يُؤلمني الخيال، لا أدري كيف، لكن هُو ما يؤلمني،
بداخلي تبدأ الشمسُ في الانحدار من أعالي السماء.
يبدأ الميل نحو الغروب في الزُّرقة وفي أعصابي.
هيَّا، أيتها الوثبة، إلى أيّ آخَر إضافي ستُحَوِّلِينَني؟
أنا الذي، سريعا، نَهما، أكولا للطاقة المجردة،
أردتُ أن ألتهم، أشرَب، أخدش وأسلخ العالم،
أنا، الذي فقط يُرضيني أن أضع الكون تحت قدميّ،
وأدوس، أدوس، أدوس حتى أفقد الإحساس.
ذلك أنني أشعر أن كل ما رغبتُ فيه
ظل خارج ما تخيَّلتُ،
وأنني بالرغم من رغبتي في الكل، ظل ينقصني الكلُّ
وثبة مفكَّكة فوق القمم كلها،
وثبة مُنحلَّة تحت كلَ الآبار،
وثبةٌ طيرانٌ، وثبة سهمٌ، وثبة تفكير - برق،
وثبةٌ أنا، وثبة أنا، وثبةٌ هي الكون - أنا.
هيا - هُو - هُو - أُ - أُ - أُ - أُ - أُ - أُ - أُ......
كَيْنونتي مطَّاط، رصيف، إبرة، اهتزاز...

-II-

أن أحسَّ الكُلَّ بكل الأشكال،
أن أملك الآراء كلها،
أن أكون صريحا أناقض نفسي في كل دقيقة،
أن أُزعج نفسي بالطريقة ذاتها
بإيعاز من التحرُّر الكامل للروح،
وأن أحب الأشياء كما أحب الله.

أنا الأخ الأقرب إلى شجرة مني إلى عامل،
أنا الذي أحس الألم المتخيَّل للبحر إذ يضرب
الشاطئ أكثر من إحساسي بالألم الواقعيّ
للأطفال حين يُضربون بالفعل.
(آه، كَم ينبغي أن يكون هذا مختلفا،
يا أطفالا مساكين يُضربون!
ولماذا أحاسيسي تتناوب بهذه السرعة؟)

أنا الذي لستُ، في النهاية، سوى حوار متواصل،
كلام جهير لا مفهوم، لَيْلِ عابرٍ في البرج،
عندما تهتز الأبراج قليلاً بدونَ أن تلمُسها يدٌ.

ومعرفتنا بأنَّ ثمّة مزيدا من حياة
علينا أن نعيشها في الغد تثير فينا الحزن.
أنا، في النهاية، حرفيًا أنا،
وأنا مجازيا كذلك،
أنا الشاعر الحسَّوي[1]، المبعوث من المصادفة
إلى القوانينَ السليمة للحياة،
أنا مدخّن السجائر باحتراف مناسب،
مدخِّن الأفيون الذي يتناول الأبسنط[2]
لكنه يفضِّل، في النهاية، أن يفكر
في تدخين الأفيون على تدخينه

1- Sensacionista.

2- الأبسنط: مشروب كحولي مستخلص من «الشيبة» كان شائعا في القرن 19 في أوربا. (ڤرلين كان أحد مدمنيه).

وهو يُشاهَدُ ناظرًا إلى الأبسنط هاماً بشُربه،
أكثر مما يشربه بالفعل...
أنا - هذا الوضيع الرفيع بلا أرشيفات في الروح،
بلا شخصية ذات قيمة مُعترف بها،
أنا الباحث الجليل في توافه الأشياء،
قادر على الذهاب لأعيش في سيبيريا
فقط لنفوري من ذلك،

ومَا من أهمية، عندي، للاهتمام بالوطن
لأنني لا أملك جذرا كالشجرة..
أنا الذي أحسُّ أحيانا كثيرة أنني واقعي تماما
مثل استعارة، مثل عبارة كتبها مريض
في الكتاب الذي عثَرتْ عليه الفتاة في سطيحة،
أو لعبة شطرنج على سطح سفينة محيطات،
أنا المربية التي تدفع من يتجولون في كل
الحدائق العمومية،

أنا الحارس الذي ينظر إليها، مُتوقّفاً هناك
خَلْفَ أشْجَار الحَوْر،
أنا، الصبيُّ الذي من عربته الصغيرة
يُصدر إشاراتٍ بعقد من الجلاجل للأَشْعُوره
الصباحيِّ،
أنا المشهدُ الموجود خلف هذا كله،
السلام المُدُني المروَّق عبر أشجار الحديقة العمومية
أنا مَن ينتظر الجميع في البيت،
أنا لقاؤهم في الشارع،

أنا مَا لا يعرفونه عن أنفسهم،
أنا ذلك الشيء الذي تفكر فيه فيجعلك تبتسم.
أنا، المتناقض، الخيالي، الثقيل، الزَّبَد،
المُلصق الموضوع منذ قليل، أرْدَاف الفرنسيَّات
نظرة القسِّيس، أنا الساحة حيث
يلتقي شارعان وينام السائقون[1] مُستندين
على سياراتهم،

[1]- Les chaufeurs ، هكذا بالفرنسية في الأصل.

نَدْبة العريف العَبوس، الوَسَخ
على ياقة قميص المعلّم المريض العائد إلى المنزل،
الفنجان الذي كان الطفل المُتوفَّى يشرب دائما منه،
وهو ذو عروة مكسورة (وقلب الأم
يَسع هذا كله...)
أنا الإملاء الفرنسي للصغيرة تلمس الجوارب.
أنا القدمان المتَحاكّتَان تحت طاولة البريدج
على ضوء الثريَّا،
أنا، الرسالة المُخفاة، دفءُ المنديل،
الشرفة ذات النافذة المواربة،
بَابُ المصلحة حيث الخادم تُناجي رغبات
ابن عمِّها،
أنا القوَّاد خُوصي الذي وعَد بالمجيء ولم يجئ
بينما كُنا قد دَبَّرْنا مكيدة له...
أنا كل هذا وما تبقى من العالم علاوة...
أشياء كثيرة أنا الأبواب التي تُفتح

والسَّبب الذي به تُفتح الأبواب...
والأشياء التي صَنعتْها الأيدي فاتحةُ الأبواب..
أنا التعاسة - الخلاصةُ للتعابير كلها،
استحالة التعبير عن مطلق العواطف،
بدُونما شاهدة على قبر الأخ الكلِّي لهذا كله.
وما يبدو مجرّداً من أي معنى
هو ما ينطوي دائما على معنى...

أجل، أنا المهندس البحري المُتطيِّر
مثل عرَّابة قروية،
أستعمل عُوينة طبيَّة حتى لا أبدو
مطابقا اللفكرة التي أحملها عنِّي،

إذْ أتأخر، أحيانا، ثلاث ساعات في ارتداء
ثيابي بدون أن يبدو ذلك طبيعيا بل ميتافيزيقيا،
وإذا ما نودي عليَّ بالباب أغضبُ
لا بسبب إرباكهم لي وأنا أسوِّي ربطة عنقي، كَلاَّ

وإنما لأن ذلك يُنبهني إلى أن هناك حياة...
أجل، أنا، في النهاية، مَنْ تُوجَّه إليه الرسائل
المختومةُ بالشمع الأحمر،
صندوقُ الأحرف البارزة المستهلكة،
نَبرة الأصوات التي لن نسمعها أبدًا،
ليحفظ اللّهُ ذلك كُلَّه في الغيب، نحن أحيانا
نُحسُّه
فيما الحياة تُغمُّنا فجأة فتَعْرونا برودة
تتجاوز الجسَد منَّا.
بريجيدا، ابنة عَم خالتي،
الجنرال الذي تَحدَّثْنَا عنه -كان جنرالا في صِباهما-

وكانت الحياة حرباً أهلية في كل مكان...
لتَحْيَ الميلودراما التي بكى فيها مارغو[1]!
اَلأوراق اليابسة على الأرض تسقط بلا انتظام،
لكن الواقع هو أن ثمة دائما خريفا في الخريف،
وبعده يأتي الشتاء حتمًا،
وثمة طريق وحيد للحياة، هو الحياة...

[1] - Vive le melodrame au Margot a pleuré ، بالفرنسية، هكذا في الأصل.

ذلك العجوز الحقير، تعرَّف على الرومانيطيقيين،
ذلك المنشور السياسي من زمن الثورات الدستورية،
ثم الألم الذي يتركه كل ذلك، بدون أن يُعرف السبب
وما من سبب لبكائه تماما غير الإحساس به.

جميع المحبِّين تبادلوا في روحي القُبل،
جميع الصعاليك ناموا للحظة عليَّ،
جميع المُهانين اتَّكؤوا للحظة على ذراعي،
كل العَجزة والمرضى عبروا الشارع
من ذراعي،
وكُلّ القَتلة لي باحوا بسرِّهم.

(تلك التي ابتسامتها توحي
بالسلام الذي أفتقده،
في إغضاءة عينيها يتجلى مشهد من هولندا،
بالرؤوس الأنثوية المغطاة بالكتان
وكل المجهود اليومي لشعب مُسالم ونظيف...

تلك هي الخاتَم المتروك على الدولاب،
والشريط المسلوب عند إغلاق الصندوق،
شريط ورديٌّ لا أحبُّه للونه الوردي
ولكن لكونه مسلوبا،
مثلما لا تُعجبني الحياة ولكنْ
يُعجبني الإحساسُ بها وحسْب...

أن أنام كأيِّ كَلب ضالٍّ
في الطريق، تحت الشمس، على نحوِ نهائي،
بالنسبة إلى ما تبقى من الكون،
ولْتَمُرَّ السيارات من فَوقي)

ضاجعتُ كل العواطف
كنتُ قوَّادًا لكلِّ المشاعر،
مُصادفات الأحاسيس كُلِّها دعَتني إلى الشراب،
تبادلتُ النظرات مع كل الدَّوافع إلى الفعل،
مَدَدْتُ يَدي إلى كُلِّ ما يحُضُّ على الرحيل،

حُمَّى الساعات الشاسعة!
قلق مَصْهَر المشاعر!
الغضَب، الزبّد، الشسوع الذي لا يَسَعه منديلي،
الكلبة النابحة في الليل،
حوضُ الضيعة يَلفُّ أرقي،
الغابة كما لو كانت مساء حين تَجْوَالنا فيها،
الوردة، الشلّة اللامبالية، الطُّحْلب، أَشجار الصنوبر،
وكل الغَيظ الناجم عن عدم احتواء هذا كلّه،
عدم إيقافه،
أوه يا جُوع الأشياء المجرَّد، حماسة اللحظات
العاًجزة،

مُجون الإحساس الذهني بالحياة!
أريد امتلاك الكُلِّ بالكفاف الإلاهي
السُّهاد، الرضا، الإشعارات،
الأشياء الجميلة للحياة،
.

الموهبة، الفضيلة، الصَّفح،
الميل إلى اصطحاب الغير إلى المنزل
وضعية المسافر، أهلية الركوب في الوقت
المناسب للحصول على مقعد،
فائدة السفر إلى مكان آخر،
لكن دائما شيء ينقصنا، كأسٌ، نَسْمةٌ،
عبارةٌ،
والحياة تؤلمنا كلما كُنا أكثر استمتاعا بها وإبداعا لها...

أن أستطيع الضحك، الضحك،
الضحك، بانفتاح،
مثل كوب يُراق،
مجنونًا تماما فحسب لكوني أحسُّ،

مُحطَّمًا تمامًا جرَّاء احتكاكي بالأشياء
مَجروح الفَم من عَضِّي الأشياء،
مُدْمَى الأظافر لشدة ما اقْتلعتُ من أشياء
وبعدئذ إمْنَحوني أيَّما زنزانة تريدون
أن أتذكَّر فيها الحياة.

بين 25. 5. 1916 و 10. 4. 1923

تزجيه الوقت

أ-

إلى أمام أمضي، لا شيء يُشبهني، أجنَبيٌّ أنا،
النساء اللّواتي يَصلْنَ مُسرعَات إلى الأبواب،
مُسرعات يَعُدنَ
حالَما يرَينَني أمُرُّ،
دائما أنا في الجانب الذي هناك
من زاوية مَنْ ذَهَبوا إلى رؤيتي،
مُحَصَّنٌ ضدَّ الأصوات والتطعيمات.

أي ذكريات، أيُّها المساء!
أمس وأنا بَعْدُ طفلٌ يُطلُّ على البئر،
فَرِحًا أبْصَرت وَجهي فيما وراء
المِياه البعيدة.
اليوم، وأنا رجل، في مياه العالم العميقة
أبْصِر وَجْهي،

لكن أن كنتُ أبتسم فلأنني فقط
كنتُ الطفل الذي رأى فرحًا
وجهَه في البئر العميقة.

أحسُّ الجميعَ مادَّةً من جلدي.
ألْمُسُ ذراعي فأجدُهم فيه.
الموتَى -لَن يَبْرحوني أبدًا-!
لا الموتى الأشخاص، ولا الأمكنة الغابرة، ولا الأيام.
أحيانًا وسط ضجيج آلات المصنع
تَلْمُسني النوسطالجيا لمسًا خَفيفًا
في ذراعي فأعود...
وهنالك بالذات في فِناء منزلي القديم
أجدُه تحت الشمس،
أجد الطفل الذي كنتُ أجهله والذي كان
عليَّ أن أكونه.

آه، أيُّها الأموميُّ!
آه، أيُّها المعسول والصَّموت!
آه، أيُّها الليل الذي أنسى ذاتي فيه مُتذكِّرًا.

تزجيه الوقت

ج-

لا شيء يتعلَّق بي، لا أرتبط بشيء،
لا أنتمي إلى شيء.
كل الأحاسيس تعْرُوني ولا واحدٌ منها يبقى.
أنا أكثر تنوُّعًا من حَشْد مُصادفات،
أنا أكثر اختلافا من الكَون العَفويِّ،
جميع اللحظات تنتمي إليَّ لهُنَيْهَة،
جميع الأرواح كان لها لهُنَيْهة مكانٌ بداخلي.
سيولة حُدُوس، نَهرٌ من افتراضاتي،
دائمة ثمَّة أمواج مُتوالية،
دائما ثمة البحر، مياهٌ تجهَلُني
دائما تنفَصِل عَنِّي، على نحوٍ لا مُحدَّد.

آه يا مرفأ أبحرتُ منه نهائيا صَوْب الحقيقة،
آه يا مركبا، بقبطان وبحَّارين، مَنظُورًا في الرمز،
آه يا مياهًا هادئة، هدوء نهر موجود،

في الشَّفق الذي أحلم فيه.
أين أنتنَّ؟ ليكن في مكان وجودكنَّ وفي زمان.
أريد أن أرحل فألتقي بي،
أريد أن أعود لأعرف عنِّي،
كَمنْ يعود إلى البيت، كمَنْ يعودُ ليُستقبَل من جديد،
كَمَنْ محبوبًا، مايزال، في القرية القديمة،
كَمن يحتكُّ بالطفولة الميِّتة في كلِّ حَجر من أحجار السُّور،
ويرى الحقول الخالدة للزَّمن القديم مفتوحة
والحنين مثل أغنية أمٍّ تُهَدْهِدُ مُتقلِّبة
مأساة انصرام الماضي،
آه يا أراضي تحت الشمس، وطنيةً، محلية وجارَةً!
إلى الخَراء بالحياة!
امتلاك مهنة يُثقل على الأكتاف كرزمة مدفوعة.

امتلاكُ واجبات يُخمد،
امتلاكُ أخلاق يُطفئُ،

الثورة على الواجبات على الأخلاق
تحْيَا بلا مهارة يوميًا في الشارع.
يا خَطَّ الآفاق الدَّامس في عينيَّ،
أيُّ عويل ريح قريبة أراها مِن بعيد
وكيف تهتز فيما أراه من هنا!

نوسطالجيا بحجم الموت

ولكن لا، لا الجثة وحدها،
ذلك الشخص المرعب الذي ليس أحداً،
تلك الجدَّة السحيقة للجسد المعتاد،
ذلك المجهول الذي يظهر بفعل الغياب
في الشخص الذي نجهله،
تلك الهاوية المحفورة بين النظر والفهم،
لا، ليست الجثة وحدها ما يُؤلم الروح ويخيفها،
ما يزرع الصمتَ في أعماق الفؤاد،
بل كذلك الأشياء الاعتيادية الخارجية لمن مات
تُكدر الروح، بحُنوٍّ أكبر ينتاب إحساسنا بالخوف،
حتى لو كانت لعدوٍّ،
من بإمكانه انظر بدون نوسطالجية،
إلى الطاولة التي كان يجلس إليها الغائب،
إلى القلم الذي كان يكتب به؟

مَن يستطيع النظر بغير قلق شخصيٍّ
إلى سُترة المتسوِّل الميت، إلى حيث
كان يدسُّ اليدين (الغائبتين إلى الأبد) في الجيب،
إلى اللُّعب المرتَّبة الآن على نحو مرعب،
للطفل الميت،
إلى بندقية القناص الذي اختفى
معها فيما وراء جميع الجبال؟
كل هذا يُكدّر بغتة فهمي الغريب
بينما نوسطالجيا بحجم الموت
تُرعب الروح.

لَوْ عرفتِ

آه، حُبِّي، دمَقْسي، حريري،
ياً جُلْجلي الَفضِّي،
يا قلادتي منَ جواهر متروكة فوق الخزانة
يا خاتم زواجي الذهبي في الأصبع الوفيِّ
الذي شاخ،
يا أغنية صبايا عند الغروب،
يا دخان سيجارتي اللامجدية والضرورية،
يا كتابي المقدَّس المخصَّص للعب الأطفال
يا حبيبة أريد ضمَّها إلى صدَرَي ضمَّ ابنةٍ...

انتبهي، يدايَ محمومتان...
رأسي حامٍ، عيناي غريبتان...
الكل ينظر إلى وميض عينيَّ ويتسمَّر فيهما...

بي حُمَّى وبي عطشٌ بهما أتذكَّرك،
إذ لو كنتُ امتلكتُك كما كنتُ أبغي امتلاكك
(لا أدري أعلَى نحوِ جسديٍّ أم نفسي؟)

لما كانتْ بي حُمّى، ولا عطش، ولما اضطرم رأسي
ولما كانت عيناي ناشفتين، ناشفتين تمامًا
أسفل جبيني...
أنت لا تعرفين أيَّ حياة كانت حياتي!
أنت لا تعرفين أيَّ شهيد كنتُ!
لو عرفتِ معنى عشق الأشياء البسيطة والهادئة
وعدم امتلَاك أي طريق سوى البحث عن تلك الأشياء!
لو عرفتِ لماذا عندما أكون نهارا في ضيعتي
أشعر باشتَياق إليها كما لو لم أكن فيها..
لو عرفت ما أحسُّه ليلا، في الفنادق، عبر الشوارع،
لو عرفتَ! لكن أنا نفسي لا أعرف
لا أعرفَ ما أحس...

يا خرزاتي الملونة، يا بيتَ دُمايَ،
يا لُعب طفولتي المربوطة بعجلات!
أوه يا جيشي الذي يمر...
يا ليلي في السيرك، في الأحصنة الصغيرة، ضحك المهرجين...
أوه □ !

أيٌّ معنى

أيٌّ معنى
لوجود كينونة
أي شيء يعنيه وجود كائنات
ما معنى وجودُ حياة
في نباتات في حيوانات
في بَشَر
ووجود أشياء يبنيها
الإنسان،
فرَح عجيب بأشياء وكائنات
أمام الجهل بكيف أمكن لهذا كله
أن يكون!...

حزين أنا

حزينٌ أنا اليوم مثل مركب
أسود تحت الشمس.
فرحتي مضتْ مع الحقائب
فؤادي عبر منزل السكون يسير
فاتحًا أبوابًا مُترصّدًا غُرفًا..
كل هذا الذي لا معنى له
هو معنى حياتي الجَوْهريُّ...

أذكرُ جيِّدًا نظرَتَها
ما فتئَتْ تخترَقُ رُوحي
كخطَر النار في الليلَ
أذكر جيِّدًا نظرتها - ما تبقَّى...
نعم، ما تبقَّى فقط يشبه الحياة.

أمس، مررتُ، كأيِّ شخص بالشوارع،
إلى الواجهات نظرتُ بلا مبالاة،
لم ألتقِ بأصدقاء أبادِلهم الحديث.

بغتة رأيتني حزينا، حزينا حتى الموت.
حزينًا إلى حَدٍّ بدا لي معه احتمالُ
العيشِ غدًا مستحيلا، ليس
لأنني سَأموت أو أقتلُ نفسي
وإنما لأن العيش غدًا سيكون
مستحيلا لا أكثر ولا أقل.

أدخِّن، أحلم، مستندًا إلى المقعد
يؤلمني العيش مثل وضع غير مريح،
ينبغي أن توجد جُزر هنالك
باتجاه جنوب الأشياء حيث الألم
أكثر لُيونةً،

حيث العيش يُكلف مجهوداً
أقلَّ للتفكير،
وحيث بوسع الناس إغماضُ الأعين
والنوم تحت الشمس، والإفاقة بدون أن
يتوجَّب عليهم التفكير في واجبات اجتماعية
ولا أيّ يوم من الشهر أو الأسبوع
هو هذا اليوم

أحضن في صدْري،
حضْني لعَدُوٍّ أخشى الإساءة إليه،
قلباً مُفرط العفويّة
يُحسُّ بكلِّ ما أحلم به كما لو كان واقعيّاً
بالقَدَم يعزفُ لَحْنَ الأغاني
التي يُنشدها تفكيري،
أغاني حزينة كالأزقة عند المطر.

فلْتُعطني ورودًا وزنابق
أزهاراً كثيرة، أزهارا كيفما كانت،
على أن تكون كثيرة،
لا، ولا حتى زهوراً كثيرة،
حدِّثْني فحسب عن إعطائك إيَّاي
أزهاراً كثيرة...
ولا حتى هذا.. أصْغِ فقط إليَّ
بصَبر كُلما طلبتُ منكَ إعطائي أزهاراً
لِتكن تلك الأزهار التي تعطيني...

آه أحزاني، أحزان المراكب العابرة للنهر
تحت السماء المغمورة بالشمس!
تألُّمي من الواقع العاري!
البكاء، أرغب في البكاء كطفل
بالرأس على الذراعين المتقاطعين فوق المائدة
والحياة محسوسة كنَسْمة تلمس العنق،
على ذلك الوضع مُتأهِّبًا للبكاء.

الرَّجُل الذي يَبْري قَلم الرصاص
من نافذة المكتب تثير انتباهي
الحركةُ المبتذَلة ليديه،
وجودُ قلم رصاص يُبْرَى
وأشخاص يبرونه إزاء النافذة
أمرٌ في غاية الغرابة!
والعجيب الأعجبُ هو واقعيةُ
هذه الأشياء!
أنظر إلى الرجل أنسَى الشمس والسماء.
واقعية العالم تُسبِّب لي وجَعًا في الرأس.

الزَّهرة الساقطة على الأرض.
الزهرة الذّاوية (زهرة بيضاء مع اصفرار)
تسقُط على الأرض...
ما معنى الحياة؟
(أي معنى للحياة؟)

أعطِني وروداً

.

أعطني وُرودًا، وُرودًا وزنابق،
كل الأزهار جميلة
كل الأزهار مواسية،
لكن في هذه اللحظة من أعصابي
ثمّة أزهار مُعيَّنة فحسب تروقني..
لذلك ألْقِ عليَّ، ألْقِ بكثرة على الرُّوح
زنابق ووَرودًا وحسب
ورودا، ورودا
وزنابق أيضًا

قلبي تحت ظلال الحدائق يبكي
لم أجدْ مَن يُواسيه
عَدا ظلال الحداءق ذاتها مُتَغَلْغلة

بالبكاء في الروح،
أعطني وروداً، وروداً
وزنابق أيضا.
ألمي عتيقٌ
عتاقةَ قارورة عطر غطّاها الغبار
ألَمي بلا جدوى
كقفص بلا طيور
ألمي حزين صموتٌ
كفضاء في ساحل لا يصل إليه البحر.

من نوافذ القصور الخرِبة
أدنو
أنشغل بالداخل الخارج
كيما أتعزّى بالحاضر.
أعطني وُروداً، وروداً
وزنابق كذلك
مهما أعطيتني من زنابق

لن أتصوَّر الحياة كافية أبدًا
دائما سيظلُّ ينقصني شيء،
دائما سَيَبْقَى لي ما أتوق إليه،
مثل مشهد مقفر،
لذلك لا يشغلنَّك ما أفكِّر فيه
وحتَّى لو بَدا لك ما أطلبه منك،
مع هيأتي المسلولة بلا معنى،
فلتُعطني من ورودك وزنابقك،
أعطني ورودا، ورودا،
وزنابق أيضا...

المرأة التي تبكي
وسط صخب هتافات الجمهور...
البائع المتنقّل، ذو المناداة الغريبة.
المفعمة فَرديّة...
رئيس الملائكة المنعزل، التمثال في الكاتدرائية،

نايٌ يَفرُّ من ذراعي پان[1] الممدودتين
كل هذا ينحو صوب المركز ذاته،
يسعى إلى الامتزاج والانصهار
في روحي.

أنا أعشق الأشياء كلها
وفؤادي مأوى مفتوح طوال الليل.
لديَّ اهتمام شَرِهٌ بالحياة يسعى
إلى فهمها حاسًا بها بشدة.
كل شيء، أحب كل شيء، أحيِّي كل الأشياء
أخلعُ الإنسانية على الأشياء كلها، على الناس،
على الحجر، الأرواح والآلات،
لكي أضاعف بذلك شخصيتي.
أنتمي إلى الكل لكي أنتمي
أكثر فأكثر إلى ذاتي.
ومطمَحي أن أضُمَّ الكون إلى صدري
ضَمَّ المُرَبيَّة لوَليد.

[1] - إلاه الرعاة عند الإغريق والرومان، يرمز للطبيعة ويُقدَّم حاملا للناي عادة.

أحبُّ الأشياء كلَّها، بعضًا أكثر من بعضٍ،
وليس أبدًا شيئًا أكثر من آخر،
لكن دائما أحبُّ تلك التي أراها
أكثر من تلك رأيتُها أو سأراها.

لا يوجد ما هو أجمل عندي
من الحركة والأحاسيس.
الحياة معرضٌ هائلٌ
والكل أروقة وبهلواناتٌ
أفكِّر في هذا فأتحنَّن
لكنَّني لا أعرف الراحة أبدًا
أعطني زنابق، مزيدًا من زنابق،
وورودًا كذلك[1].

---

[1]- واضح تماما هنا -كما في قصائد ومقاطع محددة من قصائد- تأثر كامبوس بأستاذه ألبرتو كاييرو.

إلى أبد الجحيم

لستُ أبكيك يا حبِّي الضائع، لا،
لأنني لم أضيِّعك!
قد أضيِّعك في الشارع، لكن ليس
بإمكاني أن أضيِّعك في الكينونة
لأن الكينونة واحدة فيك وفيَّ.

الكثير غيابٌ، لا شيء يضيع!
الأموات جميعهم -بشرًا، أياما، رغبات،
غراميات، كراهيات، آلامًا، مسرَّات-
جميعُهم يوجدون بالكاد في قارة أخرى...
ستحين لحظة الرحيل والذهاب إلى رؤيتهم
لاجتماع العائلة والمحبِّين والأصدقاء
في المجرَّد، في الواقعيِّ والممكن

في النهائي والإلاهي
هنالك سأجتمع في الحياة والموت
بالأحلام التي لَم أحقِّقها،
سأمْنح القُبَل التي لم تُمنح أبداً،
سأتلقَّى الابتسامات التي فأتني تلقِّيها
سأمتلك في النهاية من الفرح بقدر ما
قاسَيْتُ من آلام...

آه، أيها الرُّبّان،
كَمْ بَقي لرحلة عابرة المحيطات؟
إحملْ مَنْ في السفينة على العزف-
معزوفات فرحة، مبتذلة، إنسانية مثلما الحياة-
ناد السفينة بالرحيل، فأنا أريد الرحيل.
يا صوتَ رفْع المرساة، يا حشرجتي،
متى أسمعك في النهاية؟
ارتجاف الخاصرة بسبب خفقان الالات،
- فؤادي في الخفقان النهائي...-

دَقَّة الرَّواصد، تنهُّدات الميناء،
مناديل لتَوديعي من الميناء حيث يقفون...
إلى ما بَعْدُ، إلى حين مجيئك، إلى الأبد!
إلى أبد الجحيم، الآن
حتَّى ما □

السكِّير

السكِّير من سُكْر
سَقَط أرضًا
وأنا، الذي كنتُ ماراً،
لمْ أُعنْه،
منْ سُكْر إذَنْ سقط،
وَأنا كنتً ماراً فحسب،
السكِّير
من سُكر سقط
وسط الشارع
وأنا لم أتلفَّت، بل جَرَيتُ.
سكِّير سقط في الشارع،
من سُكْر
سقط السكِّير في شارع الحياة،

يا إلاهي
أنا أيضاً سكرانا أسقط
في الشارع
يا إلاهي...

صيف[1]

سكون الليل في أوج الصيف
السكون العميق،
النُّباح المتبدِّد لكلاب الحراسة
في الليل.
الصمت الذي يتقوَّى أكثر فأكثر
لأنه يطنُّ أو يغمغم بلا شيء في الظلام...
آه، ضغط هذا كله!
ضغط مَن يُحس بالسعادة!

يا لسعادة الحياة الرعوية،
لو كنتُ شخصا آخر يملكها
مع الطنين أو الغمغمة الرتيبة للاشيء
تحت السماء الملطَّخة بالنجوم،
مع نباح الكلاب مُعكِّرا هدأة كل شيء!

---

[1]- عنوان أصلي.

جئت إلى هنا لأستريح
غير أنني نسيتُ أن أترك نفسي هنالك
في البيت.

أخذت معي العمود الفقري لأكون واعيا،
الغثيان الملتبس، الوعكة الملتبسة لإحساسي.
دائما هذا القَلق المعضوض إرَباً إرباً
مثل فُتات خبز يتفتت بالكامل.
دائما هذا التوَّعك المتناوَل جرْعةً جُرعةً
مثل نبيذ سكِّير ولا الغثيان يمنعه من تجرعه.
دائما، دائما، دائماً،
عَيبُ هذا الدوران في الروح نفسها،
إغماءَةُ الأحاسيس هذه
هذا...

(يداكِ الممدودتان، الشاحبتان قليلا،
المُتنسبَتان قليلا إليَّ،

هادئتين كانتا في حِضْنِك ذلك النهار

....

كنت تتأملين، ناظرة إليَّ كما لو
كنتُ الفضاء.

أتذكر ذلك لأفكر، من غير تفكير، فيما أفكر.
فجأة، في منتصف تنهيدة، تخلَّيت عمن كنت.
نظرت إليَّ صاحية وقلت:
«أشعر بالحزن لأن الأيام كلها
ليستْ هكذا»
كمثل ذلك اليوم الذي لم يكن شيئا...
آه، أنت لم تكوني تعلمين
لحسن الحظ لم تكوني تعلمين
أنَّ الحزن هو أن الأيام كلها
هكذا، هكذا؛
أن الكارثة هي أن الروح، سعيدة كانت
أم تعِسة،

تهنأ أو تُقاسي الضَّجر الباطني لكل شيء
واعية أو غير واعية
مفكِّرة أو غير مفكرةً
أن الحزن هو ذا بالذات...

أتذكَّر، فوتوغرافيا، يديْك
المدوتين بنعومة.
في هذه اللحظة، أتذكرهما،
أكثر مما أتذكرك أنت،

تُرى أيُّ مآل انتهيْت إليه؛
أعرف أنك قد تزوجْت، في مكان ما
رائع من الحياة،
أعتقد أنك كنت أمّا، لابُدّ
أنك سعيدة
(لِمَ لا ينبغي أن تكوني كذلك؟)

لسُوء الحظِّ فقط،
لَسوءَ الحظ...
نعم، سيكون من الظلم...
من الظلم؟
(كَان يومًا مُشمسا عبر الحقول
وأنا أداعبُ النوم مبتسما)
....
الحياة.....
نبيذ أبيض أو أحمر، سيان: مآله التقيؤ.

آه

ً

آه، حيث أوجَد أو حيث أمُرّ
أوَ حيث لا أوجَد ولا أمر
التفاهة النَّهاشة لكل أوجه العالَم!
آه كدَر البشر اللايُحتمل!
التّعب الثابت للرؤية والسمع!
(الحرير القديم للجداول الخاصة
لأجَمتي الذاتية)

لو كان بوسعي
أن أتقيَّأ ما رأيتُ
فقط للغثيان الناجم عن كوني رأيت،
مَعدة الروح الهائجة
لأَناي.

عن الرحيل

متى نرحل، آه، متى نرحل من هنا؟
من وسط هؤلاء الأصدقاء الَّذين لا أعرفهم،
من وسط أنماط الفهم هذه التي لا أفهمها،
من قلْب هذه الَإرادات المعاكسة لا إراديا
لي ولإرادتي.

آه، أيها المركب الذي يرحل، الذي عليه
في النهاية أن يرحل،
أيها المركب الشراعي، المركب الآلي، المركب
ذو المجاذيف، مركب بأيِّما شيء نرحل به،
بأي شكل من المراكب يترك وراءه هذا الشاطئ،
هذا، دائما هذا الشاطئ، دائما هذا،
هؤلاء الناس، دائما هذا الذي يصلح للعاطفة وَحْدَها

عبر النوسطالجية المستقبلية،
عبر نوسطالجية النسيان الذي يُتذكَّر

نوسطالجية، هي خُدعة تتناسى الواقع.
النوسطالجية، الإحساس البعيد باللايقيني
الغامض المُلغز السالف الذي كُنَّاه،
تجديد الحياة السابقة للولادة، مجرَّة بطيئة
منبثقة على نحو غير معقول، جامدة
من الفراغ الدينامي للعالم.

ذلك أنني من صنف أولائك الذين يُعانون بلا معاناة،
الذين يملكون الواقع في الروح،
الذين ليسوا بأساطير، همُو الواقع هم،
الذين لا يملكون لا فرح الجسد ولا الروح،
أنا من أولائك الذين يعيشون متسوِّلين
رغبة في التسول...

وأريد الرحيل، كمَنْ مثاليًا يرحل
لماذا عليَّ أن أكون حيث أنا إن كنتُ فحسب
حيث أنا بالفعل؟
لماذا عليَّ أن أكون دائما أنا
إن كنت قادرا فحسب على أن أكون أنا؟

أريدُ
مركبا، مركبا، مركبا!
قاربا، بارجةً، زورقًا، زروق شحن بخاري، باخرة،
شاحن فحم، مركباً شراعيا مُحملا،
باخرة رُكاب للأوطان المختلفة كلها،
مركَب كل المراكب،
مركبا يتيح الذهاب في جميع المراكب
بلا تعيين، بلا ترابط،
بحثا عن لا شيء، بحثا عن اللابحث
بحثا عن الرحيل فحسب،
بحثا فحسب عن ألا أكون

الموتَ الأول الممكن المايزال على قيد الحياة،
الإقصاء، المسافة، عند انفصالنا عن أنفسنا،
ذلك أننا دائما عن أنفسنا ننفصل
عندما نترك أحداً،
دائما عن أنفسنا نرحل عندما نترك
الشاطئ، المنزل، الحقلَ، الضفّة، المحطةَ أو الميناء
كلُّ ما نراه هو أنفسنا، نحن نحيا لوحدنا العالم.

لا نملك غير أنفسنا داخل وخارج أنفسنا،
لا نملك شيئا، لا نملك شيئا، لا نملك شيئا...
وحْده الظل العابر في أرضية مغارة مستودع الأرواح،
وحدها النسمة الخفيفة يبعثها مرورُ الوعي،
وحدها قطرة الماء في الورقة اليابسة، ندىً لا مُجْدٍ،
وحدها العجلة المتعددة الألوان بيضاء تدور
أمام عيون الشبح التام الذي هو نحن،
دمعة أجفان مُسَبلة،
للنظر الإلهي المحجوب

كائنا ما كنتَ أيها المركب، أنا لا أريد أن أكون أنا!
إرْحَل بي بمجذاف أو شراع أو آلة، إرْحَل بيَ عنِّي!
أنظر، ذلك أنني أرى الهاوية مفتوحة
بيني وبين الشاطئ،
النهر بيني وبين الضفة،
البحر بيني وبين الميناء،
الموت، الموت، الموت بيني وبين الحياة!

1924.10.28

إنْ أردْتَ القتل[1]

إنْ أردْتَ القتل، لماذا لا تريد أن تَقتل؟
آه، إنتهزْ، فأنا الذي أحب الموت والحياة،
لو جَرُؤتُ على القتل، لقتلتُ أيضا...
آه، إن جَرُؤتَ، فأجرُؤ!
فيمَ يفيدك الإطار المتتابع للمشاهد الخارجية
ذاك الذي ندعوه العالم؟
التصوير السينمائي للساعات المصوَّرة
من ممثلي توافقات ووضعيات معينة،
السيرك المتعدد الألوان لديناميتّنا التي لا نهاية لها؟
فيمَ ينفعك عالمك الداخلي الذي تجهله؟
ربما، مُنتحرا، ستعرفُهُ في النهاية...
ربما، مُنتهيا، ستعرف البداية...

---

[1]- عنوان أصلي.

وبأي طريقة إن أتعبَتك الكينونة،
آه، فلْتتْعَبْ بنَبالة!
ولا تُغنِّ، مثلي، الحياة سُكرًا،
لا تُحيِّي مثلي الموت في الأدب!

أبحاجة أنت...؟
أوه يا ظلا مُبتذَلا يُدعى إنسانا!
لستَ بحَاجة إلى أحد، لا أحد بحاجة إليك...
بدونك كل شيء سيسير بدونك.
أن تكون موجودا قد يكون أسوأ
بالنسبة إلى الآخرين من أن تكون قاتلَ نفسك.
استمرارُك حيًا قد يمثل عبءً أكبر
من كفّك عن الحياة...
حزن الآخرين عليك؟
ألديْك وخزاتُ ضمير مُسبقة من بكائهم عليك؟
إسترح: قليلا سيبكونك...
الدافع الحيويُّ يُخمد الدموع شيئًا فشيئا،

حينما لا تكون نابعة مما يخصنا،
حينما تكون صادرة عما يحدث للآخرين،
لاسيما في الموت،
لأنه الشيء الوحيد الذي بعده
لا يحدث شيء للآخرين...

أوّلا يأتي الاحتضار، مفاجأةُ وصول اللغز
وانطفاء حياتك المنطوقة...
بعدئذ رُعب التابوت المرئيّ والماديّ،
ورجال السَّواد يمارسون مهنة الوجود هناك.
بعد ذلك سهر العائلة لا مُعزَّاةً

تسرُد النوادر، وتشكو، وسط الأخبار الأخيرة لصحف المساء،
حزن موتك في آخر جريمة..
وأنت محض سبب عارض لتلك الشكوى،
وأنت ميت حقا،

أشد موتًا مما حسبتَ...
أكثر موتًا هنا مما قَدَّرتَ،
ولو أنك أكثرُ حياة هنالك في الأبعد...
بعدئذ السَّحْبُ الأسود باتجاه القبر أو الكهف،
ثم بداية موت ذاكرتك.
في البداية يتخَفف الجميع
من المأساة المزعجة لموتك..

بعدها يتخفَّف الحديث اليوميّ
لتُواصل حياة الجميع أيامها من جديد...
بعدئذ، شيئا فشيئا ستُنسى.
ستُذكر في تاريخَين فحسب.
يوم وُلدتَ، ويوم مُتَّ من سنوات.
ليس غيرُ، مطلقا، ليس غير.
سوف يتذكرونك -إن فعلوا- مرتين في السنة.
مرتين في السنة سيتنهَّد لأجلك
الذين أحبُّوك،

ومن وقت لآخر يتنهدون
إذا ما جرىً مصادفة عنك الحديث.
واجهْ ببرود، واجه ببرود ما نحن إيَّاه...
إن شَئتَ أن تقتلَ، فاقتُلْ...
دعْك من التحرَّجات الأخلاقية، من ارتيابات الذكاء!...

أيُّ تحرجات أو ارتيابات تَملكها ميكانيكا الحياة؟
أيُّ تحرُّجات أو شبهات يَخفيها الدافع
الذي يُولِّد الأنساغ، والدورة الدموية، والحب؟

أيُّ ذاكرة غيريَّة للإيقاع الفَرِح بالحياة؟
آه، يا زهوًا مسكينًا من لحم وعظم يُدعى إنسانا،
ألَّا ترى أنَّك خال من أيِّما أهمية على الإطلاق؟

مُهمٌّ أنتَ بالنسبة إلى ذاتك، لأنك بذاتك تحس:
كُلُّك أنت لأجل ذاتك، لأنك أنت الكون بالنسبة إلى ذاتك،
والكون نفسه والأقمار الأخرى لذاتيَّتك الموضوعية.

أنت مُهم بالنسبة إلى ذاتك، لأنك وحدك مُهم
بالنسبة إلى ذاتك.
وإذا كنتَ على هذا النحو، أيها الأسطورة،
أفلا يكون الآخرون كذلك؟
أمثل هاملت أنتَ، أبكَ رعب من المجهول؟
لكن ما هو المعلوم؟
ما الذي تعرفه أنت حتى تطلق على شيء
مخصوص إسم المجهول؟
أهو الحب الذهنيُّ للحياة ما لديك، مثل فالستاف؟
إن كنتَ هكذا ماديًا تحبها، فلتحبَّها أكثر من ذلك ماديًا:
صِرْ جزءًا ماديا لا يتجزأ من الأرض ومن الأشياء!

تبدَّدْ، يا منظومة فيزيائية- كيميائية
من خلايا واعية ليْليًا،
عبر الشعور الليليِّ للاشعُور الأجساد،
عبر الغطاء الأكبر الذي لا يغطي

من المظاهر شيئا،
عبر عُشب ونبات تكاثر الكائنات
عبْر الضباب الذَّرِّي للأشياء،
عبر الحيطان المُدوِّمة
للفراغ الديناميكي للعالم.

1926.4.26

Là - bas, je ne sais où...[1]

عَشيَّة السفر، جرس المحطة..
لا تنبّهوني بحدَّة!
أريد الاستمتاع بالراحة
في محطة روحي
قبل أن أرى حديد القطار النهائي
يتقدم نحوي،
قبل أن أحسَّ بالسفر الحقيقي
في حناجر المعدة،
قبل أن أضع في مَرْقاة القطار
قدَمًا لم تتعلَّم قَطُّ ألا ترتجف
انفعالا كلما أزف الرحيل
أريد، في هذه اللحظة، إذ أدخِّن
في محطة اليوم، أن أظلَّ مأخوذًا
بالحياة القديمة.

---

[1] - هكذا بالفرنسية في الأصل.

أهيَ حياة لا مُجدية؟
أمِنَ الأفضل أن أتخلص منها؟
ألأنها زنزانة؟
فيمَ يهمُّ؟
الكون كله زنزانة،
ومسألة الحبس لا صلة لها بحجم الزنزانة...
ها قد أقلع القطار من محطة أخرى..
وداعًا، وداعًا، وداعًا،
لكل الناس الذين لم يجيئوا لتوديعي،
عائلتي المجرَّدة والمستحيلة...
وداعًا يومي هذا، وداعا محطة اليوم،
وداعا أيتها الحياة،
وداعًا!

فَلأبْقَ مثل حُزمة ملفوفة منسيّة،
في زاوية مستودع أمانات العابرين
إلى الجانب الآخر من السكة.
أن يُعثر عليَّ من طرف الخفير الاعتباطي
بعد الرحيل
«ماذا؟ ألَمْ يكُن هنا أحدٌ ترك هذا؟»
أن أبقى وحدي مُفكِّرا في الرحيل
أن أبقى وأنا على حق،
أن أبقى وأموت أقل...
صَوب المستقبل أمضي كما لو إلى امتحان عسير.
وماذا لو لم يصل القطار أبدًا
ماذا لو حَزِن الله من أجلي؟
هنا رأيته في المحطة مجرد استعارة،
إنني شخص لائق المظهر تماما.
يبدو -يقولون- أنه عاش في الخارج.

تصرفاتي تصرفات رجل مهذَّب، بالطبع.
إمُسك الحقيبة وأُبعد الحمَّال
كماَ لو كان مثلي شَيئا مَعيبا،
واليد التي بها أمسك الحقيبة
ترتجف وترجِّف الحقيبة.

أريدُ الرحيل،
لنْ أعُودَ أبدا،
لن أعود أبدا، إذ لا عودة أبدا هناك.
المكان الذي نعود إليه هو دائما آخر،
المحطة التي نعود إليها هي دائما أخرى.
الناس ليسوا نفس الناس
ولا الضوء نفس الضوء، ولا الفلسفة نفس الفلسفة.

أريد
أن أرحل يا إلاهي،
أن أرحل!
بي خوف من الرَّحيل

Lisbon Revisited (1925)[1]

كلا: لا أريد شيئًا.
لا أريد شيئا قلت.
لا تأتوني بخلاصات!
الخلاصة الوحيدة هي الموت
لا تأتوني باستيتيقات!
لا تحدِّثوني عن الأخلاق!
أخرجوا لي الميتافيزيقا من هنا!
لا تعرضوا لي نُظما كُلِّية، لا تضعوا لي في الصف
منجزات العلوم (العلوم، يا إلاهي، العلوم!)
العلوم، الفنون، منجزات الحضارة الحديثة!

أيُّ شر ارتكبتُه بحق جميع الآلهة؟
إنْ كانوا يملكون الحقيقة فَلْيَحتفظوا بها!
أنا مجرد تقني، لكن التقنية عندي

---

[1] - عنوان أصلي.

موجودة داخل التقنية.
عدا هذا مجنونٌ أنا، مع الحق كله في أن أكون
مجنونا كل الحق، أتسمعون؟

لا تُزعجوني، بربُّكم!
أتريدونني متزوِّجًا، تافها، يوميًّا، مؤديًّا للضرائب؟
تريدونني نقيضا لهذا، نقيضا لأي شيء؟

لو كنتُ شخصًا آخر،
لأرْضَيتُ الجميع، عن طيب خاطر.
أمَّا هكذا، كما أنا الآن، فعليكم بالصبر!
فلتَذهبوا إلى الشيطان بدوني،
أو فَلْتَدعوني أذهب إلى الشيطان وحدي!
لماذا ينبغي أن نذهب جماعةً؟

لا تُمسكوا بذراعي!
لا يعجبُني أن يُمسَك بذراعي.
أريد أن أكون وحيداً.

قلتُ إنني وحيدٌ وحسب!
آه، يا لجسامة الرغبة في الصحبة!

آه يا سماء زرقاء -نفس سماء طفولتي-،
حَقيقة أبديَّة فارغة كاملة!
آه أيها التاج[1] السَّلفِي والأخرس،
يا حقيقةً صغرى تنعكس عليها السماء!
يا لثُقل المستعاد، لشبونة القديمة اليوم!
لا شيء تمنحونَهُ لي، لا شيء تنتزعونه مني،
لا شيء أنتم مما أحسُّه،

أتركوني في سلام! لن أتأخر، أنا لا أتأخر أبدًا...
ولأن الهاوية تتأخر والصمتُ
أريد أن أكون وحدي!

[1]- نهر التاج الذي يخترق لشبونة.

Lisbon Revisited (1926)

لا شيء يشدُّني إلى شيء
أريد خمسين شيئا في وقت واحد.
بي شوق من قَرَم
إلى ما لا أدري، تحديدا لما ليس مُحددا...
قلقا أنام وأحيا في الحُلم القلقِ
لِمَن قَلِقًا نصف حالِم ينام.

في وجهي أغلقوا جميع الأبواب
المجرَّدة والضرورية
أسدلوا الستائر داخل جميع الفرضيَّات
التي باستطاعتي رؤيتها من الشارع.
في الزُّقاق الذي عثَرتُ عليه
لا وجود لرقَم المنزل الذي أعْطونيه.

سأستيقظ لأجل نفس الحياة التي بسببها نِمْت.
حتى جيوشي المحلومة تكبَّدت الهزيمة.
حتى أحلامي شَعَرتْ ببطلانها عندما حَلُمت بها.
حتى الحياة لمجرَّد أن أرغب فيها تُضجرني، حتى هذه الحياة...
أفهمُ الأشياء عبر فواصل لا متصلة؛
أكتُب عبر فترات من عَياء؛
وثمَّة قنْط حتى من القنط
يقذف إلى الشاطئ بي.

لا أدري أي مصير أو مستقبل يعنيه
قلقي الذي لا دفَّة له؛
لا أدري أي جُزُر من الجنوب المستحيل تنتظر غَرقي؛
أو أيَّ نخلات أدبية ستمنحني
بيتًا من شعر علَى الأقل.

لا أعرف هذا، ولا ذاك، ولا أي شيء...
وفي أعماق روحي، حيث أحلم بما حلمتُ،
في الحقول الأخيرة للروح، حيث أستعيد الذكريات بلا سبب
(والماضي ضباب طبيعي من دموع زائفة)
في طرقات الغابات البعيدة
حيث كينونتي المفترضة،
تفرُّ محطّمة، البقايا الأخيرةُ للوهم النهائي،
جِيوشي المحلومة، مهزومة بدون أن توجَد،
كتائبي التي لَم توجد بعد، مُجَندلة إلى إلاه.

مرة أخرى أعود إلى رؤيتك،
مدينةَ طفولتي المفقودة برعب...
يا مدينةً حزينة فرحة، مرة أخرى هنا أحلم...
أنا؟ لكن هل أنا نَفسي الذي عشتُ هنا،
وإلى هنا عُدتُ، هنا عدتُ لأعَود، وأعود،
وإلى هنا عدتُ من جديد كي أعود؟

أم أننا نُمثِّل كل الأنوات[1] التي هنا كُنتُها أو كانوها،
طِراز من حسابات - كائنات
مَشدودة بخيط - ذاكرة،
طراز من أحلام هي أحلامي من خلال
شخصٍ خارج ذاتي؟

مرة أخرى أعود لأراك
بقلب أشدَّ بُعدا، وروح أقلَّ انتماءاً إليّ].

مرة أخرى أعود رؤيتك -لشبونة والتاج وكل شيء-
عابرُ سبيل عديم الجدوى،
أجنبي هنا كما في كلِّ الجهات،
طارئ في الحياة كما في الروح،
شَبَح ضالٌّ في صالات الذكريات،
مع ضوضاء جرذان وطاولات تصرُّ
في القلعة اللعينة للعيش الحتميِّ...

---

[1]- ج. أنا: yoses.

مرة أخرى أعود لأراك،
يا ظلا يمرُّ عبر ظلالٍ، ويومضُ
هنيهَة بضوء جنائزيٍ مجهول..
ثم يدخل في الليل مثل مركب يضيع
في الماء الذي يتعذَّر سماع صوته.

مرة أخرى أعود إلى رؤيتك
لكن، آه، أما ذاتي فلن أعود إلى رؤيتها!
لقد تكسَّرت المرآة السحرية التي كنتُ
أعود إلى رؤيتي متطابقا فيها.
وفي كل شظيَّة مشؤومة أرى فحسب قطعة من ذاتي،
قطعة منك ومنِّي!...

1926

مصابيح نائية

مصابيح نائية
مضاءة بغتةً،
في ليلٍ، في غيابِ سريع الانصرام،
في الليلِ، على سطَحِ السفينة، أيُّ تبِعات محزنة!
التأثر الأخير للمودِّعين،
وهْمُ التفكير...

مصابيح نائية...
حياةٌ بلا يقين...
الضوء المتوهّج حثيثا عاوَدَ النموّ،
في مصادفة النظرة المفقودة...

مصابيح نائية...
الحياةُ لا تفيد في شيء
التفكير في الحياة لا يفيد في شيء،...

التفكير في التفكير في الحياة لا يفيد في شيء...
بعيدًا نمضي والضوء الّذي يأتي كثيرا
يصل ضئيلا،
مصابيح نائية..

1926.4.30

أتأمل أحيانًا

أتأمَّل أحيانا، أتأمل بعمق، ثم بعمق أكثر فأكثر
فإذا بسرّ الأشياء يتبدَّى لي مثل زيت على الأديم،
وإذا الكون كله بحرٌ من وجوهٍ
من عيون مفْغورة باتجاهي.
الكلُّ - مصباح زاوية، حجر، شجرة،
عينٌ تتفحَّصني من قاع هاوية لا تُسْبر،
وفي فؤادي تصطف الآلهة جميعها وأفكار الآلهة.

آه، من وجود الأشياء!
آه، من وجود كائنات!
آه، لأن ثمَّة طريقة لوجود آلهة،
لأن ثمة...
آه، من وجود الظاهرة المجرَّدة للوجود
من وجود وعْيي ووجود الواقع،

إن كان هذا ما أريد
فكيف لي أن أعبِّر عن الرعب الذي يسبِّبه لي هذا كله؟
كيف لي أن أعبر عن هذا الذي يُدعى إحساسا؟

مُخفِّف[1]

جارة الشقة 14 كانت تضحك
اليومَ بالباب الذي منه خرج للدَّفن منذ شهرٍ
نَعْشُ ابنها الصغير.
كانت تضحك طبعا بالروح مُرتسمة على المحيًّا.
هي على حق: هكذا هي الحياة.
الألم لا يدوم لأنه لا يدوم
هي على حق،
أكرِّر على حق.
لكنَّ قلبي ليس على حق.
قلبي الرومانطيقي الذي يستخرج ألغازًا
من أنانية الحياة.
هنا توجد العبرة، آه يا روح البشر!
إذا كانت المرأة قد نسِيت الإبن الذي مات
فمَن سيكلِّف نفسَه عَناء أن يتذكرني؟

1- عنوان أصلي.

وحيدٌ أنا في العالم، مثل طوبة مشطورة..
قد أموتُ مثل ندى جافّ..
بفعل فنٍّ طبيعي لطبيعة شمسية...

سأموت بفضل اللاتذكُّر
أموت كَلا أحَد...
لكنّ هذا مُؤلمَ
هذا فاحش لكل ذي قلب..
هذا..
نعم، هذا يمكث في الحنجرة
مثل سندويش بالدموع...
مجدٌ، حبٌّ؟ حنين روح إنسانية؟
تأليهٌ معكوس...
أعطوني ماء بيداغو[1]، فأنا أريد نسيان الحياة!

[1]- ماء معدني معروف في البرتغال بنفس الاسم، يستخرج من منطقة تراس-أوس-مونطين.

نشيدٌ فانٍ[1]

أنت، كاييرو، معلِّمي، كيفما كانت البدلة
التي تلبسها الآن، بعيدة أو قريبة، كيفما
كان جوهرُ روحك الكونية المعيّنة
جوهر جسدك الإلهي العقلي.

بعَماك التامِّ، رأيتَ فوق اللارؤية...
لأن ما رأيتَ بأصابعك المادية المدهشة
كان الوجه المحسوس وليس الوجه السَّحنيَّ،
كان الواقع، لا ما هو واقعي
لأن ما يُرى هو الضوء لأنه مرئي،
وهو فحسب مرئي لأن ثمَّة ضوءاً.
لأن الحقيقة التي هي الكل هي وحدها الحقيقة الموجودة
في الكلِّ،

1- عنوان أصلي.

والحقيقة الموجودة في الكل هي الحقيقة التي تُظهر هذا الكل.
آه، بلا ارتياب
آه، بلا غمٍّ!
آه، بغير تَعب المسيرة المُسبق
ولا الجثمان الساهر على نفس الجثمان في الفكرة

في الليالي التي تُعْول فيها الريح في العالم القَفْر
والمنزل الذي أنام فيه جُثوة للكل.
ولا شيء،
لا إحساسي بأنني ميِّت، بأنني جثة
ولا الإحساس بعدم امتلاك الإحساس
حتى بالطاولات والرصاص، لاشيء...
أنظر إلى السماء نهاراً، إلى السماء ليلا
فأرى هذا الكون الكرويَّ والمقعَّر
في محيط هذا الذي نحياه، محدودا أراه لكنْ
بالنجوم وبالشمس تخرق المرئي من خارج،
عبر المحدَّب الذي بلا نهاية.

فلتصيحي فرَحًا، صيحي معي، صيحي
أيتها الأشياء الممتلئة، الفائقة الامتلاء
لأنك حياتي المدوِّمة
أنا سأغادر الكرة الجوفاء ليس عبر النجم
ولكن عبر ضوء النجم
سأمضي صوب الفضاء الواقعي...
إذ الفضاء هنا في الداخل هو الفضاء المُغلق
وهو فحسب يبدو لا نهائيا لأنه مُغلق بعيدا جدا

أبعدَ من أن نُفكِّر فيه
يَدي الآن على زر الضوء.
بحركة مديدة،
بحركة حقيقية وسحريَّة،
سأفتح الباب باتجاه المحدَّب
سأفتح النافذة على ما لا شكل له
سأفتح الحقيقة على الدهشة النهائية

سيكون بوسعي الإبحار حول الأرض
من خارج هذا الداخل ذي النجوم في النهاية،
سأمتلك السماء من تحت المبنى المقوس
لقُبَّة الموت والحياة...
سَأرحل نحو الخارج
نحو الضاحية اللانهائية،
نحو السفر الخارجي، الميتافيزيقي،
نحو الضوء من خارج الليل،
نحو الحياة- الموت من خارج الموت- الحياة

وهنالك، في الحقيقي،
سأُخرج الكواكب، والحياة من الجيب
كهدية للأكيد،

سأقرأ الحياة من جديد، كرسالة محفوظة
وحينئذ، على أسْنَى ضوء، سأرى الرسالة جيداً
وسأعرف.

الرصيف مُكتظ بالناس يَرونني أرحل.
لكن الرصيف يوجد في طريقي وأنا أحلم بالمركب..
والمركب سريرٌ، تابوت، قبر،
وأنا لاأعرف ما أكون أنا لم أعُد هناك...

وأنا الذي غنَّيتُ الأغنية الحديثة
مثلما غنيتُ الأغنية القديمة
غنيتُ أشياء زمني فقط لأن
ذلك الزمن كان زمني، الآلات، المحرِّكات،
أمضي بمَيلان الكل إلى أعلى.
عبر فجوات الكلِّ أمرُّ،
هَرْولةً أرحَلُ باتجاه الإلهي،
عائداً أو حتى راحلا - كم مرات؟-

(من يريد في السُّرى أن يعرف
السُّرى والليل؟)
أحملُ في الكيس مجموع المرئي،
السمَاء بالنجوم، وبالشمس بكل أشكالها

وكُلّ الفصول وأشكال ألوانها،
والحقول، والجبال، والأراضي التي تنتهي بالشواطئ
والبحر في البعيد، وما هو أبعد من البحر
هنالك في الأبعد،

فجأة سيُفتح الباب الأخير للأشياء،
وسيظهر الله لي، مثل رجل، في النهاية،
وسيكون اللامنتظَرَ الذي
طالما انتظرتُه،
المجهول الذي دائما عرفتُه،
الوحيد الذي دائما عرفته
و □

1927.1.12

طَبكَرِيّة[1]

لستُ لا شيء
لن أكون أبدًا لاشيء
لا أستطيع أن أرغب في أن أكون لا شيء
عدا هذا، بداخلي أملك جميع أحلام العالم.

نوافذ غرفتي،
غرفة واحد من ملايين الناس
ممن لا أحدٌ يعرف من يكون
(إذا عرفوا مَن يكون ماذا سيعرفون؟)
أنت تُطلين على غوامض شارع يجتازه الناس
باستِمرار،
شارع متمنّع على كل الأفكار،
واقعيّ، واقعي باستحالة، حقيقي، حقيقي،
على نحو مجهول،

---

[1]- عنوان أصلي.

مع غوامض الأشياء تحت الأحجار والكائنات،
مع الموت صانع الرطوبة في الجدران
وابيضاض الشَّعر في الرجال،

ومع القدَر سائقا عربة الكلّ
عبر طريق اللاشيء.
اليوم أشعر أنني مهزوم، كما لو عرفتُ الحقيقة.
اليوم صاحٍ أنا، كما لو على وشك الموت
بدون أن تكون لي أخوة أكثر مع الأشياء
غير أُخوّة الوداع، ليتحوّل هذا المنزل وهذا الجانبُ
منَ الشارع صفّاً من عربات قطار، ورحيلاً
مُصفِّرا من داخل رأسي،
ورجَّة من أعصابي وطقطقةَ عظامٍ لدى المغادرة.
اليوم أنا مُبلبل البال، كمَن فكَّر ووجد ثم لاذ بالنسيان.
موزَّع أنا اليوم بين انحيازي
إلى طَبكرية الجانب الآخر من الشارع، كشيء واقعي
منَ الخارج، وبين الإحساس بأن الكلَّ عبارة عن حلم،

كشيء واقعي من الخارج.
فشلت في كل شيء.
لأنني لم أرسُم لنفسي أيّ هدف، ربما كل شيء كان
لا شيء عندي.

منَ التعليم الذي لُقِّنتُ
هربتُ، تدلَّيتُ من نافذة خلفية المنزل
ذهبتُ إلى الحقول تحدوني غايات كبيرة،
لكن هناك وجدت فحسب أعشابا وأشجارا.
والناس الذين هناك، كانوا مثل غيرهم،
أترك النافذة. أجلس على كرسيٍّ. فيم
ينبغي لي أن أفكر؟
ماذا أعرف أنا عما سأكون أنا الذي لا أعرف ما أكون؟
أن أكون ما أفكر فيه؟ لكنني أفكر في
أن أكون أشياء كثيرة!
وثمة كثيرون يفكرون في أن يكونوا نفس
ذلك الذي لا يمكن للكثيرين أن يكونُوه!

عبقريٌّ؟ في هذه اللحظة
ثمة مئة ألف دماغ تتخيَّل أحلاما عبقرية مثلي،
والتاريخ ربما لن يذكر، من يدري؟ حلما واحدا منها،
ولن يتبقَّى غير الزّبل من فتوحات المستقبل الكثيرة.
كلا، لا أومن بنفسي
في جميع المَارستانات ثمة مجانين ضائعون

بمعتقدات كبيرة
وأنا الذي لا معتقد لي، أأكثر
إقناعا أم أقل؟
كلا، لست مقتنعا ولا حتى بنفسي...
أوَليس يوجد في العديد من غُرف سطوح
العالم وغيرها في هذه اللحظة عباقرة لأنفسهم يحلمون؟
كم مِن مطامح رفيعة نبيلة ونافذة،
إن كانت كذلك حقا، - مَن يدري
إن كانت قابلة للتحقق؟!
لن ترى البتة نور الشمس الواقعية

ولن تبلغ مسمع أحد؟
العالَم مملوك لمن وُلد كي يستولي عليه،
وليس لمن يحلم بالقدرة على الاستيلاء عليه،
ولو كان على حق.
لقد حلمت بأكثر مما فعل نابليون.
إلى الصدر المفترض ضممتُ إنسانيات
أكثر من تلك التي أتى بها المسيح.

فكَّرتُ سرًا بفلسفات لم يكتبها أيٌّ كَانط.
غير أنني كَنتُ وربما سأبقى دائما،
صاحب غرفة السطوح ولو لم أعش فيها؛
سأبقى دائما مَن لم يُخلق لذلك؛
سأبقى دائما فقط ذلك الذي يملك بعض المزايا؛
سأبقى دائما ذلك الذي انتظر أن يفتحوا له
بابًا في جدار لا باب له،
والذي غنَّى أغنية اللانهائي في قفص الدجاج،
وسمع صوت الله في بئر مغلقة.

أوَ أومن بي؛ كلا، ولا بأي شيء.
لتَسْكُبَ الطبيعة على رأسي المضطرم،
شَمسها ومطرها ولتكنسْ ريحُها شعري
وما تبقى مما سيأتي إن كَان آتيا،
أو كان عليه أن يأتي، أو لا يأتي.
عبيدٌ قَلبيُّون للنجوم نحن
نستولي على العالم قبل نهوضنا من السرير؛
لكننا نستيقظ فإذا هو بهيم،
ننهض وهو عنا بعيد،

نُغادر البيت وإذا هو الأرض بتمامها،
علاوة على المنظومة الشمسية والمجرَّة واللامحدد.

كُلي، الشوكولاطة، يا صغيرة،
كُلي الشوكولاطة!
ما من ميتافيزيقا أخرى في العالم غير الشوكولاطة.
كلَ الأديان لا تُعلِّم غير السَّكاكر.

(كُلي، أيتها الصغيرة الوسخة، كُلي!
لو كان بوسعي أن آكل الشوكولاطات
بنفس اليقين الذي تأكلينه بها!
غير أنني أفكر، إذ أنزع الورق الفضيَّ الملفّف
الذي من قصدير، في أن أرمي بكل شيء، كما
رميتُ بالحياة نفسها)
لكن يبقى على الأقل من مرارة
ما لن أكونه أبدا الخط السريع لهذه الأبيات،
رواق باتجاه المستحيل.
لكنني على الأقل أمحض نفسي احتقارا بلا دموع،

نبيلٌ على الأقل في الحركة الواسعة التي
بها أرمي الثياب الوسخة التي هي أنا، بلا ورق،
إذ أفكر في الأشياء وأنا بلا قميص في المنزل

(أنت، المواسية، أنتِ التي ليس لك وجود
ولذلك تواسينني - سَواء كنتِ إلاهة إغريقية،

متصوَّرة كتمثال كان على قيد الحياة،
أو نبيلة رومانية، نبيلة ومشؤومة،
أو أميرة تروبادور، وثنية جداً وملونة،
أو مركيزة من القرن الثامن عشر، مكشوفة وبعيدة،
أو عاهرة شهيرة من زمن آبائنا،
أو مما لستُ أدري من أي زمن حداثي هذا كله،
كائنا ما كنت، إن استطعت إلهامي، فلتُلْهميني!
قلبي دلوٌ مفرَغ.
مثل من يُحضرون الأرواح، أحضر نفسي ذاتها،
فلا أجد شيئا.
أقترب من النافذة وأرى الشارع بمطلق الوضوح.
أرى الدكاكين، المنتزهات، أرى السيارات تمرُّ،
أرى الأحياء الكاسين يتقاطعون،
أرى الكلاب الموجودة كذلك،
وهذا كله يُغمُّني مثل حكم بالنفي
هذا كله أجنَبي غريب مثل كل شيء)

لقد عشتُ، درستُ، أحببتُ بل وحتى آمنتُ،
واليوم لا وجود لُمتسوِّل لا أحسده، فقط لأنه ليس أنا.
في كل شخص أرى الأسمال والقروح والكذب،
وأفكر: ربما ما عشتُ قط، ولا درستُ
ولا أحببتُ ولا آَمنتُ.

(إذْ من الممكن أن نصنع الواقع
من هذا كله بدون أن نصنع شيئا منه)،
ربما كنتُ بالكاد موجوداً، مثل سحلية، بُتر ذنَبُها
فإذا الذنب وحده
يَنطُّ أقرب إلى هنا من السَّحلية.
فَعلتُ بنفسي ما لا أعرف
وما كان بوسعي أن أفعله بي لم أفعله.
الجبَّة التي وضعتُها لم تكنْ جُبَّتي.
عرفوني فوراً شخصا غير الذي كنتُه
ولم أصحِّح خطأهم، وضيَّعتُ نفسي.

حينما أردتُ أن أنزع القناع،
وجدتُه لصيقا بوجهي،
لما نزعتُه ونظرتُ إليَّ في المرآة،
كنتُ أدركتُ الشيخوخة.
سكرانًا كنتُ، ما عُدتُ أعرف كيف
أرتدي الجبَّة التي لم أخلعها.
تركتُ القناع ونمتُ في خزانة الثياب
مثل كلب يُتحمَّل لأنه غير مُؤذ.
هذه الحكاية سأكتبها لأبرهن على أن السّموَّ
لا ينقصني.

أيها الكُنْه الموسيقي لأشعاري العديمة الجدوى،
من بوسعه العثور عليك كشيء أنشأتُه
حتى لا أبقى دائما أمام الطبكيرية المقابلة،
أدوسُ على وعيي بوجودي،

كبساط يتعثر به سكِّير
أو حصير سرقهَ الغَجرُ
وهو لا يساوي شيئا.
لكنَّ صاحب الطبكريَّة أطل من الباب
ولبث هناك.
أنظرُ إليه بضيق الرأس الملتوي
وبضيق الروح التي تمضي في غير تفاهم مع ذاتها.
هو سَيمُوت وأنا سأموت.
هو سيترك اليافطة وأنا سأترك أشعاراً.
ذات يوم، سيموت الشارع حيث كانت اليافطة،
وكذلك اللغة التي كُتبتْ فيها الأشعار.
بعدئذ سيموت الكوكب السيار الذي حدث
فيه هذا كله.
في كواكب أخرى لمنظومات أخرى
شيء ما شبيه بالبشر
سوف يواصل صُنع أشياء تشبه الأشعار
والعيش تحت أشياء تشبه اليافطات،

دائما شيء ما قُبالة شيء آخر،
دائما شيء لا جدوى منه مثل آخر،
دائما ما هو مستحيل شديد البلادة مثل الواقعي،
دائما سرُّ القاع حقيقي مثل الحلم بسرِّ السطح،
دائما هذا أو دائما ذاك أو لا هذا ولا ذاك.

لكنْ هناك رجل دخل إلى الطبكريّة (ليشتري التبغ؟)
وإذا بالواقع المعقول يهوي عليَّ فجأة.
أندمج فيه نصف اندماج، حيويا، مقتنعا، إنسانيا.
وسأحاول كتابة هذه الأبيات التي أقول فيها العكس.

أشعلُ سيجارة مفكرا في كتابة الأبيات.
في السيجارة أتذوَّق التحرر من كل الأفكار.
أتابع الدخان كما لو كان طريقي الخاص،
وأستمتع، في لحظة حسيَّة ملائمة،
بالتحرر من كل التأملات
فالوعي بالميتافيزيقا هو نتيجة لتوعُّكٍ صحيٍّ.

بعدئذ أعوذ بمقعدي إلى الوراء
وأواصل التدخين
طالما القَدَر يسمح لي، سأواصل التدخين.
(لو كنتُ تزوجتُ ابنة غسَّالتي
ربما عشتُ سعيدا).
أنهض من المقعد. أذهب إلى النافذة.
الرجل خرج من الطبكريّة
(أوَ دَسَّ النقود في جيب البنطلون؟)
آه، أنا أعرفه: إنه إستيبس بدون ميتافيزيقا.
(صاحب الطبكرية أطلَّ من الباب)
وكما لو بدافع من غريزة إلاهية
إسْتدار إستيبس فرآني
حيَّاني مودِّعًا، صحتُ به، وداعا إستيبس!
وإذا بالكون قد أعاد خلقي بلا مثال
ولا أمل، بينما صاحب الطبكرية يبتسم.

1928.1.15

مكتوب في كتابٍ تُرك في سفر

آت من جهة بيخا
ذاهبٌ إلى وسط لشبونة
لا أحمل شيئًا ولن أجد شيئًا.
أعاني من تعب مُسبق مما لن أجدَه،
والرغبة التي أحسُّها لا توجد في الماضي
ولا في المستقبل
أترك في هذا الكتاب صورة بُغيتي
الميِّتة مكتوبة:
مثلما الأعشاب كنتُ
ولَم يقتلعوني...

1928.3.10

مُعلمي[1]

معلمي، معلمي العزيز!
يا قلب جسدي الذهنيّ والكامل!
حياة مصدر إلهامي!
مُعلمي! أي شيء صِرتَ في هذا النمط من
الحياة؟

لمْ تعبأ لا بموتك ولا بحياتك، لا بذاتك ولا بأي شيء،
يا روحًا مجردة وبصريَّة حتى العظامَ،
ويا انتباها مدهشًا للعالم الخارجي المتعدِّد على الدوام،
يا ملاذ نوسطالجيات الآلهة الأقدمين جميعا،
أيها الروح الإنساني للأرض الأمومية،
يا زهرة في طوفان الذكاء الذاتي...

---

[1]- عنوان أصلي.

أيها المعلم، معلِّمي!
في القَلق الحسي لكل الأيام المحسوسة
في القَنط اليومي لرياضيات الكينونة،

أرفعُ، أنا عبد الكلِّ كغبار تذروه كل الرياح،
أرفع إليك اليدين، أنت الذي بعيداً تسير، بعيدا
جدا عني!

يا معلمي ودليلي!
يا من لا شيء جَرحَه، أو آلمه أو بلبَله،
واثقاً وثوقَ شمس تخلقُ لا إراديًا
نهارا طبيعيا، مثل يوم يكشف كل شيء،
يا معلمي، قلبي لم يتعلَّم هدوءك
قلبي لم يتعلَّم شيئا.
قلبي لا شيء
قلبي أضْحَى ضائعًا.

يا معلمي،
فحسبُ كان ممكنًا أن أكون مثلك
لو كنتُ أنتَ.
كَمْ كانت حزينةً لحظة الفرح الكبرى التي
سمِعتُك فيها للمرة الأولى!

بعدئذ، كل شيء أمسَ تعَبًا في هذا العالم الذاتي،
الكلُّ جهد وكفاح في هذا العالم الذي فيه
تُرادُ أشياء،
الكلُ كذبٌ في هذا العالم حيث يحدُث
التفكير فَي أشياء،
الكل شيء آخر في هذا العالم حيث
يحدُث الإحساس بكل شيء.

بعدئذ. كنتُ مثل متسوِّل منبوذ
من لامبالاة الشعب كله.
بعدئذ، كنتُ مثل الأعشاب المقتلَعة،

وقد تُركتْ بوفرة في صفوف أطاحتْ بها الريح.
بعدئذ، كنتُ أنا، نعم، أنا، لسوء حظي.
وأنا، لسوء حظي، لستُ أنا ولا آخر ولا أيًا كان.
بعدئذ....،
لكن لماذا علَّمْتني وضوح الرؤية
بدون أن تكون قادراً على تعليمي
كيفية امتلاك روح أرى بها بوضوح؟

لماذا دعوْتَني إلى أعالي الجبال
إن كنتُ، أنا طفل مدن السهول،
لا أعرف كيف أتنفس؟
لماذا وهَبْتَني روحَك، إن كنتُ لا أعرف
ما أصنع بها، كمن يسير مُحمَّلا بالذهب في صحراء،
أو يغني بصوت إلاهيٍّ وسط الخرائب؟
لماذا أيقظْتَني على الإحساس والروح الجديدة،
إن كنتُ لا أعرف الإحساس، ورُوحي دائما هي روحي؟

أتضرَّع إلى الإلاه المجهول أن يُبقيني دائما
ذلك الشاعر المنحطّ، المغرور مع غباوة،
إذ سيكون بوسعي، على الأقل،
أن أنال بعض الإعجاب، وألا يبرز فيَّ
علم الرؤية المرعب،

لماذا صيَّرتني أنا؟ لو كنتَ تركتني
محض كائن إنساني!

سعيدٌ هو الإنسان العادي،
له وظيفته اليومية العادية،
حياته الاعتيادية،

اللذّة عنده لذّةٌ، والراحة راحة.
ينام، يأكل، ويشرب،
ولذلك يملك الغبطة.

أنتَ وهَبتني هدوءكَ، فكان قلقي.
حرَّرتني، لكن قدَر الإنسان أن يكون عبداً.
أيقَظتَني، لكن معنى الوجود الإنساني
هو النوم.

1928.4.15

في الليل

في الليل الرهيب، الجوهر الطبيعي لكل الليالي،
في ليل السُّهاد، الجوهر الطبيعي لكل لياليَّ،
ساهرًا، أتذكّر، في سبات مزعج،
ما فعلتُ وما كان بمستطاعي أن أفعلَه في الحياة.
أتذكّر، بينما قَلَقٌ كالخوف كبرودةِ الجسد،
يسري فيَّ بكاملي.
ذلك أن ما لا يمكن إصلاحه في ماضيَّ هو الجثة!
جميعُ الجثث الأخرى قد تكون وهْما.
جميع الأموات قد يكونون أحياء في مكان آخر.
كل لحظاتي الخاصة الماضية قد تكون
موجودةً في مكان ما،
في وهْم الفضاء والزمن، في بطلان الصيرورة.

لكنْ
ما لم أكُنْهُ، ما لم أفعله، ما لم أحلم به حتّى؛
ما أرى الآن أنه كان عليَّ أن أفعله،
ما أرى الآن فحسب بوضوح أنني كان يجب أن أكونه،
ذلك هو الذي مات، هو الميت
فيما وراء الآلهة جميعا،
ذلك -ربما اليوم هو أفضل ما فيّ- هو ما ليس
باستطاعة ولا الآلهة أن يهَبوه الحياة...

لو في لحظة معينة
كنتُ انعطفتُ صوب الشمال بدلا من
اللفّ صوب اليمين؛
لو كنت في لحظة ما قلت نعم بدل لا، أوْ لا مكان نعم؛
لو أنني في محادثة معينة كنتُ
امتلكتُ الجمل التي فقط في هذه اللحظة،
في حلم اليقظة، أهيئها،
لو أن كل ذلك كان هكذا،

لكنتُ اليوم آخر، ولربما حُمل الكون
بتَمامه على أن يكون آخر على نحو لا محسوس.
لكنني لم ألفَّ نحو الجهة الضائعة
(ضياعا لا علاج له)

لم ألفَّ ولا فكرتُ في اللف،
والآن فقط أنْتَبه للأمر؛
ولم أقل لا أو لم أقُلْ نعم،
والآن فقط أرى ما لم أقُله؛
لكن العبارات التي كانت تنقصني
في تلك اللحظة تتدفق جيمعها،
واضحة، حتمية، طبيعية،
المحادثة المنتهية، المسألة المنجزة نهائيا...
لكن الآن فقط، الآن فقط ما لم أكنه قط
وما لن يكون بالعودة إلى الوراء، يُؤلمني.
بِصدد ما أخطأتُ بشأنه في الحقيقة

ليس لديَّ أمل في أي منظومة ميتافيزيقية.
قد يكون بوسعي أن أحمل ما حلمت به
إلى عالم آخر.
لكن هل أستطيع أن أحمل إلى عالم آخر
ما نسيتُ أن أحلم به؟

تلك الأحلام التي كان علي أن أحلم بها
هي الجثة.
مدفونةٌ هي في فؤادي إلى الأبد،
مطلقِ الزمن، مطلق الأكوان،
في هذه الليلة التي لا نوم فيها - محاطا بالهدوء
مثل حقيقة غير متقاسمة-،
هنالك في الخارج ضوء القمر
كالأمل الذي أفتقده،
غير مرئي بتاتا لدي.

1928-5-11

أغنية على الطريقة* الإنجليزية

قطعتُ علاقات مع الشمس والنجوم،
وضعتُ نهاية للعالم.
شحنتُ حقيبةَ الظهر بالحيل التي أعرفها.
سافرتُ، اشتريت اللامُجدي،
عثرتُ على الغامض.
فؤادي ما يزال كما كان، سماء وصحراء.
أخطأتُ فيما كنتُه، أخطأت فيما رغبتُ،
أخطأت فيما عرفتُ.
لم أعد أملك روحا توقظني
مع الضوء أو تأخذني مع الظلام.

---

* - عنوان أصلي.

ما أنا إلا غثيان، ما أنا إلا انشقاق، قلقٌ أنا
في القلق أحس بأنني مضيت لمسافة بعيدة،
وأمضي، فحسب، لأن كينونتي قذرة.
لَزقة أشبهُ ببصقة تعلقُ بواحدة من عجلات
العالم.

1928-12-1

راية في الهواء

آه، فليفتحوا لي واقعا آخر!
أريد، مثل بليك، مجاورةَ الملائكة
وامتلاكَ رؤى في الظهيرة.
أريد أن ألتقي بجنيات في الشارع!
أن أكون خارج تخيل هذا العالم
المصنوع برغبة،
هذه الحضارة المصنوعة من مسامير،
أريد أن أحيا في راية في الهواء،
رمزًا لأي شيء بأعلى أيما شيء!
بعدئذ إدفنونني حيث تشاؤون،
قلبي الحقيقي سيواصل السهر
قُماشا برسوم أبي الهول
في أعلى سارية الرؤية
صوب الرياح الأربع للسر.

الشمال - الذي يريده الجميع
الجنوب - الذي يتمناه الجميع
الشرق - الذي منه يأتي كل شيء،
الغرب - الذي إليه كل شيء سيمضي،
بابُ هذه الأسرار، أسرار الحضارة
الباب الأصم لحقيقة أخرى ولمدخل العالم..

1929-4-4

في الضوء

الضوء
القاسي للصيف الباكر
مثل صرخة يمرق من هواء الربيع...
دماغي صار أحمق
كما لو كنتُ أريد العدالة...

في الضوء الفج
كل الأشكال تغدو أشباحا.

1929-4-10

أحشاء على طريقة أوپرطو

ذات يوم، في مطعم، خارج الزمن والمكان،
قدموا الحب لي كوجبة أحشاء باردة.
قلت بلطافة للطباخ
إنني أفضل الأحشاء ساخنةً
لأنها (وكانت على طريقة أوپرطو)
لا تُؤكَل أبدا باردة.

نفد صبرهم معي
لا يمكن أن تكون أبدا على حق،
ولو في مطعم.
لم آكل شيئا، لم أطلب شيئا آخر،
أديت الحساب ومضيت
لأتجول في الشارع.

من يدري معنى هذا كله؟
أنا لا أدري، وقد حدث لي...

(أعرف جيدا أن الجميع قد عرف
في طفولته حديقة خصوصية أو عمومية
أو عند الجيران.
أعرف جيدا أن لَعبنا كان خاصا بذلك،
وأن الحزن وليدُ اليَوم)

أعرف ذلك زيادة على اللزوم،
لكنْ، إن كنت أنا طلبت حُبا،
فلماذا جاؤوني حينئذ
بالأحشاء على طريقة أوپرطو باردة؟
ما هو بالصحن الذي يمكن أن يؤكل باردا،
لكنهم جاؤوني به باردا.
لم أحتجّ، لكنه كان باردا،
لا يمكن أن يؤكل أبدا باردا، لكنْ
باردا جاءني.

في الشارع

في الشارع المغمور بشمس غامضة
ثمة منازل ثابتة وأناس يمشون.
حزن طافح بالرعب يُهمدني.
أتوجّس وقوع حادث
في الجانب الآخر مِنَ الواجهات والحركات

لا، لا، هذا لا!
الكل إلا أن أعرف ما هو السر!
يا سطح الكون، يا جفونا مسبلة،
لا تنفتحي أبدا!
رؤية الحقيقة النهائية لا ينبغي، أن يُستطاع تحمّلها!

دعوني أحيا بدون أن أعرف شيئا،
وأموت بدون أن أصل إلى معرفة شيء،
سبب وجود كينونة، سبب وجود كائنات،
سبب وجود كل شيء،
ينبغي أن يجلب جنونا أكبر من كل الفضاءات
بين الأرواح وبين النجوم.

لا، لا، الحقيقة لا!
أبْقِ لي هذه المنازل وهؤلاء الناس؛
علىَ النحو ذاته، بلا أدنى زيادة، هذه المنازل وهؤلاء الناس...
أيُّ نفَس مرعب وبارد يعرُوني بعينين مغمضتين؟
لا أريد فتحهما لأحيا!
آه، أيتها الحقيقة، إنسَيْ أنني موجود!

1928-4-12

كون كامل

أبدأ في معرفة نفسي. أنا غير موجود.
أنا الفاصل بين ما أبغي أن أكون
وما فعله الآخرون بي،
أو نصف ذلك الفاصل، لأن ثمة
حياةً كذلك...
أنا ذلك، في النهاية...
أطفئ النور، أغلق البابَ
وكُفَّ عن إحداث ضوضاء بالشّبشب
في الممر.

فلأبق وحيدا أنا في الغرفة
مع السكينة الكبرى لنفسي ذاتها.

لديّ كون كامل بتكلفة رخيصة.

يا ألپارو

استندتُ إلى المقعد
وأغمضتُ العينين،
فبدا لي مصيري في الروح
مثل هاوية.

حياتي الماضية اختلطتْ بالآتية
وكان ثمة في الوسط صخبُ قاعة مدخّنين
حيث، إلى مسمعي، تناهَتْ نهايةُ لعبة الشطرنج.

آه، مرجَّحا
بالإحساس بالأمواج،
آه، مهزوزا
بالفكرة المنعشة لكون هذا اليوم ليس غداً بعدُ،
ولأنني في هذه اللحظة على الأقل

خال من أيِّما مسؤولية،
ولا أملك أي شخصية، وإنما مجرد إحساس
بأنني هناك فوق المقعد، مثل كتاب تركَته
امرأةٌ سويدية.

آه، غارقا في رقاد التخيل،
بدون شُبهة حلم، بقلق هادئ،
أشْبهُ، فجأة، الطفلَ الذي كنتُه منذ زمن بعيد
حينما كنت ألعب في الضيعة
ولا أعرف لا الجَبْر ولا غيره
من جَبْريات الإحساس.

آه كُلّي اشتياقٌ إلى
تلك اللحظة المجردة من
أيما أهمية في حياتي،
آه، كلي تشوق إليها وإلى مثيلاتها:

تلك اللحظات التي لم تكن لي قيمة فيها،
تلك التي أدركتُ فيها كلَّ خواء الوجود
بدون عون من ذكاء لأدركَه،

وكان ثمة قمر وبحر
قمرٌ وبحر وعزلةٌ يا **ألپارو**[*].

[*]- في قصائد عديدة يتخذ ألپارو دي كامپوس من ذاته مخاطبا يخاطبه ويحاوره جاعلا من نفسه ذاتا وموضوعا في آن واحد.

عبر طريق سينترا

بمقود الشيبروليت عبر طريق سينترا،
تحت ضوء القمر والحلم، عبر الطريق الخالي،
أسوقُ وحيداً، عل مَهَل تقريبا أسوق،
وشيئا فشيئا يبدو لي، أو أنني أجبر نفسي قليلا
كي يبدو لي، أنني أسير عبر طريق آخر،
عبر حلم آخر، عبر عالم آخر، وأنني أسير
بدون أن توجد لشبونة المتروكة ورائي
أو سينترا التي عليَّ أن أصل إليها،
وأنني أسير، وماذا يعني السَّير سوى عدم التوقف،
ومواصلة السير؟

سأقضي الليلة في سينترا لعدم استطاعتي
قضاءها في لشبونة،

لكنْ، عندما أصل إلى سينترا، سأشعر
بالحسرة لعدم بقائي في لشبونة.
دائما هذا القلق الذي لا هدف له، لا صلة أو أصل،
ولا نتيجة،

دائما، دائما، دائما،
هذا القَنْطُ المفرط، قنطُ الروحِ لـلاشيء،
في طريق سينترا، أو في طريق الحلم،
أو في طريق الحياة...

منقادة لحركاتي اللاشعورية تجاه المقود،
تقفزُ حولي السيارة التي أعارونيها.
أبتسم للعلامة إذ أفكر فيها منعطفا
إلى اليمين.

كم من أشياء أُعرتُها أتابعها في العالم!
كم من أشياء أعَارُونيها أقودُها كما لو كانتْ
أشيائي!

إلى اليسار ثمة كوخ، ثمة كوخ، على
جانب الطريق.
إلى اليمين الحقلُ المفتوح، كالقمر من بعيد.
السيارة، التي بدا منذ قليل أنها تمنحني الحرية

هي ما أنا محبوس فيه الآن،
ولا أستطيع السياقة إلا وأنا محبوس،
لا أتحكّم في السيارة إلا باحتوائها إياي
واحتوائي إيَّاها.

إلى اليسار هنالك في الوراء يوجد الكوخ المتواضع،
الأقل من متواضع.
الحياةُ هناك لابد أن تكون سعيدة،
فقط لأنها ليست حياتي.
لو أن أحدًا رآني من نافذة الكوخ، لحلم قائلا:
نَعَمْ، كَمْ هو سعيدٌ ذلك العابر.

بالنسبة إلى الطفل الذي يترصدني
من زجاج النافذة العلوية (بالسيارة المعارة)
ربما بدوت مثل حلم، مثل جنية واقعية.
بالنسبة إلى الفتاة التي رأتني، وقد سمعت المحركَ،
عبر نافذة المطبخ في الطابق الأرضي،
ربما كنتُ بعضا
من الأمير الذي.. يملك كلَّ قلب الفتاة،
وهي تنظر شَزَرْاً إليّ، عبر الزجاج،
حتى المنعرج الذي اختفيتُ فيه.
أأحلاما سأخلّفها ورائي، أم السيارة
هي التي تُخَلِّف من ورائها الأحلام؟
وأنا؟ سائق السيارة المعارة،
أم أنا السيارةُ التي أسوقها؟
في طريق سينترا، تحت ضوء القمر، في الكآبة،
أمام الحقول والليل،
بلا عزاء أسوق الشيفروليت المعارة،

ضائعا في الطريق المستقبلي، أختفي
في المسافة التي أُدركها،
وبرغبة رهيبة، مفاجئة، عنيفة، لا معقولة،
أزيدُ في السرعة...
لكنَّ قلبي ظل هناك في ركام الأحجار التي
انحرفتُ عنها حينما رأيتها بدون أن أراها
أمام باب الكوخ،
قلبي الفارغ،
قلبي البائس
قلبي الأكثر إنسانية مني، الأكثر دقة من الحياة.

في طريق سينترا، على مقربة من منتصف الليل،
تحت ضوء البدر، أمام المقود،
في طريق سينترا، أيُّ عياء في المخيلة ذاتها،
في طريق سينترا، أقرب فأقرب إلى سينترا
في طريق سينترا، أبعد فأبعد من نفسي...

1928-5-5

غيوم

في النهار الحزين قلبي الأشدُّ حزنا من النهار...
واجبات أخلاقية ومدنية؟
تعقد واجبات، تبعات؟
كلا، لا شيء...
النهار حزين، انتفاءُ الرغبة في كل شيء...
لا شيء...

آخرون يسافرون (أنا أيضا سافرت)،
آخرون تحت الشمس (كذلك في الشمس كنتُ،
أو افترضت أنني كنت)
الجميع يملكون الصواب، أو الحياة ،
أو الجَهل المتماثل،

الغرورَ، الفرح، حسن المعاشرة،
ويهاجرون كي يعودوا، أو لا يعودوا،
في مراكب تتكفل بنقلهم.

لا يشعرون بما هناك من موت في كل رحيل،
من غوامض في كل وصول،
من مخيف في كل جديد...
هم لا يشعرون: وَهُمْ لذلك برلمانيون ورجالُ مال
وتجارة، يذهبون إلى كل المسارح ويعرفون الناس...
يفتقرون إلى الشعور:
ولماذا عليهم أن يشعروا؟

قطيعٌ يلبس ثيابا من حظائر الآلهة،
دعْهُ يمرُّ مكللا بالغار ليكون قربانا،
تحت الشمس، خفيفا، حيًّا، فَرِحًا بإحساسه...
دَعْهُ يمرّ، لكنْ آه، فأنا معه أمضي

بلا إكليل غار نحو المصير نفسه
معه أمضي بدون أن أجهل...

في النهار الحزين قلبي الأشد حزنا من النهار...
في النهار الحزين ككل النهارات...
في النهار الأشد حزنا...

1928-5-13

صاح أنا !

معي تقاطع ذلك الرجلُ، جاء للقائي
في أحد شوارع بايكسا[1]، ذلك الرجل الرثُّ
الثيابِ، بعلامات المتسول على وجهه.
تلطفَ معي وتلطّفتُ معه؛
وبلَفتة كرم سابغة، أعطيتُه كلّ ما كان معي
(طبعاً، باستثناء ما كان عندي
في الجيب من مال وهو كثير:
فأنا لست أحمق ولا روائيا روسيا
قيد التمرين، أو روما نطيقيا... نعم، لكن شيئا فشيئا...)

---

[1]- حي من أحياء لشبونة.

أشعر بالودّ تجاه كل أولائك الناس،
خاصة عندما لا يستحقون الود.
نعم، أنا أيضا متشرد ومتسول، لحسابي.
أن تكون متشردا ومتسولا
لا يعني أن تكون كذلك:
بل أن تكون في "أسفل" السلم الاجتماعي

ألا تكون متكيفا مع قواعد الحياة،
مع القواعد الواقعية أو العاطفية للحياة:
ألا تكون قاضيَ المحكمة العليا، مستخدَما قارا،
عاهرةً، ألا تكون فقيرا حقا، ولا عاملا مستغَلا،
ألا تكون مصابا بمرض عضال،
ألا تكون متعطشا إلى العدالة أو قبطان فروسية،
ألا تكون، في النهاية، من شخصيات الروائيين
تلك التي تضجر من الأدب لأن لها الحق
في أن تذرف الدموع، وتتمرد على الحياة الاجتماعية...

لا: كل شيء عدا امتلاك الصواب.
كل شيء ما عدا أن تعنيني الإنسانية!
الكلّ عدا التنازل للإنسانية!
فيمَ يُفيدني إحساسٌ ما إن كان هناك داع خارجي
من أجله؟

نعم، أن تكون صعلوكا ومتسولا، مثلي
ليس هو أن تكون كذلك، وهو أمْرٌ عاد جدا.

أن تكون معزولا داخل الروح.
ذلك هو أن تكون متشردا،
أن يكون عليك أن تطلب من الأيام
أن تمر وتتركك في سلام. ذلك فعلا
هو أن تكون متسولا.

بليدٌ كل ما تبقّى مثل أيّ ديستويفسكي أو غوركي.
كل ما تبقى هو أن تشعر بالجوع ولا تجد ما تصنع.

ومع أن هذا يحدث، فهو يحدث
لأناس كثيرين، بحيث لا يجدر بنا
أن نرثي لِحَال الناس الذين يحدث لهم.
متشرد ومَتسوَل أنا بحق، بالمعنى المجازي،
وأحسُّني مغمورا بشفقة كبيرة من ذاتي نفسها.

مسكينٌ ألپارو دي كامپوس !
ما أشد عزلته في الحياة! لكَمْ هو محطّم بأحاسيسه!
يا للمسكين، غارقٌ في أريكة كآبته!
يا للمسكين، تصدق اليوم، دامع العينين (بالفعل)

وبلفتة كرم، متحررة وموسكوفية،
بكلّ ما كان يحمله في الجيب الذي فيه القليل،
على ذلك المسكين الذي لم يكن مسكينا،
ذي العينين الحزينتين حُزْنَ احتراف.
مسكين ألپارو دي كامپوس الذي لَا يعني أحدا!
مسكين، ما أشد حزنه على نفسه!

إذن، يا للمسكين
الأكثر مسكنة من كثيرين ممّنْ هم مشردون
ويتشردون،
ممن هم مسوِّلون ويتسولون،
لأن الروح الإنسانية هاوية... هاوية...

أعرف جيدا أنا، يا للمسكين
ليتني أستطيع أن أتمرد في تجمع يحتشد
داخل روحي!
لكنني لستُ حتى بأحمق.

ولا أملك ما يحمي قدرتي علي امتلاك آراء اجتماعية.
لا أملك، للحقيقة، أي حماية: صاح أنا.

لا يريدون لي تغييرِ اليقين: أنا صاحِ
أكرر: صاح أنا.
لا استيتقيات مع القلب: صاح أنا
خراءٌ! صاحِ أنا، صاح.

حاشية

استغلال الزمن!
لكن ما هو الزمن، حتى أستغله أنا؟
استغلال الزمن!
ولا يومٌ واحد بلا خطّ...
العمل الشريف والمتفوق...
العمل على طريقة فرجيل، أوميلتونْ...
لكن ما أصعب أن تكون شريفا أو متفوقا!
والأصعب أن تكون ميلتون أو فرجيل!

استغلال الزمن !
إخراج القبضات اللازمة من الروح -لا أكثر ولا أقل-
لضمّ المكعَّبات الصحيحة

التي تصنع علامات أكيدةً في التاريخ
(وأكيدة أيضا في الجانب الأسفل، الذي
لا يُرى)...
وَضْعُ الأحاسيس في قَصْر من أوراق لَعِبٍ،
والأحاسيس في لعبة دومينو،
معادلٌ ضد معادل،

والإرادة في لعبة بَلْياردو صعبة...
صورُ ألعاب أو لَعِب ورقٍ منفرد،
أو لتمضية الوقتَ،
صورٌ من الحياة، صور من الحيوات، صور الحياة...

لفظوية...
أجل، لفظوية...
استغلال الزمن !

عدمُ امتلاك دقيقة يجهلها امتحان الوعي...
عدم امتلاك فعل غير معيَّن أو مصطنع...
عدم امتلاك حركة غير ذات صلة بالأهداف...
عادات حسنة للروح...
أناقةٌ في التمادي...

استغلال الزمن!
فؤادي تَعبٌ كمتسوّل حقيقي.
دماغي فَطِن كرزمة موضوعة في زاوية.
أغنيتي (لفَظوية!) هي ما هي، حزينة.
استغلال الزمن!

خمس دقائق مرت منذ بدأت الكتابة
هل استغللتُها أم لا؟
إن كنت لا أعلم هل استغللتُها، فكيف لي
أن أعلم بغيرها من الدقائق؟

(أيتها العابرة التي سافرت مرَّات معي
في نفس مقصورة القطار الضاحَويّ،
هل انتهى بك الأمر إلى الاهتمام بي؟
وأنا هل استغللتُ الزمن ناظرا إليك؟
أيّ إيقاع ميز هدوءَنا في القطار؟
أي تفاهم توصّلْنا إليه بيننا؟
أيّ حياة كانتْ في كل هذا، وما الذي شكَّله
هذا كله بالنسبة إلى الحياة؟

استغلال الزمن!...
آه، دعوني لا أستغل شيئا!
لا زمن، ولا كينونة، ولا ذكريات زمن أو كينونة!
دعوني أكون ورقة شجرة، ترفّها النسمات،
عجاجاً في أي طريق، دعوني لا إراديا ووحيدا،

جَدْولاً تصنعه أمطار وشيكة الانتهاء،
أخدودا تخلّفه العجلات على الطريق
ما لم تعقبها عجلات أُخَر،
خذروفَ الوليد، وهو يترنّح - قبيل أن يتوقف
عن الدوران - بنفس الحركة التي تصنعها الأرض،
وهو يرتعش، بنفس حركة الروح،
ثم يسقط، كما تسقط الآلهة، على أرض القدر...

1928-5-27

إرجاء[1]

بَعْد غد، نَعَمْ، فقطْ بعد غد...
سأُمضّي الغدَ مفكرا في بعد غد،
وهكذا سيصير الأمر ممكنا؛ أما اليوم فلا...
لا، اليوم لا شيء؛ اليوم لا أستطيع.
الإصرارُ الغامض لذاتيتي الموضوعية،
حُلمُ حياتي الواقعية، مقحماً،
التعبَ المسبق واللانهائي،
تعب عوالمٍ لرُكوب الترام...
هذا الصنفَ من الروح...
فقط بعد غد...
اليوم أريد أنّ أتهيأ،
أريد أن أتهيأ كي أفكِّر غدا في اليوم الذي يليه...

[1]- عنوان أصلي.

هو اليوم الحاسم، أجلْ...
المخططُ مرسوم عندي؛ الأفضل لا، اليوم،
لن أرسم مخططات. غداً هو يوم الخطط

غدا سأجلس أمام المكتب لكي أفتح العالم؛
لكنْ سأفتح العالم فقط بَعد غَدٍ...
بي رغبةٌ في البكاء
بي رغبة في بكاء كثير بغتة، من الداخل...
لا، لا ترغبوا في معرفة المزيد، ذلك سرٌّ لن أبوح به.
فقط بعد غد...

عندما كنتُ طفلا كان سيركُ الأحد يُسلّيني طوال الأسبوع.
اليوم فحسبُ يسلّيني سيرك أحد كُلِّ أسبوعِ
طفولتي...

بعد غد سأكون آخرَ،
حياتي ينبغي أن تنتصر،
كل مزاياي الواقعية، مزايا الذكي، المثقف
والعمليِّ سوف تُستحْضَر بمرسوم...
لكن بمرسوم من الغد...
اليوم أريد النوم، غدا سأكتب...
والآن أيٌّ فرجة ستعيدُ الطفولة لي؟

حتى من أجل شراء تذاكر الغد،
فقط بعد غد ستَكون الفرجة ممتعة...
قبل ذلك، لاً...
بعد غد سيكون أمامي الوضع العمومي
الذي سأدرسه غدا.
بعد غد سأكون في النهاية - ما لا أستطيع
أبدا أن أكونَه اليوم.
فقط بعد غد...

يراودني نوم يشبه برودَة كلب سائب،
نومٌ كبير يراودني.
غداً سأفضي لك بالكلمات، أو بعد غد...
أجل، ربما فقط بعد غد...

المستقبل...
أجل، المستقبل...

مثل منديل...

آه، في صمتُ الغرفة الرهيب
الساعة، بإيقاع سكونها !
رتابة؛

من يمنحني من جديد
طفولتي المفقودة؟
من يعثر لي عليها وسط طريق الله،
طفولتي المفقودة نهائيا،
مثل منديل في القطار؟

أرق*

لا أنام، ولا أتوقع أن أنام
ولا حتى في الموت أتوقع النوم.

بانتظاري أرقٌ بسعة النجوم،
وتثاؤبٌ غير مُجْدٍ بطُول العالم.

لا أنام؛ لا أستطيع القراءة عندما أستيقظ في الليل
لا أستطيع الكتابة عندما أستيقظ ليلا،
لا أستطيع التفكير عندما أستيقظ،
يا إلاهي لا أستطيع حتى أن أحلم
عندما أستيقظ في الليل.

---

* - عنوان أصلي.

آه، لو بيدي أفْيونُ أن أتحوّلَ
إلى أي شخص آخر!
لا أنام. راقد أنا، جثة مستيقظة، بها إحساس،
وإحساسي محض أفكار فارغة.

عبري تمر، مشوّشةً، أشياء لم تحدث لي،
كل تلك الأشياء التي أندم عليها وألُومُ نفسي بسببها-؛
عَبْري تمر، مشوّشةً، أشياء ليس لها وجود،
ومع ذلك أشعر بالذنب والندم تجاهها، فيجفوني النوم.

لا جهد لدي على امتلاك ما يكفي من طاقة
لإشعال سيجارة.
أنظر إلى الحائط المتاخم للغرفة كما لو كان الكون.
هنالك في الخارج يوجد سكونُ ذلك كله.
سكونٌ هائل مرعب في أي مناسبة أخرى،
أيّ مناسبة أخرى، كان بوسعي الإحساس فيها.

أكتب أبياتا جذابة بالفعل،
أبياتا تقول بأنه ليس لدي ما أقول،
أبياتا تصرُّ على قول هذا،...

أبيات، أبيات، أبيات، أبيات...
أبيات كثيرة...
والحقيقة كلها، والحياة كلها توجد خارج الأبيات
وخارج ذاتي!

بي رغبة في النوم ولا أنام، أحسُّ ولا أعرف
فيم ينبغي لي الإحساس!
إحساسٌ خالص أنا بدون شخص يحس،
تجريد محض لوعْيٍ ذاتيٍّ بدون موضوع،
عدا ما هو ضروري للإحساس بالوعي،
عدا، ماذا أعرف أنا عدا ماذا...
لا أنام. لا أنام. لا أنام.

أيُّ نعاس شاسع في الرأس كله وعلى العينين
وفي الروح!
أي نعاس في كل شيء عدا القدرة على النعاس!
آه أيها الصباح.. كم تتأخر في القدوم...
تعالَ، عبثا، تعال،
لتجلب لي نهارا آخر كهذا، يليه ليل
آخر كهذا...
تعال كي تحمل إلي بهجة ذلك الأمل الحزين،
لأنك مبهج، ودائما تجلب أملا،
وفق أدب الأحاسيس التقليدي.

تعال، واحْمِلِ الأمل، الأمل،
تعبي ينفذ عَبرَ اللحاف إلي الداخل.
يؤلمني الظهر لكوني غير مضطجع على الجنب.
لو كنت مضطجعا على الجنب لآلَمني الظهر
جرّاء اضطجاعي على الجنب.
تعال، أيها الصباح، صِلْ!

كم الساعة؟ لا أعلم،
لا طاقة لي لأمد يدي إلى الساعة،
لا طاقة لي للقيام بأي شيء، أي شيء آخر...
سوى هذه الأبيات، المكتوبة
في اليوم الموالي.
نعم، المكتوبة في اليوم الموالي
جميع الأبيات تكتب دائما في اليوم الموالي.

ليل شامل، سكون مطلق، هنالك في
الخارج، سلام يعم الطبيعة كلها.
الإنسانية تستريح وتنسى مَرارَاتِها.
تماما.

الإنسانية تنسى أفراحها ومراراتها.
غالبا ما يقال هذا.
الإنسانية تنسى، الإنسانية تنسى،
حتى وهي مستيقظة تنسى.
تماما.
وأنا لا أنام

1929-3-27

عن الموسيقى*

آه، شيئا فشيئا، بين الأشجار القديمة
تظهر صورتُها، فأكفّ عن التفكير...

شيئا فشيئا من غَمّي
أبدأ أنا في الظهور...

الصورتان معا تلتقيان
على ضوء البدر عند ضفّة البحيرة..

... الصورتان المحلومتان،
لأن هذا كان فحسب وميضاً من ضوء القمر
ومن بنات أحزاني،
وافتراضا لشيء آخر،
ونتيجةً للوجود...

---

*- عنوان أصلي.

هل التقَت الصورتان، حقا على ضوء البدر عند ضفة البحيرة؟
(لكنَ ماذا إن لم يكن لهما وجود؟...)

... على ضوء البدر عند ضفة البحيرة...

1929-4-17

حاشية*

مثل إناء فارغ تحطّمت روحي،
من السلم سقطتْ بفظاظة إلى أسفل.
من يديْ خادمٍ مهملة سقطتْ.
سقطتْ، تناثرت شَظايا، شظايا
أكثر مما تحويه عُروة الإناء.

حماقة؟ مستحيل؟ ماذا أعرف أنا!
لدي من الأحاسيس أكثر مما كان زمن
إحساسي بأناي.
أنا نُثار قَطعٍ فوق بساط سيُنفّض.

عند سقوطي أحدثتُ صوت إناء يتكسر.
الآلهة الذين كانوا هناك بدوا عبر حاجز السلم
ألقوا نظرةً على الشظايا التي حوّلَتْني إليها خادمُهُم.

---

* - عنوان أصلي.

لم يغضبوا منها
إنهم متسامحون معها
وأنا ألم أكن مجرد إناء فارغ؟
ها هم ينظرون بوعي عبثي إلى الشظايا

واعين فحسب بأنفسهم.
ينظرون ويبسمون
يبسمون متسامحين مع الخادم اللاإرادية.

السلّم الأكبر المفروش بالنجوم يتمدَّدُ
ثمة شظية تومِضُ، ممسوسة بالسُّطوع الخارجي
بين النجوم.

صنيعي؟ روحي؟ حياتي؟
محض شظية،
فيها بالذات يحملق الآلهة.
لأنهم لا يعلمون لماذا هي هناك.

*P - HÁ**

في هذا اليوم الذي لا رغبة عندي فيه
في شيء، ولا أعرف ما أقول، في هذا اليوم
الذي حتى ذكائي لا يعرف ما يريد،
أبغي كتابة شاهدة قبري:
هنا يرقد ألبارو دي كامپوس، ما تبقى تأتي
به الأنطولوجيا الإغريقية...
ولماذا هذه الحفنة من القوافي؟
لا شيء.. أحد أصدقائي، يُدعى (أفترض) سيماس*
سألني في الشارع عمّا سأصنع.
وهكذا أكتب هذه الأبيات لأنني لا أعرف ما أقول.
نادرا ما أُقفيّ، نادرا ما يقفي أحد ببصيرة.
لكن التّقفية تصبح أحيانا أكثر من ضرورية.

---

*- عنوان أصلي يتضمن حسب المترجم الإسباني أدولفو ناباس - أمرين: الأول يشير إلى محاكاة الألفاظ الإغريقية، والثاني إلى صوت كيس هوائي عند ارتطامه بالأرض.

*- هو الشاعر الإغريقي سيماس دي روداس.

قلبي يُحدث پلاف ككيس من ورق مملوء هواءً،
يضغط بقوة على الجدار المجاور.
والرجل العابر، فجأة، بقفزة واحدة يعود،
فيما أنا متردّداً أُنهي هذه القصيدة.

1929-12-2

في الأعماق

القدماء كانوا يستحضرون الأرواح
نحن نستحضر أنفسنا بالذات.
لا أدري إن كانت الأرواح تُظهر فعلاً
-ستكون بلا شك مطابقة للمستحضر وللاستحضار-
لكنني أعرف أننا نحن لا نظهر،
مرّات عديدةً أطللتُ على البئر المفترضَة
زاعقا "آه" حتى أسمع الصدى،
ولم أسمع سوى ما يُرى...
الضجر الغامض الذي به يومض الماء
هنالك في لا جدوى الأعماق..
ما من صدى لأجلي..
وَجْهٌ واحد غامض فحسب،

ينبغي أن يكون وجهي، لاستحالة كونه لغيري.
إنه شيء لا مرئي تقريبا،

عدا ما أراه، كما لو بسُطُوعٍ، هنالك
في الأعماق...
في السكون وفي الوميض الزائف للأعماق..
أيّما أرواح !!....

تقريباً*

أريد الآن ترتيب الحياة
في رفوف الإرادة والفعل...
أريد ذلك الآن، مثْلَما أردت دائما،
مع النتيجة ذاتها،
لكن ما أروع أن يكون لنا هدف واضح،
مع وضوح العزم على فعل شيء ما !

سوف أهيّءُ الحقائب صوب اللانهائي،
سأنظّم ألبارو دي كامپوس،
وفي الغد أبقى في نفس ما كنت قبل أمس،
في قبل أمسٍ دائم...

أبتسم لمعرفتي، المسبقة باللاشيء الذي سأكُونه...
أبتسم على الأقل، فهو دائما شيء ما.

*- عنوان أصلي.

نحن جميعا، منتجات رومانطيقية...
لو لم نكن منتجات رومانطيقية، ما كنا
ربما لنكون شيئا.

هكذا يُصنع الأدب...
يا للآلهة، المساكين، هكذا تصنع حتى الحياة نفسها !

الآخرون رومانطيقيون أيضا،
الآخرون أيضا لا يُنجزون شيئا، أغنياء وفقراء،
الآخرون أيضا يمضون الحياة ناظرين
إلى الحقائب التي يَجب إعدادها،
الآخرون أيضا ينامون
بجانب الأوراق نصف المبعثرة،
الآخرون هم أيضا أنا.

يا بائعةً في الشارع تغني مناداتها
مثل أغنية لا شعورية،

يا عجلة مسنّنةً في متجر ساعاتِ
الاقتصاد السياسي،
يا أمّاً، راهنةً أم مستقبلية،
للموتى سلخا في المستعمرات،
صوتُك- يصلني كنداء إلى لاَ مكانٍ،
كسكونَ الحياة...

من خلال الأوراق التي أفكر، أخيرا،
في عدم ترتيبها، أنظر إلى النافذة-
منها جاءني صوتُ البائعة- فلا أرى البائعة،
والابتسامة التي لم تنته بعدُ، تتحوّل
في دماغي إلى ميتافيزيقا.

كَفَرتُ بجميع الآلهة أمام مكتبٍ بحاجة
إلى ترتيب حدّقت وجها لوجه
في جميع المصائر
لمجرد التسلي بِسَماعِ مناداتها،
وعيائي مركَبٌ عجوز يتعفّن
في الشاطئ الخالي،
وبهذه الصورة لأي شاعر آخر
أُغلق المكتب والقصيدة.

مثل إلاهٍ، لم أُرتّب لا الحقيقةَ ولا الحياة.

عيد ميلاد*

في زمن الاحتفال بيوم ميلادي،
كنت سعيدا ولم يكن أحدٌ قد مات بعدُ.
في المنزل القديم، كان الاحتفال بيوم الميلاد
تقليداً رسّخته قرون وقرون،
وفرحتي، فرحة الجميع كانت مضمونةً
كأي طقس ديني.

زمنَ الاحتفال بيوم ميلادي
كنتُ أتمتع بالعافية الكبرى
بعدم الاهتمام بشيء، بكوني ذكيا وسط العائلة،
وبعدم مبالاتي بالآمال التي
كان الآخرون يُعلّقونها عليّ

*- عنوان أصلي.

عندما بلغت مرحلة امتلاك الآمال
عندما تعلّمتُ النظر في الحياة، ضيّعتُ معنى الحياة.
أجل، ما كُنته من أناي المفترض،
ما كنتُه من عاطفة وقرابة،
ما كنته من سهرات نصف الضاحية،

ما كنتُه من كوني طفلا ومحبوبا،
ما كنته، آه يا إلاهي، ما لا أعرف سوى
اليوم أنني كنته...
أي مسافة !...
(ولا الصدى،...)
زمن الاحتفال بيوم ميلادي
أنا اليوم مثل الرطوبة في نهاية
ممر البيت، تُعَفِّنُ الجدران...
أنا اليوم (وبيت من أحبوني يرتجف

من خلال دموعي).
ما أنا إياه اليوم هو أن البيت
قد بيع من زمان، والجميع ماتوا،
وأنا على قيد الحياة أحيا لذاتي كفسفور بارد.

زمن احتفالهم بيوم ميلادي...
لكَمْ هو حبيبي ذلك الزمن،
منّي وإلي كمثل شخص حي!

ما أشدَّ الرغبة الفيزيقية للروح
في أن نوجد هناك مرة أخرى،
من أجل سفر ميتافيزيقي وجسدي،

بثنائية أناي من أجل ذاتي...
أريدُ التهام الماضي كخبز الجائعِ، بدون
حتى وقتٍ للزبدة بين الأسنان!

أرى كُلَّ شيء من جديد بوضوح
يعميني عن رؤية ما يوجد هنا..
طاولة موضوعة في مواضع شتى، بأجمل الرسوم
على الآنية الخزفية،
مع مزيد من الأكواب، على صُوان السُّفرة
أشياء كثيرةٌ - حلويات، فواكه، والباقي
في الخلف تحت الظل -
الخالاتُ العجائز، أبناء العم المختلفون،
والكل كان هنالك لأجلي،
في زمن احتفالهم بيوم ميلادي...

توقّفْ، يا فؤادي؛
لا تفكّر ! تخلَّ عن التفكير بالرأس !
آه، يا إلاهي، يا إلاهي، يا إلاهي !
اليوم، لا أعوام لي.

عجوزا سَأصِيرُ يوم أعرف ذلك
ليس غير.

مغتاظ أنا من عدم
جلبي الماضيَ المختلس في الجيب.

يا زمن الاحتفال بيوم ميلادي! ...

اليوم

اليوم إذ ينقصني كل شيء، كما لو كنت الحضيض،
اليوم إذ أعرف نفسي على نحو فظيع،
إذ كلّ الأدب الذي أزاوله لي ولأجلي،
لامتلاك وعيٍ بي، سقط مثل ورق لُفّفَ فيه
شيء أُسيء إخفاؤه،
اليوم أمتلك روحا شبيهة بموت الأعصاب،
نَخْر الروح، تحلّل الحواس.

كل ما صَنَعْتُهُ، لا شيء، أعرف ذلك بوضوح.
كل ما به حلمتُ، كان بوسع أيِّ خادم أن يحلم به.
كل ما أحببتُ، إن تذكرتُ اليوم أنني أحببته،
مَاتَ من زمان

.

آه يا فردوس طفولتي البورجوازية المفقودَ،
جنةَ عدْني متناولاً شاي الليل،
غطاء سرير الطفِل الذي كنته !
أجَلي انتهَى كمخطوطٍ لم يكْتمل
....

عندي غثيانُ معدة في الرئتين.
أتنفَّس بصعوبة كيً أدعم الروح.
عندي كمية أمراض كئيبة
في مُلتقَى الإرادة

يا إكليل الشاعر، إكليلي - كنتَ من زهر ورقيّ -،
خلودُك المزعوم لم يكن غير عَدَم.
إكليلي، إكليل غَار الشاعر -..
عديم المنظر لكنِ بصيتٍ معلوم،
بلا بيان لكن مع الله
نموذجٌ من نبيذ مغشوش في آخر
حانات الزاوية..

1930-3-9

الآلهة

الآلهة كثيرون !
مثل الكتب. لا يمكن أن تُقرأ كلها، لا شيءَ يُعرف أبدا.
سعيدٌ من يعرف إلاها واحدا فحسب،
ويحتفظ به في السر.
في كل يوم لديَّ معتقَدٌ مختلفٌ...
أملك في اليوم الواحد معتقدات متباينة...
ويحلو لي أن أكون الطفل الذي يتقاطع معي،
والذي أراه في الأسفل عبر النافذة
يأكل خبزة رخيصة (بسبب الفقر)، بدون علة
فاعلة ولا نهاية،
حيواناً يرتفع عبثا فوق الفقاريات الأخرى
ومغنّياً، من بين الأسنان،
أغنيةً فاحشة من مجلة...
أجل، ثمة آلاهة كثيرون...

1930-3-9

أي غثيان !

هاتوا لي النسيان في قصاع !
أريد أن ألتهم هجران الحياة
أريد أن أفقد عادة الصراخ نحو الداخل.
هيًّا، يكفي ! لا أدري ماذا، لكن يكفي...
أنتم تحيون الغَدَ، لا...
وماذا يحدث اليوم؟
أَنَحيا الغد لأننا أرْجأنَا اليوم؟
هل اشتريتُ، بدون أن أعلم، تذْكرةً لهذه الفرجة؟
أيُّ قهقهات سيُطلقها من كان بوسعه أن يضحك !
الآن يظهر الترام -الذي أنتظره-
قبله مرَّ ترام آخر ... علي أن أصعد الآن !
لا أحد يجبرني، لكن لماذا أتركه يمر؟
فلأترك الجميع يمرون، وأنا نفسي والحياة ذاتها..

أيُّ غثيان في المعدة الواقعية
التي هي الروح الواعية !

أي حُلم طيب أن أكونَ شخصا آخر ...
الآن أفهم لماذا يحب الأطفال أن يكونوا
حُرَّاسَ مكابح القطارات...
لا، لا أفهم شيئا...
مساء من ذهب وزرقة، فرحة الناس،
عيون الحياة الصافية ...

1930-5-28

النعاس وحده

تعبتُ من الذكاء
التفكير يضرُّ بالأحاسيس
ردّ فعلٍ يظهر فجأة
بكاء يعلو على الفور، وكل الخالات الميتات
يُعدنَ لصُنع الشاي من جديد
في المنزل القديم للضيعة القديمة.
توقّفْ يا فؤادي !
إهْدأ يا أملي المزيف !
من كان بمُستطاعه أن يكون
الطّفلَ الذي كنت ؟ ...

النوم الجيد حينما كان يواتيني
النعاس وحده وليس الأفكار التي ينبغي
نسيانُها !

أُفُقي: أفق الضيعة والشاطئ!
نهاَيتي قبل البداية !

متعب أنا من الذكاء
به على الأقل نحس بشيء !

غير أنني أحس فحسب
بتعب في الأعماق، كما تلعق بالأكواب
ثنيات النبيذ التي تُنوِّم النبيذ.

1930-6-18

بيكربونات الصدوا*

قلق مفاجئ...
آه، أيُّ قلق، أيُّ غثيان يصْعَدُ من مَعِدةِ الروح !
أيُّ أصدقاء كانوا أصدقائي !
أي مدن خالية جُبْتُها !
أيُّ روثٍ ميتافيزيقي تُساويه كلُّ أهدافي !

قلق،
غَمّ بشَرَة الروح،
ترك الذراعين يسقطان على مغيب شمس المجهود...
أتنكّر.
أتنكر لكل شيء.
أتنكر لما هو أكثرُ من كل شيء.
أتنكر لكل الآلهة ولإنكارهم أتنكَّر.

---

*- عنوان أصلي.

لكن، ما الذي ينقصني، وأحسُّ بنقصانه
في المعدة وفي جريان الدم؟
أي دُوار فارغ يستنفدُني في الدماغ؟
أعليَّ أن أتناول شيئا أو أنتحر ؟

كلا: سأواصل الحياة. يا للشيطان ! سوف أحيا.
أحـ - يا ...
أ - حـ - يا ...

يا إلاهي ! أيُّ بوذية تُجمّد الدم !
أن أتنازل، بالأبواب مفتوحة،
أمام المشهد كل المشاهد،
بلا أمل، بحُريّة، بلا تَرابط،
عدم اتساقَ سطحَ الأشياء،
رتيب إنّما نَؤُوم ؛

أيُّ نسمات عنْدما الأبوابُ والنوافذ
تُفتَح كلها !
أي صيف سارٍّ، صيف الآخرين
هاتُوا الشراب، لست بعَطشان !

1930-6-20

جغرافيا ...

صديقي المسكين، لا شفقَةَ عندي لأمنحك إياها.
الشفقة مُكلفة، لا سيما الحقيقية، وفي أيام المطر.
أعني: الإحساس بها مُكلف أيام المطر.
نحسّ المطرَ ونترك السيكولوجيا لنوع آخر
من السماء

بأي مشكلة جنسية حينئذ؟
لكنَّ ذلك قلةُ حياء بعد الخامسة عشرة.
الانشغال بالجنس المقابل (نفترض)
وسيكولوجيته، ذلك أمر
بليدٌ يا بنيّ
الجنس المقابل موجود لكي نبحث عنه

لا لكي نناقشه
المشكلة موجودة لتكون قابلةً للحلّ،
لا لكي ننشغل بها،
أن تنشغل بمشكلة يعني أنك عاجز.
أنت عليك أن تتكلم أقل

أتعرف "La colère de samson"

*La femme, enfant malade et [ ]"

لكن لا شيء من ذلك.
لا تزعجني، لاتُجبرني عَلَى أنْ أحزن !
إعلم: الكل أدب،
من خارج يأتينا كل شيء، كما المطر.
نحن صفحات مكرَّسة لروايات، ترجمات،
يا بنيّ !

* - اخترت الإبقاء على العبارات هذه كما وردت بالفرنسية في الأصل.

أتعرفُ لماذا أنت حزين جدّا؟
بسببِ أفلاطون الذي لم تقرأه قطّ.
سَونيتتَك، على طريقة بترارك الذي لا تعرفه،
وُلدتْ خاطئة،
هكذا هي الحياة.

شَمِّرْ عن كُمِّي القميص المتحضّر
واحرُث أرضا صحيحة !
ذلك خير من امتلاك روح الغير.

إنْ نحنْ إلا أشباح لأشباح.
والمشهد اليوم لا يساعد إلا قليلا.

الكل جغرافيا خارجية.
المطر يسقط حسب قانون طبيعي
والإنسانية تحب
لأنها سمعت الكلام عن الحب.

1930-7-9

بالمجان

بالمجان بعتُ نفسي لمصادفات اللقاء.
أحببت على قدر ما وَجَدْتُ، لأجل النسيان أحيانا.
واثباً مضيتُ مسافة مسافة
وهكذا وصلتُ إلي حيث وصلتُ في الحياة.

واليوم، إذ أتذكَّر الماضي،
لا أعثر فيه سوى على من لم أكنه...
على الطفل الغافل في المنزل الذي سأعرف فيه نهايتي،
على المراهق الغافل تحت رعاية، ابن عم الأب
المحسوب عمّاً،
على المراهق الكبير المبعوث إلى الخارج
(هوس الوصيّ الجديد)

على الشاب الغافل طالبا في اسكتلندا،
على الشاب الغافل وقد صار رجلا،
ضَجِراً من الدراسة في اسكتلندا،
على رجل الما بعد، الغافل الشديد
الاختلاف الشديد البلادة...

لا أشترك في شيء مع من كنتُ
لا أشترك في شيء مع ما أفكر فيه،
لا أملك شيئا مشتركا مع ما كان بإمكاني أن أكون.
أنا ...
بالمجان بعت نفسي، أعطوني لوبياء بالمقابل ...
لوبياء ألعاب طاولة طفولتي المزهوّة...

1930-7-19

في الساحة المجاورة

لا. لا. أريد الحرية فحسب.
الحب، المجد، المال مجرد سجون!
صالات جميلة! سجادات فاخرة؟ وثيرة؟
آه، لكن إسمحوا لي بالخروج لكي أمضي معي.
أبغي استنشاق الهواءَ لوحدي
لا نبضات عندي،
لست سوى أناي،
لم أُخلق إلا لأكون من أنا إياه،
ممتلئًا بأناي.
أين أريد أن أنام؟ في الباحة...
لا أريد جدرانا - وحده العقل الأكبر -
أنا والكون،

أي طمأنينة، أي سلام ثمة في عدم
رؤية شبح دولاب الثياب قبل النوم،
بل رؤية الوميض الأعظم فحسب، أسود باردا،
لكل النجوم مجتمعة،
هاوية اللانهائي باتجاه الأعلى
تضع نسائم ولطافات من الأعالي
في الجمجمة اللحمية المحجوبة التي هي وجهي،
حيثُ العينان وحدهما - سماء أخرى-
تكشف السماء الموضوعية الكبرى

لا أريد ! فلتعطوني الحرية !
أريد أن أكون مساويا لذاتي
لا تخصُّوني بالمُثُل !
لا تُلبسوني قمصانَ سلطان العوائد!
لا تجعلوني جديرا بالثناء أو مفهوما !

لا تقتلوني في الحياة!
أريد أن أتعلم قذف كرة عالية
نحو القمر ثم أسمع سقوطها في الساحة المجاورة!

أريد الذهاب إلى الارتماء فوق العشب
مُفكـِّرًا «غدا سأبحث عنها...
غدا سأبحث عنها في الساحة المجاوة...
غدا سأبحث عنها في الساحة المجاورة
غدا سأبحث عنها في الساحة المجاورة
أبحث عنها
في الساحة المجاورة...»

1930-8-11

كبيرة هي الصحارى

كبيرة هي الصحارى، والكل صحراء.
أطنان الأحجار واللبنات في الأعلى
لا تُخفي الأرض، الأرض التي هي كل شيء.
كبيرة هي الصحارى والأرواح المقفرة والكبيرة،
المقفرة إذ ما من أحد يمرُّ منها سوى هي نفسها،
والكبيرة لأن كل شيء يُرى من هناك.
وكل شيء مات.

كبيرة هي الصحارى، يا روحي
كبيرة هي الصحاري
لم أستحصل تذكرة للحياة،
أخطأتُ بوَّابة الإحساس
لم توجد رغبة أو فرصةٌ لم أُضيِّعها.

اليوم لم يبق لي، بانتظار السفر،
بالحقيبة المفتوحة منتظراً ترتيبها المؤجل،
جالساً على المقعد بالقمصان التي لا تسعها الحقيبة،
لم يبق لي اليوم (عدا جلوسي غير المريح هذا)

سوى أنْ أعرف:
كبيرة هي الصحارى، والكل صحراء.
كبيرة هي الحياة التي لا تستحق العناء.

أرتّب الحقيبة بعين التفكير في ترتيبها
أفضَلُ من أن أرتبها باليدين المصطنعتين.
أشعل سيجارة لكي أرجئ السفر،
لكي أرجئ جميع الأسفار،
لكي أرجئ الكون كله.

فلتَعُدْ غداً، أيها الواقع !
اليوم كفى، أيها الناس!
تأجَّلْ، أيها الحاضر المطلق !
خير لي ألاَّ أكون هكذا.

فلتشْتَروا شوكولاطات للمخلوق الذي كنتُه خَطَأً
واسْحَبُوا اللافتة لأن الغَدَ لا نهائي

لكن عليّ أن أرتب الحقيبة
علي أن أرتب بالقوة الحقيبة،
الحقيبة.

لا يمكنني أن أحمل القمصان افتراضا
وأحمل الحقيبة في العقل.
أجل، طوال الحياة كان علي أن أرتب الحقيبة.
لكنني، طوال الحياة، كذلك، بقيتُ جالسا
على زاوية القمصان المكوَّمة،
مجترَّاً مصيري، مثل ثور لم يصل إلى آبيس

علي أن أرتب حقيبة الكينونة.
علي أن أُوجد من أجل ترتيب الحقائب.
رماد السيجارة يسقط على القميص الذي
فوق كومة القمصان.
أنظُر خلسة، أتأكد من استعدادي للنوم.
أعرف فقط أن عليَّ أن أُرتِّب الحقيبة،
وأن الصحارى كبيرة، وأن الكل صحراء،
وأيّ مَثَل بِصَدد هذا الذي لا أتذكره الآن.

فجأة أُنهضُ كلَّ القياصرة.
سأرتب الحقيبة على نحو نهائي.
هيا، عليَّ أن أرتبها وأغلقها؛

علي أن أراها تُحمَل من هنا،
علي أن أُوجد باستقلال عنها.

كبيرة هي الصحارى والكل صحراء
عدا الخطأ، طبعا.

يا للروح الإنسانية المسكينة
بواحات فحسب في الصحراء المجاورة !

من الأفضل ترتيب الحقيبة.
نهاية.

1930-9-4

ماذا صار مني ؟

الحرية، نعم، الحرية!
الحرية الحقيقية؛
التفكير بلا رغبات ولا قناعات.
أن تكون سيد ذاتك بدون تأثيرات من الروايات !
أن تكون موجوداً بدون فرويد ولا طائرات.
بلا مَلاه ليلية، ولا حتى في الروح، بلا سرعات، ولا في التعب!
حرية التّسكع صوت الفكر، صوت حب الأشياء الطبيعية،
حرية عشق الأخلاق الواجب إضفاؤها على الحياة!
وكنور البدر حينما تنقشع الغيوم، تمدُّ
الحرية المسيحية الكبرى، فجأة، على الأرض كلها
معطفها الفضيَّ لأجلي...

الحرية، صفاء الذِّهن، المنطق المتماسك،
التصور الحقوقي لروح الآخرين كروح إنسانية،
فرحة امتلاك هذه الأشياء،
والقدرة على الاستمتاع من جديد بالحقول

بدون اعتماد على شيء،
والاستمتاع بالماء كما لو كان هو كل خمور العالم !

خطوات الطفل،
ابتسامة العجوز الطيبة...
ضغطُ يد الصديق الجاد...
أي حياة كانت حياتي !
كم من وقت انتظار في المحطة !
كم من حياة عشتُها مرسوماً في مطبوع الحياة !

آه، بي عطش شَاف. أعطُوني الحرية،
أعطونيها في الإبريق الفخّاري القديم
بجانب أصيص المنزل الريفي لطفولتي القديمة...

كنت أشرب وكان يزعق
كنت غَضّاً وكان كذلك،
كان مثلي حُرّاً أنا الذي لم يكن ثمة ما يزعجني.
وَعَدا هذه الرغبة في الحركة والخير والهواء
ماذا صار مني؛
ماذا عن الإبريق وعن البراءة؟
ماذا جرى لمن كان علي أنا أن أكونه؟

1930-8-17

زكام

لديَّ زكام كبير،
والعَالَم أجمع يعرف كيف أن المزكومين الكبار
يحرّفون نظام الكون بتمامه،
يجعلوننا نغتاظ من الحياة،
ويَحْملون حتى الميتافيزيقا على العُطاس.
ضيّعت يومي بكثرة نعاسي
يؤلمني الرأس بكيفية غامضة.
وضعيّة محزنة بالنسبة إلى شاعر صغير !
أنا اليوم حقا شاعر صغير
ما كُنته قديما مجرد أمنية؛ مَضَتْ.

وداعا إلى الأبد، يا ملكة الجنيات !
من شمس كان جناحاك، وأنا هنا على قدمين أسيرُ.
لن أكون علًى خير إن لَم أرقد على السرير
لم أكن بخير قط إلا راقدا على الكون.
Excusez du peu[1] ... ما أفظع هذا الزكام الفيزيقي !
أنا بحاجة إلى الحقيقة وإلى الأسبيرين.

1931-3-4

[1]- هكذا بالفرنسية في الأصل.

أتعبْتُ النهار

لا تتكلم بصوت عال، فهذا الذي هنا هو الحياة،
حياة وإحساسٌ بالحياة،
لأن الليل يتقدّم، متعب أنا، لا أنام،
إذا ما دنوت من النافذة
أرى، تحت جفون الحيوان،
الأمكنة المتعددة للنجوم...
أتعبتُ النهار برغباتي في النوم ليلا.
وها هو الليل تقريبا نهار آخر.
وأنا المترنح نوما لا أنام.
أحس – في الإنسانية جمعاء وعبر العياء–
بعياء يكاد أن يجعل من عظامي رَغْوة...
نحن ذلك كله...
نترنّح، ذبابات، بأجنحة ومخالب
في العالم، هَلَلُ عنكبوت على الهاوية.

1931-10-21

الموت

الموت – ذلك الأسوء الذي لابدَّ أن يحدث
بالقسر؛
ذلك السقوط صوب أعماق الجبّ الذي بلا أعماق؛
ذلك الإعتام الكوني نحو الداخل،
تلك الدينونة الأخيرة للوعي، مع سقوط
النجوم كلها –
ذلك الذي سيكون يوما ما
من نصيبي؛
قريبا جداً، جدّا،
يرسُم بالأسود كلَّ أحاسيسي،
هو الرمل اللامُجسَّد ينسرب بين أصابع
التفكير والحياة.

المحطة في الصحراء، خالية؛
الترجمان الأخرس؛
الدمية الإنسانية بلا عينين ولا فم،
النار الكاذبة مُعلَّمة
في بحر هو فحسبُ فضاء محضٌ
تحت سمَاء مهتزة ببروق سوداء...
مُخـُور مشؤوم، قارض اليرقات، الرافدةُ الحية،
وإنَّها لأصابع الكهرباء الصوارية الطويلة جدا،
مشيرة عند فراغ الأعلى (الذي هو الهاوية
من كل شيء ...)
إلى أشرعة [ ] أحمر لطيف وقمحي
تنفتح للريح التي تهبُّ عبر ثقب هائل بلا نهاية،
وتَبْدأُ، خارج الزمن، سَفَرا إلى نهاية كل شيء.
وتتمدد فظاعة صاحية عبر تَأَوُّه رُؤُوس بحريَّة..

ضوضاء أزيز الخشب أضحى مَصْنُوعاً
من الروح...
التقدُّم الفائق السرعة هو ما ينقص...
وإذا كانت الحياة أُفقية، فهذا عمودياً يمضي...

خوفنا

نحسب جميعا أننا سنكون أحياء بعد موتنا.
خوفنا من الموت هو خوف أن نُدفَن أحياء
نُريد جثامينَ من نُحبُّهمْ بجانبنا
كما لو كانتْ ما تزال هي أولائك الذين كانوا
وليست ال maillot[1] الداخلي الأكبر
الذي منحتْنَاهُ الولادة.

[1]- بالفرنسية في الأصل.

نفس اللغز

آه، أمام هذا الواقع الوحيد
الذي هو اللغز،
أمام هذا الواقع الوحيد المرعب
-واقع أن ثمة واقع -
أمام هذه الكينونة الفظيعة،
كينونة أن ثمة كينونة،
أمام هاوية أن ثمة هاوية،
لأنَّها يمكن أن تكون.
لأنها عليها أن تكون،
إزاء هذا كله، كما لو أن كل ما يفعله
الناس، كلَّ مايقولونه،

كل ما يبنونه ويهدمونه أو ما يُبنى
من خلالهم ويُهدم، يتصغَّر
لا، لا يتصغَّر... يتحوّل إلى شيء آخر،

إلى شيء وحيد مرعب ومظلم ومستحيل،
شيء يوجد فيما وراء الآلهة،
فيما وراء الله والقدر،
إلى ذلك الذي يجعل الآلهة
والله والقدر موجودين،
ذلك الذي يجعل الكَيْنُونة موجودة
والكائنات كذلك
ذلك الذي صَعَدْتُه عبر الأشكال كلها
كلِّ الحيوات، مجردةً أو ملموسة،
دائمةً أو طارئة، حقيقية أو زائفة!
ذلك الذي، عندما بلَغ كل شيء، ظل
أيضا في غير مكانه،
لأنه عندما بلغ الكلَّ لم يَرْقَ إلى

حَدٍّ تفسيرٍ لماذا هو الكل،
لماذا ثمة شَيء، لماذا ثمة شيء، لماذا ثمة شيء!
ذكائي تحوَّلَ إلى قلب مذعور
ذلك أنني إنما بأفكاري أرتجف، بِوَعْيي بي،

بالماهية الجوهرية لكَيْنُونَتي المجردة
أختنق لاستعصائيَ على الفهم،
لاسْتعلائي المتطرف، ولأنني من
هذا الخوف، من هذا الغمّ، من خطر
الكينونة المتطرِّف هذا،
لا مهرب لي، لا مهرب، لا مهرب!

ألا من خلاص منك يا سجن الكينونة؟
ألا من خلاص منك، يا سجن التفكير؟
آه، أبدا، لا موت، لا حياة، لا إلاه!
نحن، الإخوة التوائم للقَدَر الذي يحتوينا
نحن، الإخوة التوائم لكل الالهة،

وللنوع كله في كوننا الهاوية ذاتها،
الظل نفسه، ظلاًّ كنا أو نُورا،
الليل نفسه دائَما.

آه، إن كنتُ أواجه الحياة، ريبة
الحظ بثقة،
مبتسما، لا مفكرا أواجه الاحتمالات اليومية
لِجميع الشرور

إن كنت، لا واعيا، أواجهُ
لغزَ كلّ الأشياء والحركاَت،
لمَ لا أواجه الموت مبتسما، لا واعيا؟
أَلأنَّني أجهله؟ لكنْ أيُّ شيء لا أجهله؟
الَريشة التي أمسكها، الحرف الذي أكتبه،
الورق الذي أكتب عليه،
أهيَ ألغازٌ أقلُّ من الموت؟
كيفَ ذلك، طالما الكلّ نفسُ اللغز؟

وأنا أكتب، أكتب حتما لضرورة
لا غير.

آه، أنا أواجه الموتَ كالحيوان
الذي لا يعرف أن الموت موجود!
أنا أملك اللاوعي العميق بكل الأشياء الطبيعية،
إذ مهما امتلكت من وعي،
فالكل عبارة عن لا وعي
باستثناء كونِ الكلّ مخلوقا،
وحتى هو نفَسه عبارة عن لا وعي أيضا.

إذ من الضروري أن يسبق الوجودُ
الإيمانَ بالوجود،
وأن نُوجد هو أن نكون لا واعين
بما هو موجود،
لأن الوجودَ معناه أن ثمة إمكانية لكينونة،
وكون الكينونة ممكنةً هو أكبرُ من جميع الآلهة.

حَمْداً لله...

حَسنا، لقد أزفت الساعة... تماما...
هنا تُوجدُ هيَ !
الجنون موجود لديَّ
في الرأس تماما ...

قلبي انفَجَر مثل مُفرقَعة،
وفي رأسي حدثت انتفاضة عبر
العمود الفقري فما فوق...

حَمْدا للّه على أنَّني مجنون !
إذ إلى زبالة تحوَّل كلُّ ما بذلتُ، وتناثر،
كَمثل بصقة في الريح،
عبر الوجه كله !

كلُّ ما كنتُه شَدَّني إلى القدمين
مثل خيش لتلفيف لا شيء!
كلُّ ما فكرتُ فيه أحدث لي
دغدغات في الحنجرة
ويريد حمْلي على التقيؤ بدون
سابق أكل !
حمداً لله، لأن هذا، كالشكر تماما،
نوعٌ من الحل.
هيا، لقد عثَرتُ على حل، عبر المعدة !
عثرت على حقيقة أحسَستُها بالأمعاء !

كذلك صنعتُ شعراً متعاليا !
انخطافات غنائية كبرى كذلك،
نظم قصائد متعلقة بشُسوع كلّ
مسألة مجزَّأة إلى أقسام
ليس بشيء جديد لديَّ.

بي رغبة في التقيؤ، في أن أتقيَّأني !
بي من الغثيان ما لو كان بوسعي أن
ألتهم الكَون كي أُفرغه في الركام
لما تردَّدْتُ في التهامه !

حدث ذلك بنوع من الجهد، لكنْ
مع حسن ختام على الأقل مع حسن ختام.
وكذلك أنا
أنا الّذي بلا ختام ولا حياة.

ما شأني

جسدي هو ثوبي الأسفل؛
فيمَ يهمُّني أنْ تكُون طبيعته القُمامية
أرْضاً لقبْري
أن ينهشَه هنا أو هناك العثُّ العُضوي؟
أنا هو أناي.
ما شأني بالثوب الجثَّة الذي أتركه؟
ما شأن المؤخِّرة بالسرَوايل؟
فلْأعشْ أنا لأنَّني ميِّت، فلأعش
ألن تكون لدينا حينئذ
تُبانات أثناء كلِّ ذلك اللانهائي؟
كيف ! أو لن تمنحني النجوم في الأبعد
ولا حتى قميصاً آخر؟

ينبغي أن تكون هناك دكاكين
في شوارع الله الكبيرة.

سأمضي مُرْتديا النجومَ معتَمراً
الشمس قبعة في كَرْنفال الفضاء الأكبر
بين الله والحياة

ندخل الموت مُبتهجين! عجباً،
لضرورة أن نلبس ثيابا، ضرورة
أَن نغسل الجسد، ضرورة أن نكون على حق،
تماثلات، طرائق وأشكال؛
امتلاك كلًى، رئاتٍ، قصبات هوائية،
أسنان.
أشياء تخصُّني وتخص ال[ ]
[خراء لهذا كله !]

ميت أنا، من الضجر كذلك،
ضاحكا، أضرب، بالرأس النجومَ
كما لو كنتُ معها في قوس من كذب،
ممدَّدا، في الكرنفال، من جانب إلى آخر
من جوانب الممر،
أنا، مذهول ولا إنساني،
مماثلٌ لأبي هول مضيء،
سوف أُطوّق نفسي بالنجوم
وسأستعمل الشمس كقبعة
في هذا الكرنفال الأكبر لما بعد الموت.
سأتسلّق، مثل ذبابة أو قرد
الشُّسوعَ الراسخ للسماء المقوسة
بهيأة عَالَم،
مُشركاً رتابة الفضاءات المجردة
في حضوري الفائق الدقة.

لا، ليس عياء ..

لا، ليس عياء !...
هو مقدارٌ من خيبة
تتغلغل في نمط التفكير،
هو يومٌ أحد بعكس الإحساس،
يومُ عيد في الهاوية...

لا، ليس عياء...
هو كوني موجوداً
أنا والعالم كذلك،
بكل ما يحويه،
بكل ما يمتد فيه
وهو في النهاية الشيء نفسه
في نسخ متعددة متشابهة.

كلا، ليس عياء، لماذا ؟
هو إحساس مجرد
بالحياة الملموسة،
شيء أشبه بصرخة
ستُطلَق،
شيء كأنه غمٌّ
سيُعانَى
أو سيعانى تماما
أو يُعانَى مثل ...
أجل، أو يعانى مثل...
ذلك نفسه، مثل ...

مثل ماذا؟
لو كنت أعرف لما حل بي هذا العياء الزائف.

(واهاً، للعميان الذين يغنُّون في الشارع،
يا لروعة جيتارة ذاك، وكمانِ هذا
ويا لَروعة صوتها هي !)

لأنني أسمع، أرى.
أعترف: إنه العياء...

أخوة لا إرادية

أستيقظ ليلا، في عمق الليل، في السكون الشامل.
أربع ساعات قبل طلوع النهار.
أفتح النافذَة فوراً، بقُنوط الأرق.
و، بغتةً، يظهر، إنسانيا،
الإطار ذو الصليب لنافذة مضاءة !
إنها الأخوّة في الليل !

أخوة لا إرادية – مجهولة، في الليل !
نحن معا مستيقظان، بينما الإنسانية
لا مباليةً تنام. ونحن مغموران بالضوء.

من تكون أنت ؟ مريض، مُزيِّف نقود،
مجرد مؤرَّق مثلي ؟

لا يهم. الليل الدائم، الغامض، اللانهائي،
فقط، في هذا المكان، تملك إنسانيةُ نافذتينا
القلبَ النابضَ للضوء،
في هذا المكان والزمن، جاهلَيْن بعضنا بعضا،
نحن الحياة كلها.

على حاجز النافذة الخلفية للمنزل،
حاساًّ بالرطوبة الليلية للخشب الذي أمسكه،
أطل على اللانهائي، وقليلا، على ذاتي.

ولا ديوك تصيح بَعْدُ في السكون اللانهائي !
ماذا تفعلين، يا رفيقة النافذة المضاءة؟
أهو النوم، الحاجة إلى النوم، إلى الحياة؟
المسحة الميالة إلى الاصفرار لنافذتك المجهولة...

لطيف: عدم امتلاكك لإنارة كهربائية.
آه يا مصابيح بترول طفولتي المفقودة

1931-11-25

ملحوظات في طابيرا*

وصلت أخيرا إلى مدينة طفولتي
نزلتُ من القطار، أتذكر، نظرتُ، رأيت، اشتريتُ.
(هذا كله استغرق من الزمن مقدار نظرة متعبة)
الكلُّ شاخ حيث كنت شابا.
على الفور - دكاكين أخرى، وواجهات أخرى
لرسوم فوق نفس المباني -
تمر سيارة لم أرها من قبل (لم تكن موجودة)
تتوقف السيارة الصفراء المتقعة
أمام باب مواربة.
كل شيء شاخ هنا حيث كنتُ في ريعان الشباب.
أجل، إذ حتى ما هو أكثر جدة مني يجعل الباقي شائخا.
المنزل الذي صبغوه من جديد
هو أكثر قِدَما لأنهم صبغوه من جديد

* - مدينة شاطئية في غرب البرتغال حيث ولد البارو دي كامپوس.

أتوقف أمام المشهد،
وما أراه هو أنا بذاتي.

قديما هنا توقّعْتُني متألقا في سن الأربعين،
سيّدَ العالم،
وفي الواحدة والأربعين سيكون علي
أن أترك القطار اللا إرادي.
ماذا أنجزت؟ لا شيء.
لم أنجز شيئا ذا قيمة.
أحمل قنوطي ونُقصاني فيزيقيا
في الحقيبة ...
فجأة أتقدم واثقاً، بتصميم.
ترنُّحي يتلاشى،
مدينةُ طفولتي هذه هي مدينة أجنبية
في النهاية.
(أرتاح أنا، كعادتي، لما هو غريب، لما له

معنى لديَّ).
غريب أنا، سائح، عابر.
ذلك ما أنا إياه
حتى داخل ذاتي، يا إلاهي، حتى داخل ذاتي

1931-12-8

من أبدلني بي ؟

آه، صوت العَشاء في المنازل السعيدة !
أمُرّ، أُذناي تريان المنازل من الداخل.
أمرُّ، في ليل الشارع الضاحَويّ،
عائدا من مؤتمرات مع خبراء من أمثالي.
وحدي أعود، وأنا الآن شاعر، بلا خبرة ولا هندسة!
إنسانيا أعودُ حتى بوقْع حذائي الوحيد
في بداية الليل حيث من بعيد يبدو بابُ
الدكان المتأخر وهو يختفي مع الإغلاق الأخير.

منفاي الطبيعي يترقَّق في عتمة
شارع سكناي، شارع كينونتي، شارع دمي.
أن أكونَ الطفل المؤَمَّن اقتصاديا،

بالسرير الوثير ونوم الطفولة والخادم!
آه يا قلبي المجرد من أيما امتياز !
يا حساسية المنبوذ عندي !
يا غَمّي الخارجي من كوني أنا !

من حَوّلَ إلى حطَب كلَّ مَهْد طفولتي ؟
مَنْ جعل مناديل الطفل الذي كنتُه
خِرَقَ تنظيف؟

من عَرَض فوق قشور البيوت
في صفائح زبالة العالم
تطاريزَ ذلك القميص الذي ألبسونيه
ليَعمّدُوني؟
من باعني للقدر ؟
من أبدلني بي؟

آت بالتّحديد من الحديث في ظروف إيجابية.
عرضتُ نقاطا محددة، مثل عَدّاد أوتُوماتي.
كنتُ على حقّ مثل ميزان.
تحدثت وفق ما أعلم.

والآن، أنا آخذ طريقي في ترام نهاية الخط،
من حيث تتمّ العودة إلى المدينة،
أمرُّ، قاطع طريق، ميتافيزيقياً أمر،
تحت ضوء القناديل المنعزلة،

وفي الظل بين القنديلين المنعزلين
أحسُّ برغبة في عدم المواصلة:
لكنّني سأركب الترام،
سيرنُّ الجرس مرتين هنالك في النهاية اللامرئية
للحزام الملتوي
من خلال اليدين ذاتي الأصابع الغليظة
للسائق غير الحليق.
سأركب الترام.

يا ويحي، بالرغم من كل شيء، دائما أركب التّرام...
دائما، دائما، دائما...
دائا إلى أعود إلى المدينة،
بعد تأملات ولا مبالاة،
دائما برغبةٍ في العشاء،
غير أنني لن أتعشى أبدا ذلك العشاء
الذي يأتيني رنينُه من وراء شبابيك المنازل السعيدة،
للضواحي التي منها تقع
العودةُ في الترام، المنازل الزوجية للحياة الاعتيادية.

أدفع ثمن التذكرة عبر فجوات،
فيما السائق يمرُّ بجانبي كما لو كان
نَقْدَ العقل الخالص...

أدّيتُ ثمن التذكرة. قمتُ بواجبي.
عاميّ كأيٍّ عامي.
وهذا كله من ضمن أشياء ولا حتى الانتحارُ يداويها...

شيئا فشيئا

شيئا فشيئا
بدون أن ينقصني شيء،
بدون أن يفضُلَ لي شيء،
بدون أن يكون أي شيء في أيٍّ وضع،
أسير، متوقِّفا، أسير،
حيا وميتا، أمضي
متحوِّلا إلى أناي عَبْرَ كَمٍّ من أناس بلا كينونة.
متحولا إلى كل شيء عداي أنا
لقد انتهيتُ.

شيئا فشيئا
بدون أن يكلِّمني أحدٌ
(أي أهمية لكل ما قيل لي في الحياة؟)

بدون أن يحبني أحد
(ما أهمية قول من قال إنه يحبني؟)
حسنا

شيئا فشيئا
بدونما شيء من ذلك،
بدون شيء غير ذلك، أسيرُ
متوقفا أسير.
سأتوقف.

انتهيتُ.

كيف انتهيت!
ضجرت من الإحساس ومن تصنُّع التفكير،
ولما أنْتهِ بعْدُ.

ما زلتُ أكتب أشعارا.
ما زلت أكتب.
ما زلت..

لا، لن أنتهي ... ما زلتُ.. لن أنتهي. بل انتهيت.
فجأة، في الشارع العرضي، ثمة نافذة في أعلى
البناية، أيُّ حزمة تختبئ فيها؟
والرعبُ، رعب فقداني للطفولة في المكان
الذي لم أكن فيه موجودا والطريق الشارد
لوعيي المتعذِّر التحقق.

ماذا يريدون أكثر ! لقد انتهيت

لا ينقُصُ كناري الجارة، آه يا صباحاً من زمن آخر،
ولا صوتُ الخباز (مُثْقلاً بالسلال) على السلَّم
ولا النداءات التي لا أعرف أين هي
ولا الجنازة في الشارع (أسْمَع أرى)

ولا الصوتُ المفاجئ لخشب ألواح تابوت
المتوفى في هواء الصيف،
ولا ... كَمْ من أشياءَ، كَمْ من أرواح، كم ثمة
ممَّا لا يمكن إصلاحه !
فَي النهاية، الآن. الكل كوكايين ...

آه حبي، حب الطفولة !
مَاضيَّ المريلة !
خبزي المستريح بالزبدة الجيدة جنب النافذة !
كفى أنا الآن أعمى، عَمِيتُ عمَّا أرى!
لقد انتهيت !
كفى !

ببرود

أريد أن أموت بين الورود، لأنني أحببتُها
في الطفولة،
الأقحوانات، فيما بعد، نَزعْتُ أوراقها ببرود.
تكلّموا قليلا، وبتأنٍّ.
فأنا لا أسمع، لاسيما بالفكر.
ماذا أحببتُ؟ يداي فارغتان،
متشنّجتان بشكل محزن فوق غطاء السرير البعيد.
بماذا فكّرتُ! فمي متيبس، مجرّدٌ.
أيّ حياة عشت؟
خيرٌ لي، خير لي أن أنام.

نشرت في "اكتشاف" عدد دجنبر 1932

واقع*

أجَلْ، من هنا مررت، مراراً، منذ عشرين عاما...
لا شيءَ تغيَّر -أو أنني، على الأقل لا أحس بذلك-
في هذه الجهة من المدينة...

منذ عشرين عاما ! ...
أيّ شخص كنتُ حينئذ ! حسناً، كنت آخر ...
منذ عشرين عاما، أما المنازل فلا تعرف شيئا ...

عشرون عاما، بلا جدوى (ومن يدري إن كانت كذلك !
أأعرف أنا ما المُجدي أو غير المجدي ؟)
عشرون عاما أُهدرتْ
(لكن ماذا يعني ألَا تُهْدَر؟)

* - عنوان أصلي.

أُحاول في خيالي إعادةَ بناء
ذلك الذي كنْتهُ وكيف كنتُه عندما مررتُ
من هنا منذ عشرين عاما ...
لا أتذكر، لا أستطيع أن أتدكر.

الآخر الذي مَرَّ من هنا حينئذ
لو كان اليوم موجوداً، لربما تذكر ...
ثمة شخصيات روائية كثيرة
أعرفها من الداخل أفضل من معرفتي
بذلك الأنا - نفسي الذي من هنا مَرّ
منذ عشرين عاما !

أجل ! غوامض الزمن،
أجل، عدم معرفة أي شيء،
أجل، كونُنا وُلدْنا جميعا على متن سفينة.
أجل، أجل، هذا كله، أو نمط آخَرُ من أنماط القول...

من نافذة الطابق الثاني تلك، الماتزال متطابقة مع نفسها،
كانت تطلُّ وقتئذ فتاةٌ أكثر شيخوخة مني،
لكن مرتدية الأزرق بالتذكر.
في وسعنا أن نتخيل كُلَّ ما لا نعلم.
عاطل أنا فيزيقيا ومعنويا: لا أرغب في تخيل شيء...
كان ثمة يوم صعدت فيه هذا الشارع
مفكّرا بفرح في المستقبل.

ذلك أن الله يأذن بأن يكون اللاموجود مُضاءا.
اليوم، وأنا أنزل من هذا الشارع
حتى في الماضي لا أفكر بفرح. ولا أفكر حتى ...
لديَّ انطباع بأن الوجهين تَقاطَعَا
في الشارع، ليس الآن ولا حينئذ،
وإنما هنا بالذات، بدون زمن يُشوِّش التقاطع.
ينظر كُلٌّ منا إلى الآخر بلامبالاة.
أنا القديمُ صعدت عبر الشارع متخيلا مستقبلا
عَبَّاد شمس.

وأنا الحديث نزلتُ عبر الشارع بدون أن أتخيل شيئا.
ربما يكون هذا قد حدث في الواقع،
حَدَث فعلا
نعم، حدث جسديا...
نعم، ربما.

1932-12-15

التخلي الأكبر

هيِّء الحقائبَ باتجاه اللاجهات !
أَبْحِرْ صوبَ الكونية السلبية الكلية،
بسَجلٍّ ضخم لسفن خادعة،
سفَن صغيرة متعددة الألوان،
سفنِ الطفولة !
أعدَّ الحقائب لأجل التخلِّي الأكبر !
ولا تَنْسَ، بين الفرشاة والمقص،
المسافة المتعددة الألوان لما لا يُمكن نَيْلُه.
هيِّء الحقائبَ على نحو نهائي !
من تكون أنتَ هنا،
حيث جماعيا ولا مُجْدياً تحيا،
وكُلَّما بَدَوْتَ أكثر نفعا كنت
عديمَ النفع.

كلما كنتَ حقيقيا كنت أكثر زيفا.

مَنْ تكون هنا أنت ؟ من أنت هنا؟
من أنت هنا ؟

أبْحرْ، بدون حقائب حتَّى، صَوْب ذاتها مختلفا !
ما الأَرضُ المأهولة غير ما ليس لك ؟

1933-5-2

Magnificat[*]

مَتَى سينتهي هذا الليل الداخلي، أيها الكون،
وهل سأتمتع أنا وروحي بنهاري؟
متى سأستيقظ من يقظتي ؟
لست أدري. الشمس تسطع عاليا؛
يستحيل رؤيتها.
النجوم تختلجُ من بَرْدٍ؛
مستحيل عَدُّها.
القلب يخفق غَيْرِيّاً؛
مستحيل سَماعُه.
متى ستنتهي هذه الدراما بدون مسرح
أو هذا المسرح بدون دراما،
أسأستَعيدُ المنزل؟
أين؟ كيف، متي؟
أيها الهِرُّ الناظر إليَّ بعينين من حياةٍ

[*]- عنوان أصلي.

ماذا لديك في عمقهما؟

إنه ذلك، إنه ذلك !
ذلك الذي سيأمر الشمس أن تتوقَّف،
وأنا سأستيقظ؛
سيكون نهارا حينئذ

ابتسمي، ناعسةً، يا روحي
ابتسمي، يا روحي، سيكون نهارا.

1933-11-7

خطيئة أصلية*

آه، من سيكتب تاريخ ما كان ممكنا أن أكونه ؟
لو أحدهم كَتَبهُ، فسيكون
هو التاريخ الحقيقي للإنسانية.

ما يوجد هو العالم الحقيقي وحسب، وليس نحن،
العالم وحده هو الموجود؛
ما لا يُوجد هُمْ بالذات نحن.
وهناك تكمن الحقيقة.

أنا هو من أخطأتُ أن أكونَهُ.
نحن جميعنا محضُ وجود مُفْتَرَض.
واقعُنا هو ما لا نبلُغه أبداً.

---

* - عنوان أصلي.

ماذا عن واقعنا ذاك، الحنين إلى نافذة
الطفولة ؟
ماذا عن يقيننا ذاك؟ ...
أتأمل، الرأس مُقوّسٌ على اليدين المتقاطعتين
فوق الحاجز العالي للنافذة البارزة،

جالسا بانحناء، على مَقْعد بعد العشاء.

ماذا عن واقعي أنا الذي أملك الحياة وحدها ؟
ماذا عَنِّي أنا الذي وَحْدي الموجود؟

كَمْ من قياصرة كنتُ !
في الروح، ومع بعض من حقيقة؛
في المخيلة، وببعض من عدالة؟
في الذكاء، وبقَدْر من صواب،

يا إلاهي، يا إلاهي، يا إلاهي!

كَمْ من قياصرة كنتُ !
كَمْ من قياصرة كنت !
كم من قياصرة كنت !

1933-12-7

آلات كاتبة*

وحدي، في غرفة المهندس، أضَعُ التصميم،
أشكِّل المشروع، معزولا هنا،
بعيداً حتى عَمَّنْ أكون.

على مقربة منّي، ثمة الرفقة المشؤومة بابتذال،
لِلْ تِكْ - تَكْ الزاعقة لآلات الترقين.

يا لَغثيان الحياة !
يا لحقارة - هذا الانتظام !
أيُّ حلم هيَ هذه الكينونة !

في القديم، عندما كنتُ آخر كانتْ هناك
قصور وفروسيات.
(رسوم زيتية، ربما، لأي كتاب من كتب الطفولة)،

* - عنوان أصلي.

في القديم، عندما كنتُ وفيّاً لحلمي،
كانت مناظر الشمال الكبيرة في متناولي،
مرصّعة بالثلج،
نخيل الجنوب، مثقلا بالخضرة.

قديما ...

بجانبي، الرفقة المشؤومة بابتذال،
لِل تِكْ تِكْ الزّاعقة لآلات الترقين.

لَدَيْنَا جميعا حياتان:
الحياة الحقيقية التي نحلم بها في الطفولة،
ونواصل الحلم بها، كباراً، في قَوامٍ من ضباب؛
والحياةُ الزائفة، وهي التي نحياها في تعايش مع آخرين،
الحياة العملية، النافعة،
تلك التي تنتهي بوضعنا في تابوت.

في الأولى لا توجد توابيت ولا أموات.
هنالك فحسب رسوم تزيينية للطفولة:
كتبٌ كبيرة ملونة، للنظر لا للقراءة ؛
صفحاتٌ كبيرة بألوان بقصد الاستذكار فيما بعد.
في الأولى نوجد نحن، فيها نحيا،
في هذه نموت وهو معنى أن نعيش.
في هذه اللحظة، بفعل الغثيان أعيش فحسبُ
في الأخرى ...

لكنْ بالقرب مني، تُوجد الرفقة المشؤومة المبتذلة،
أجل، لا مُتأمّلا، أستيقظُ،
صَوْت ال تكْ تكْ الزاعقْ لآلات الكتابة
يعلو ويعلو.

1933-12-19

بأي طريقة

ألن يكون من الأجدر
ألا تفعل شيئا ؟
أن تدَع كُلَّ شيء يمضي بأيِّ طريقة عَبْرَ
الحياة صوب الأسفل
باتجاه غَرقٍ بلا مياه ؟

ألن يكون من الأفضل
ألا تقطف شيئا
من شجيرات الورد المحلومة
وأن ترقد ساكنا، مفكّراً
في منفى الآخرين،
في فصول الربيع القادمة؟

ألن يكون من الأحسن
أن تتنازل، مثل انفجار مثانة ...
عن كل شيء،
أجل، عَنْ كل شيء،
عن كل شيء مطلقا ؟

1934-4-12

حتى أنا

يا للسعادة الدائمة
في المنزل المقابل، منزلِ أحلامي !

هنالك يعيش أشخاص لا أعرفهم، رأيتهم
ولكن لَمْ أَرَهُمْ.
سعداءُ هم، لأنهم ليسوا أنا.

الأطفال الذين يلعبون في الشرفات العالية،
يعيشون بين أصص أزهار،
على الدوام، بلا شك.

الأصوات التي تصعد من داخل المنزل، تُغنّي
دائما، بلا شك،
أجل، ينبغي أن تغني.

عندما يكون حفل هنا في الخارج،
يكون حفل هنالك في الداخل.
هكذا ينبغي أن يكون ثمة توافق،
الإنسان مع الطبيعة، لأن المدينة طبيعة.

أيُّ سعادة غامرة في ألا أكون أنا !

لكنْ ألن يشعر الآخرون أيضا على نحو ما أشعر؟
أي آخرين؟ لا يوجد آخرون.
ما يحسُّه الآخرون هو شيء متعلق بالنافذة مغلقةً،
إذ عندما تُفتح،
تُفتح كي يلعب الأطفال في دَرابْزين ذي حواجز مشبكة، بين أُصُص أزهار لم أَرَ البتة ما هي.

الآخرون لا يُحسُّون أبدا،
من يحس هُمُو نحن،
أجل، نحن جميعا،
حتى أنا، الذي لم أعد في هذه اللحظة
أحس بشيء

لا شيء؟ لا أدري...
لا شيء مؤلمٌ...

1934-6-16

الموسيقى*

الموسيقى، نعم، الموسيقى.
بيانو مبتذل في الطابق الآخر ...
الموسيقى على أي حال، الموسيقى...
ذلك الذي يأتي ليستدرَّ دموعَ
أي مخلوق بشري،
ذلك الذي يأتي لتعذيب السكينة
آملاً في سكنية أفضل ...
المَوسيقى ... ثمة بيانو في الطابق العلوي
يعزف أحدهم عليه بطريقة سيئة...
لكنها الموسيقى.

* - عنوان أصلي.

آه، كم كان لديَّ من طفولات !
كَمْ من أحزان !
الموسيقى ...
كم من أحزان طيبة !
الموسيقى دائما ...

ثمة ذلك البيانو الذي يعزف عليه
مَنْ لا يُجيد العزف.
لكنها الموسيقى رغم كل شيء.

آه، ها قد توصل إلى عزف متواصل،
إلى نغمة منطقية.
منطقية، يا إلاهي !
كما لو أن ثمت شيئا ما منطقيا بالفعل!
أيُّ لقطات جديدة لبيانو أسيء عليه العزف !
الموسيقى ! ... الموسيقى !

1934-7-19

الأحد

الأحد سأذهب إلى البساتين في شخص الآخرين،
مسرورا بغُفليتي.
يوم الأحَد سأكون سعيداً - هُمْ، هم سيكونون ...
الأحد ...
اليومَ يومُ خميس من الأسبوع الذي بلا أحَد ...
بدون أيّ أحد
بدون أحد أبدا ...
لكن دائماً سيكون ثمة أحدٌ ما في البساتين يوم
الأحد القادم.
هكذا تمضي الحياة،
خاصة بالنسبة إلى مَنْ يحس،
بالنسبة إلى من يفكر:

سيكون ثمة دائما أحد ما في بساتين الأحد ...
ليس في أحدنا نحن،
ليس في أحدي..
ليس في الأحد..
لكن دائما سيكون ثمة اخرون في البساتين
وفي الآحاد ..

1931-8-9

منذ زمن بعيد*

منذ زمن بعيد
أصبحت عاجزا عن كتابة قصيدة طويلة !..
منذ سنوات ...

لقد فقدتُ مزية التنمية الإقاعية
التي تتحرَّكُ فيها الفكرة والشكل متوافقين
في وَحْدَة جسدٍ وروح...

فقدتُ كلَّ ما كان يجعلني واعيا
بأيما يقين في كينونتي ...
اليوم، ماذا تبقى لي؟
الشمس التي توجد هناك بغير أن أدعوها ...
النهار الذي لا يكلِّفني أي جهد..

*- عنوان أصلي.

النسيم، أو حفل نسمة،
تمنحني إحساسا بالهواء...
والأنانية البيتية بانعدام الرغبة
بتاتا في المزيد.

لكن، آه يا نَشيد ظَفَري،
حركتك المستقيمة !
آه، نشيدي البحريّ،
بنْيتك الشاملة المقطعية والضدّ مُقطَّعية !
ومشاريعي زمنئذ، مشاريعي.
تلك كانت بالفعلِ أناشيد كبيرة !
وكذلك كانت تلك الأخيرة، العليا، المستحيلة !

1934-8-9

القناع*

أسقطتُ القناع ونظرت إليَّ في المرآة ...
كنتُ الطفلَ الذي كان منذ سنوات وسنوات...
لم يتغير بتاتا.
تلك هي مزية معرفة إزالة القناع.
نحن الطفل دائما،
الماضي الذي يبقى،
الطفل.

أزلتُ القناع، ثم عُدْتُ فلبِسْتُه
هكذا أفضل
هكذا أنا القناع

وأعود إلى الحالة الاعتيادية
كما لو إلى نهاية خَطٍّ ترام.

1934-8-11

*- عنوان أصلي.

إهدَئي

عندما تكون على وشك عدم الرحيل بتاتا
لا ينبغي لك، على الأقل، أن تهيِّءَ الحقائب
ولا أن تضع مخططات على الورق،
مع الرفقة اللاإرادية للنسيان،
لأجل الجزء المايزال حُرّاً
من اليوم الموالي.
لا ينبغي أن تفعل شيئا
قُبَيْل اللاَّرحيل.
إنها طمأنينة كبرى بعدم امتلاك
ولا حتى الحاجة إلى امتلاك طمأنينة!
....
الهَدْأة الكبرى التي لا تعرف حتى كيف

تهزُّ الكتفين، بسبب فوات الضجر
والوصول تداوليا إلى لا شيء.
الفرحة الكبرى بانعدام الحاجة
إلى امتلاك الفرح، ...
منذُ كَم من أسابيع وأنا أعيش
الحياة النمائية للفكر !
كل الأيام بلا خط -
طمأنينة، نعم، طمأنينة...
هدأة كبرى ...
أي راحة، بعد أسفار كثيرة، جسدية ونفسية !
يا للقدرة على رؤية الحقائب مقفلةً كما لو للاشيء!

إهدئي، أيتها الروح، إهدئي !
انتهزي... واهدئي !
إهدئي
قليل هو الزمن المتبقي لك !
إهدئي، إنها عشية ما قبل عدم الوُصُول مطلقاً ...

1934-9-27

عياء*

ما لديَّ هو العياء فوق كل شيء،
لا من هذا ولا من ذاك،
ولا حتى من الكل أومن لا شيء:
عياءٌ على النحو ذاته، هو نفسه،
عياء.

حدّةُ الأحاسيس اللامجدية،
الأَهواءُ العنيفة من أجل لا شيء،
العشْقيّاتُ الشديدة لمَا هو مفترض في أحد ما،
كلَ تلك الأشياء،
تلك وما ينقصها على الدوام؛
كلُّ ذلك يولد عياء

* - عنوان أصلي.

هذا العياء،

عياء.

هناك، لاشك، من يرغب في اللانهائي
هنا، لا شك، من يرغبُ في المستحيل
هناك، لا شك، من لا يرغب في شيء،
ثلاثة نماذج من المثاليين،
وأنا لست أيا منهم:
لأنني أرغب في المتناهي لا نهائيا،
لأنني أبغي الممكن على طريقة المستحيل،
لأنَّني أريد الكل، أو أكثر قليلا، إن أمكن،
أو حتى إن لم يكن ممكنا ...

والنتيجة؟
هُمْ لهم الحياة، معيشة أو محلومة،
لهم الحلم محلوما أو معيشا،
لهم التوسُّط بين الكل واللاشيء، لهم الحياة...
وأنا، يا للسعادة !، لي عياء هائل، عميق، عقيم،
عياء شديد السمو...
السموّ، السموّ، ...
العياء ...

1934-10-9

رويداً

لا: رويداً
رويداً، لأنني لا أعرف إلى أين
أرغب في الذهاب.
ثمة بيني وبين خطواتي
تبَاعدٌ غريزي.

ثمة بين من أنا إياه
وما أنا عليه فارقُ فعْلٍ
يَؤول إلَى الواقع.

رويدا، نَعَمْ، رويدا
أريد التفكير فميا تعنيه
رويدا هذه ...

ربما العالم الخارجي يسير بسرعة مفرطة
ربما الروح العاميّةُ تريد الوصول مبكّرا.
ربما لأن انطباع اللحظات شديد الفورية.
ربما هذا كله...
لكن ما يقلقني هو هذه الكلمة: رويداً ...
ما الذي ينبغي أن يسير رويدا؟

لعله الكون بالأحرى ...
يأمرنا الله بقول الحق.
لكن أيوجد من سمع ذلك من الله ؟

1934-12-30

أمام المكتب

جالس أنا أمام المكتب
منذ أكثرَ من نصف ساعة
لهدف وحيد
هو النظر إلى المكتب.

(هذه الأبيات توجد
خارج إيقاعي
وأنا خارج إيقاعي أُوجَدُ
أيضا)

أمامي محبرةٌ كبيرة،
أقلام بريشات جديدة أمامي.
ورقٌ نظيف جداً في متناولي
في الجهة اليسرى مُجلَّد من الموسوعة البريطانية،
في الجهة اليُمنى،

آه، في الجهة اليمنى!
قطّاعة الورق التي لم يكنْ لديَّ أمس
من الصبر ما يكفي لأفتح بها الكتاب الذي يهمني
ولم أقرأه.
من كان بمقدوره أن يُنوِّمَ هذا كله ...

1935-1-3

لأن الحاضر ...

في غرفة الطعام الواسعة
للخالات العجائز
كانت الساعة تُتَكْتك ببطء.
آه لرُعْب السعادة التي لم تُدْرَكْ
لأن المعرفة التي أَدْرَكْنَاها خالية من المعرفة،
يا لَرُعْب ما كان
لأنَّ ما هو مجود، موجود هنا
يا شايا مع قطع خبز مُحمّص في الريف القديم.
كَمْ مِنْ مُدُن كنتَ لي فيها ذكرى وبكاءً !
طفلاَ بقيتَ إلى الأبد،
منبوذا إلى الأبد.
منذ أن حرم الفؤاد من الشاي
وقطع الخبز المحمَّص

دَفِّئ الماضي، يا فؤادي !

دَفِّئْ الماضي

لأن الحاضر مُجرَّد شارع يَمرُّ به مَنْ ينساني ...

ذلك الشيء

لا أُفكّر في شيء
وذلك الشيء المركزيُّ، الذي ليس بشيء،
لطيف مثل نسيم الليل البارد
في تعارُضٍ مع النهار القائظ.

لا أفكر في شيء، أمر رائع !

التفكير في شيء
يعني امتلاك روح خاصة وكاملة.
التفكير في شيء
هو أن تعيش مَدَّ الحياة وجَزْرَها
بحميمية...

لا أفكر في شيء،
كما لو كنتُ في وضع اتّكاء سَيِّء،
ثمة فحسب، ألَم في الظهر،
أو في جانب من الظهر،
ثمة مَرارة فَمٍ في روحي:
ذلك أنني، في نهاية الأمر،
لا أفكر في شيء، في الواقع لا أفكر في شيء...
لا شيء.

1935-7-6

نعاس

النعاس الذي يَنْزِلُ علي
النعاس الذهني الَذي فيزيقيا يتنزل علي،
النعاس الكوني الذي ينزل فردياً عليّ،
ذلك النعاس
سيبدو للآخرين نعاسَ النوم،
نعاسَ الرغبة في النوم،
نعاسَ كَوْنِه نُعاسا.

غير أنه أكثر من ذلك، مُتَّجه أكثر فأكثر إلى الداخل،
إلى أعلى:
إنّه نعاسُ مجموع انْجلاءَات كُلِّ الأوهام،
نعاس توليف كل أصناف اليأس،

إنّه نُعاس عَالَم آخر مَعي في الداخل
بَدون أن تكون لي يَدٌ فيه.

النُّعاس الذي ينزل علي
يُشْبه رغم كل شيء، كُلَّ نعاس،

للتَّعب، على الأقل، بَعْضٌ من رخاوة،
اليأس، على الأقل، يَمْنحُ هدوءاً،
الاسْتسْلامُ هو على الأقل نهايةُ المجهود،
النهايَة، على الأقل، تضع حَدّاً للانتظار.

ثمة صوت نافذة تُفتَح،
أتلفَّتُ لا مباليا برأسي نحو اليسار،
أُسندُه على الكتف الذي يحسه،
أنظَر من النافذة المواربة،

إلى فتاة الطابق الثاني المقابل
تشرئبُّ بالعينين الزرقاوين بحثا عن أحد.
عمَّن؟
تسألُ لا مُبالاتِي.
نعاس ذلك كلَه.
يا إلاهي. نعاسٌ نعاسْ.

1935-8-28

رسائل الحب

رسائل الحب مضحكة
كلها.
لن تكون رسائلَ حبّ
لو لم تكن مضحكة.

أنا أيضا كتبت في زمني
كالآخرين
رسائل حُبٍّ مضحكة

رسائل الحُبِّ، إن كان ثمة حب،
ينبغي أن تكون مضحكة.

لكنْ، في النهاية، وَحْدها المخلوقات
التي لم تكتب أبدا رسائل حُبٍّ،
ينبغي أن تكون مضحكة.

من يعود إلى الزمن الذي
بدون وعي كتبتُ فيه
رسائل حب مضحكة؟!

الحقيقة أن ذكرياتي اليوم
عَنْ رسائل الحب تلك
هي المضحكة بالفعل.

كُلُّ الكلمات الشاذة،
مثل الأحاسيس الشاذة*،
مضحكة بالطبع.

1935-10-21

---

*- ثمة تلاعب غير قابل للترجمة بكلمة: **esdrujulas** البرتغالية التي تعني النَّبير على اللفظ وتعني أيضا: **extravagante** "شاذ".

الفهرس